The Islamic University-Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Osool Adeen
Master of Creed and Contemporaneity doctrines

الجامعـــــــة الإســــــلاميـــة ـ غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــة أصــــول الدين
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

قضايا العقيدة في سورة الحديد دراسة مقارنة بين السلف والمتكلمين

The Ideological Issues in Al Hadeed Surah, A comparative study between As-Salaf and the Mukallimeen

إعداد الباحث

محمد يوسف محمد العيوطي

إشراف الدكتور

أحمد جابر العمصي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

يناير/2017م – ربيع آخر/1438هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

قضايا العقيدة في سورة الحديد دراسة مقارنة بين السلف والمتكلمين

The Ideological Issues in Al Hadeed Surah, A comparative study between As-Salaf and the Mukallimeen

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة للجامعة الإسلامية غزة –فلسطين

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves toIslamic University – Gaza strip paiestine

Student's name:	محمد يوسف محمد العيوطي	اسم الطالب:
Signature:	محمد يوسف محمد العيوطي	التوقيع:
Date:	2017/04/15	التاريخ:

الرقم: ج س غ/35/
Ref:

التاريخ: 2017/03/06م
Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد يوسف محمد العيوطي** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

قضايا العقيدة في سورة الحديد – دراسة مقارنة بين السلف والمتكلمين

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الإثنين 07 جمادى الثانية 1438هـ، الموافق 2017/03/06م الساعة الواحدة والنصف ظهراً، في قاعة مؤتمرات مبنى القدس. اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. أحمد جابر العمصي	مشرفاً و رئيساً	....
د. محمد مصطفى الجدي	مناقشاً داخلياً	....
د. نمر محمد أبو عون	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم العقيدة الإسلامية.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة باللغة العربية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين أما بعد...

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد مدى اهتمامها بترسيخ العقيدة الصحيحة، بل لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الحديث عن قضايا العقيدة، ومن هذه السور سورة الحديد التي اشملت على العديد من قضايا العقيدة؛ لذلك تناولتها بالبحث، معتمدًا في ذلك علي المنهج الوصفي التحليلي المقارن من خلال كتب التفسير والعقيدة، حيث قمت بجمع القضايا العقدية الموجودة في سورة الحديد ودراستها دراسة تحليلية وفق منهج السلف ومقارنتها مع منهج المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية البحث، وسبب اختيار موضوع البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وطريقة البحث، وخطة البحث، أما التمهيد فقد اشتمل على اسم السورة وسبب تسميتها، وعدد آياتها، وهل هي مكية أم مدنية ؟ وأبرز المواضيع العقائدية في سورة الحديد، ثم التعريف بالسلف، والمتكلمين، أما الفصل الأول فقد اشتمل على تعريف التوحيد، وبيان أقسامه، وثماره ونواقضه، أما الفصل الثاني فقد اشتمل على الرسل والكتب السماوية، أما الفصل الثالث فقد اشتمل على اليوم الآخر، والقضاء والقدر، وأخيرًا ختمت بحثي بأهم النتائج والتوصيات، **ومن هذه النتائج:**

1- خالف المعتزلة السلف في أصول الإيمان، حيث جعلوها خمسة أصول وهي: العدل، والتوحيد، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل أصل من هذه الأصول جعلوا له معنىً باطلاً مخالفًا لمنهج السلف.

2- خالف الأشاعرة السلف في العديد من مسائل الاعتقاد، أهمها: اثبات صفات المعاني السبعة دون غيرها، وتعويلهم على العقل في مسائل الاعتقاد، وجعلهم الرب والإله بمعنى واحد.

3- لا يستقيم إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر، وبمراتبه، وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

أما التوصيات:

1- ضرورة الاهتمام بقضايا العقيدة الصحيحة في كافة الأطر الأكاديمية، الوعظية.

2- ضرورة دراسة القضايا العقدية في جميع سور القرآن، دراسة مقارنة بين السلف والمخالفين من خلال كتب التفسير؛ وذلك لتبصير كل مهتم بكتاب الله بالدخن الموجود في كتب التفسير، فيحترز منه.

3- كما أوصي القائمين على وضع المناهج التعليمية بوضع مادة مستقلة لتدريس العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ لأن ذلك أدعى للاهتمام بها وفهمها وتطبيقها.

Abstract

Verily, all praise is for Allah; we praise Him, seek His help, ask for His forgiveness believe in him and put our trust on him. And may Allah’s peace and blessings be upon His Messenger Muhammad, whom Allah sent as a mercy to the world, and upon his family and companions. To proceed:

Anyone who ponder over the Noble Quran verses will find out the great attention paid to consolidating the true faith. In fact, every Surah in the Noble Quran has paid attention to the Islamic creed issues. One of these Surahs is Surat Al-Hadid, which includes many aspects of the Islamic creed. This study tackles those aspects depending on the comparative, descriptive, and analytical approaches. The study relied upon the sources of Tafseer, interpretation, and Aqeedah, creed. The study traced the creed issues mentioned in Surat Al-Hadid, analyzed them in accordance with the school of As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars) methods, and compared them with the opinions of the school of Mukallimeen including Mu'tazilite and Ash'aris. The study has been divided into an introduction, preface, and three chapters.

The introduction included the research importance, its rationale, the research's topic objectives, previous studies, methodology, methods, and the research plan. The preface included the name of the Surah and its rationale, the number of its verses, its classification (Makki or Madani), and the most important Creed's topics addressed in Al-Hadid Surah. The preface also introduced As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars), and the Mukallimeen (Mu'tazilite and Ash'aris). The first chapter included the definition of Tawheed, and introduced its divisions, fruits and Noaqdah (nullifiers). The second chapter tackled the issues of prophets and Holy Books. The third chapter presented the issues of the Final Day, and fate and destiny. The study concludes the most important findings and recommendations including **the following:**

1- Mu'tazilite disagreed with As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars) in terms of faith foundations. They considered them five foundations consisting of: justice, unification, promise and intimidation, a status between two statuses and the enjoinment of Al-Ma'ruf (the right) and the forbidding Al-Munkar (the wrong). They made a void meaning for each of these foundations in

which they disagreed with the method of As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars).

2- Ash'aris disagreed with As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars) in many creed's issues, the most significant of them are: proofing only the manners of seven meanings, depending on mind in terms of creed's issues and having one meaning for both God and Lord.

3- One is not a true believer unless he believes in Al-Qadar (destiny) and its divisions which are: knowledge, writing, willingness and creation.

Recommendations:

1- The need for paying attention to the true Creed's issues in terms of academic levels and preaching.

2- The need for studying Creed's issues within all Qura'n Suras comparing between As-Salaf (ancestors of companions and their followers from Muslim scholars) and other dissented views through the books of Quran's interpretations so that, the learners of Quran realize the errors existed in the books of Quran's interpretations and to be aware of them.

3- It is recommended to make an independent course for teaching the true Islamic Creed because it is better to comprehend and apply the Islamic Creed.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[آل عمران: 8]

الإهداء

إلى والدتي العزيزة (رحمها الله) وأسكنها فسيح جناته، وجمعنا بها في الفردوس الأعلى

إلى والدي العزيز (حفظه الله) وأمدَّ الله في عمره وأحسن خاتمته

إلى عمي، وإخوتي، وأخواتي، وخالي، وخالاتي، وأبنائهم جميعًا

إلى زوجتي الغالية، وأهلها الكرام، وأبنائي الأعزاء، الذين تحملوا معي عبء الدراسة وعقباتها

إلى كل أحبابي وأقاربي وأصدقائي

إلى إخواني الذين قضوا نحبهم والذين ينتظرون

إلى إخواننا الأسرى القابعين خلف القضبان، فرج الله كربهم وجمعنا بهم عن قريب

إلى جميع المجاهدين والمرابطين على ثغور المسلمين، في فلسطين، وسوريا، والعراق، وشتى

بقاع المسلمين، سدد الله رأيهم، وصوب رميهم، وأيدهم بجند من عنده

إلى أهل السنة، من علماء ومتعلمين، في كل مكان

أهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

الشكر أولاً لله تعالي على توفيقه راجيًا منه القبول والمزيد لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، وانطلاقًا من قول النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ﴾ (1) فإني أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع، راجيًا له الأجر والمثوبة، وأخص بالذكر:

* أستاذي ومشرفي العزيز، فضيلة الدكتور/ **أحمد جابر العمصي**، الذي ما أدخر علي شيئًا من علمه، ونصائحه البناءة، فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء.

* كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذَيَّ العزيزين عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور/ محمد مصطفى الجدي مناقشاً داخليًا

الدكتور/ نمر محمد أبو عون مناقشاً خارجيًا

* كما أتوجه بالشكر الجزيل، للجامعة الإسلامية بغزة ولكل العاملين فيها، وأخص بالذكر كلية أصول الدين، وطاقمها التدريسي، وعلى رأسهم عميد كلية أصول الدين/ **د.عماد الدين الشنطي**.

* كما أتوجه بالشكر الجزيل، لوزارتي الغراء وزارة الأوقاف والشئون الدينية، وجميع العاملين فيها وأخص، بالذكر وكيل الوزارة/ **د. حسن الصيفي**، ومدير أوقاف الشمال الأخ الشيخ/ **عبد القادر سالم**.

* كما أن الشكر موصول لكل القائمين على العمل الدعوي، وأخص منهم الإخوة في دار القرآن الكريم والسنة.

* أخيرًا أشكر كل من كان له يد في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر شيخنا الفاضل الشيخ/ **منصور أبو الحسنى**، أبا خالد، فجزى الله الجميع عنا كل خير ووفقهم لما يحب ويرضى.

الباحث

محمد يوسف محمد العيوطي

---

(1) أبو داود، سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، (ج4/255) (ح4811)، صححه الشيخ الألباني.

فهرس المحتويات

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أَنفسنا ومن سيئات أَعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1].

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ ، ثم أما بعد:

فإن من نعم الله ﷻ على أمة محمد ﷺ أن أكمل لها دينها، وجعله محفوظًا إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:3] وقد جعل سبحانه أصل هذا الدين يقوم على العقيدة الصحيحة، كيف لا وقد جعل النبي ﷺ أول أركانه (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، بل إن ترسيخ العقيدة في قلوب الناس هو العمل الذي قام به جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36].

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي نزلت على النبي ﷺ، وأن من أهم المواضيع التي تناولها هو ترسيخ العقيدة الصحيحة وتثبيتها في قلوب المسلمين خاصة في العهد المكي، فالقرآن الكريم هو أهم مصادر العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص لله تعالى، ومن هنا جاءت فكرة عنوان هذه الرسالة التي أسميتها " **قضايا العقيدة في سورة الحديد دراسة مقارنة بين السلف والمتكلمين** ".

أولًا: أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال:

1- أن البحث يتناول أقدس الكتب، وأشرفها، وهو كتاب الله ﷻ.

2- يتناول البحث أشرف العلوم، وأعظمها، وهو علم العقيدة الذي لا حياة ولا نعيم للنفوس إلا بمعرفته والعمل بمقتضاه.

3- أن البحث يتعلق بسورة الحديد التي تناولت قضايا عقائدية بالغة الأهمية، مثل أقسام التوحيد، والإيمان بالرسل، والكتب السماوية، والإيمان باليوم الآخر، و بالقضاء والقدر خيره

وشره، وهذه القضايا تمثل أغلب أركان التوحيد والتي لا يستقيم إيمان عبدٍ إلا إذا آمن بها جميعًا.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

1- ورود الكثير من القضايا العقدية المهمة في سورة الحديد والتي شملت أغلب أركان الإيمان، مما دفع الباحث إلى جمع هذه القضايا وترتيبها.

2- بيان الفهم الصحيح لآيات العقيدة في سورة الحديد وفق منهج السلف.

3- بيان الانحرافات التي وقع فيها المعتزلة والأشاعرة في آيات العقيدة في سورة الحديد.

ثالثًا: أهداف البحث:

1- دراسة قضايا العقيدة في سورة الحديد وإسقاطها على ما شابهها من قضايا العقيدة التي وردت في باقي سور القرآن الكريم.

2- التعريف بالسلف والمتكلمين – المعتزلة والأشاعرة – وبيان تقسيماتهم للتوحيد.

3- بيان معتقدات السلف والمتكلمين في قضايا العقيدة في سورة الحديد.

4- تقوية الإيمان بالله (ﷻ) وغرس العقيدة الصحيحة القويمة في نفوس المسلمين، وذلك من خلال بيان الفهم الصحيح لآيات العقيدة في سورة الحديد.

رابعًا: الدراسات السابقة:

بعد التحري والبحث، وجد الباحث عدة دراسات سابقة تناولت البحث في سورة الحديد ومن هذه الدراسات:

1- دراسة بعنوان: (سورة الحديد من أولها إلى الآية الخامسة عشرة – دراسة تحليلية–) رسالة ماجستير للباحث: باسم علي محمد صالح الزباجي، إشراف الدكتور / صالح يحيى صواب، جامعة الإيمان– اليمن، تناول الباحث في هذه الرسالة عدة جوانب في أول خمس عشرة آية من سورة الحديد، حيث تناول: معنى الآيات والقراءات الواردة فيها، التحليل الإيماني العقائدي، التحليل الأصولي، التحليل الفقهي، والتحليل التربوي السلوكي.

2- دراسة بعنوان: (صفات المنافقين من خلال تفسير سورة الحديد) للباحث: صهيب بن عيسى المرزوقي، إشراف الاستاذ الدكتور / عيد بن حجيج الجهني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تناول الباحث في هذه الرسالة مفهوم النفاق وصفات المنافقين، وما هو عقاب المنافقين، وما هي أنواع النفاق وخطره على النفس البشرية، وطرق الوقاية من النفاق.

ولكن ما يميز هذه الدراسة في كونها ستتناول قضايا العقيدة في سورة الحديد عند السلف والمتكلمين (المعتزلة والأشاعرة).

خامسًا: منهج البحث:

اعتمد الباحث علي المنهج الوصفي (1) التحليلي (2) المقارن (3) من خلال كتب التفسير والعقيدة، لأنها من أنسب مناهج البحث العلمي لمثل هذه الموضوعات، حيث قام بجمع القضايا العقدية الموجودة في سورة الحديد، ودراستها دراسة تحليلية وفق منهج السلف، ومقارنتها مع منهج المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة.

سادسًا: طريقة البحث:

1- تخريج الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

2- عزو الأحاديث إلى مظانها الصحيحة ونقل الحكم عليها ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما وتميزها بوضعها بين قوسين هلالين بهذا الشكل ﴿ ﴾ ثم توثيقها في الحاشية.

3- أخذ النصوص من مظانها، وعزوها إلى أصحابها.

4- حين الاقتباس من كتاب، أوثقه في الحاشية بذكر اسم المؤلف أولاً، ثم اسم الكتاب، ثم الجزء والصفحة.

---

(1) **المنهج الوصفي:** "هو أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة". ويرى آخرون أن "المنهج الوصفي عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها ". رجاء وحيد دويدري، البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية (ص 183).

(2) **المنهج التحليلي:** "هو تمحيص الوقائع واخضاعها لتفسيرات سببية ومقارنات، واختبار صحة الفروض، والقيام بالتجارب معتمداً على القياس الكمي أكثر من النوعي للوصول للحقائق العلمية، في إطار ما يجب أن يكون". المشوخي، تقنيات ومناهج البحث العلمي (تحليل أكاديمي لكتابة الرسائل والبحوث العلمية) (ص179).

(3) **المنهجَ المقارِن:** هو دراسة الظواهر من خلال مقارنتها مع بعضها البعض من حيث أوجه الشبه والاختلاف؛ وذلك من أجل التعرف على العوامل المسببة لحادث أو ظاهرة معينة والظروف المصاحبة لذلك، والكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر. انظر: عليان، وغنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي (النظرية والتطبيق) (ص56).

5- كتابة الرابط الإلكتروني للمصادر الإلكترونية، وكتابة اليوم والتاريخ الذي تم فيه التوثيق.

6- بيان معني الكلمات الغريبة، والترجمة لبعض الشخصيات في الهوامش إن وجد.

7- وضع فهارس للآيات والأحاديث والأعلام، وفهارس المراجع والموضوعات.

سابعًا: خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة بينت فيها (أهمية البحث، وسبب اختيار موضوع البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وطريقة البحث) ثم قسمت البحث إلى تمهيد، وثلاثة فصول، وفي كل فصل مباحث ومطالب، موزعة على النحو التالي:

التمهيد: ويشمل على

أولًا: اسم السورة وسبب تسميتها، وعدد آياتها، وهل هي مكية أم مدنية ؟

ثانيًا: أبرز المواضيع العقائدية في سورة الحديد.

ثالثًا: التعريف بالسلف، والمتكلمين (المعتزلة، الأشاعرة).

الفصل الأول

التوحيد وثمراته ونواقضه في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع التوحيد عند السلف والمتكلمين في سورة الحديد.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوحيد، وبيان أقسامه عند السلف والمتكلمين.

المطلب الثاني: توحيد الربوبية في سورة الحديد وموقف السلف والمتكلمين.

المطلب الثالث: توحيد الألوهية في سورة الحديد وموقف السلف والمتكلمين.

المطلب الرابع: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحديد وموقف السلف والمتكلمين.

المبحث الثاني: ثمار التوحيد ونواقضه في سورة الحديد.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثمار التوحيد في سورة الحديد.

المطلب الثاني: نواقض التوحيد في سورة الحديد.

الفصل الثاني

الرسل والكتب السماوية في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الرسل في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالرسل.

المطلب الثاني: الرسل الوارد ذكرهم في سورة الحديد.

المطلب الثالث: مهام الرسل في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

المبحث الثاني: الكتب السماوية في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الثاني: الكتب السماوية الوارد ذكرها في سورة الحديد.

المطلب الثالث: خصائص الكتب السماوية في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

الفصل الثالث

اليوم الآخر، والقضاء والقدر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اليوم الآخر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثاني: الصراط في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

المطلب الثالث: الميزان في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

المطلب الرابع: الجنة والنار في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

المطلب الخامس: عدم قبول الفدية يوم القيامة في سورة الحديد.

المبحث الثاني: القضاء والقدر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، وأدلته.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين.

المطلب الثالث: ثمار الإيمان بالقضاء والقدر.

الخاتمة:

وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

الفهارس: وتشمل:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: اسم السورة وسبب تسميتها، وعدد آياتها، وهل هي مكية أم مدنية؟

1- اسم السورة وسبب تسميتها:

تختلف السور من حيث عدد أسمائها فقد يكون للسورة اسم واحد، وقد يكون لها اسمان أو أكثر، وسورة الحديد من السور التي لها اسم واحد ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]، وبهذا كانت العادة في تسمية سور القرآن الكريم حيث تسمى كل سورة لقرينة موجودة فيها، وهذا ما أكده **الإمام الزركشي** في البرهان بقوله: " وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها.. "(1).

ويؤيد ذلك ما ذكره كلٌّ من الزحيلي وابن عاشور في تفسيرهما، فقال الزحيلي (2) " سميت سورة الحديد، للإشارة في الآية (25) منها إلى منافع الحديد، واعتماد مظاهر المدنية والعمران والحضارة عليه، سواء في السلم والحرب "(3).

وقال **ابن عاشور** (4): " هذه السورة تسمى من عهد الصحابة «سورة الحديد»... وكذلك سميت بذلك في المصاحف وفي كتب السنة، لوقوع لفظ «الحديد» فيها في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: 25]، وهذا اللفظ وإن ذكر في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: 96]، وهي سابقة في النزول على سورة الحديد على

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج270/1).

(2) "**هو وهبة الزحيلي** ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام 1932م، وكان والده حافظاً للقرآن الكريم عاملاً بحزم به، محباً للسنة النبوية، مزارعاً تاجراً، عمل مدرساً بجامعة دمشق عام 1963م، من كتبه: (الوجيز في أصول الفقه، الفقه الإسلامي وأدلته، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الفقه الحنبلي الميسر بأدلته وتطبيقاته المعاصرة..)". أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (ج368/1).

(3) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج287/27).

(4)"**هو محمد الطاهر بن عاشور**: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. من كتبه: (مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن...) ولد 1296هـ، توفي 1393هـ". الزركلي، الأعلام (6/ 174 - 175).

المختار، فلم تسم به؛ لأنها سميت باسم الكهف للاعتناء بقصة أهل الكهف، ولأن الحديد الذي ذكر هنا مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وخوذ، تنويهاً به إذ هو أثر من آثار حكمة الله في خلق مادته وإلهام الناس صنعه؛ لتحصل به منافع لتأييد الدين ودفاع المعتدين كما قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: 25] ".[1]

يتبين من أقول المفسرين السابقة أن سورة الحديد سميت بذلك لقرينة فيها حيث ذكر فيها الحديد، وأن فيه بأس شديد، ومنافع للناس كما قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد: 25].

2- عدد آياتها، وهل هي مكية أم مدنية ؟

المسألة الأولى: اختلف أهل العلم في عدد آيات سورة الحديد إلى فريقين:

الفريق الأول: أهل المدينة ومكة والشام فيقولون: إنَّ عدد آيات سورة الحديد ثمان وعشرون.

الفريق الثاني: أهل البصرة والكوفة فيقولون: إنَّ عدد آيات سورة الحديد تسعٌ وعشرون.

وقد أشار إلى هذين الفريقين جمع من العلماء منهم:

أ- **الفيروزآبادى** بقوله: " وآياتها تسع وعشرون في عدّ الكوفة والبصرة، وثمان وعشرون في عدّ الباقين، وكلماتها خمسمائة وأَربع وأَربعون، وحروفها أَلفان وأَربعمائة وستةٌ وسبعون. المختلف فيها آيتان: ﴿مِن قِبَلِهِ العذاب﴾ و ﴿الإِنجيل﴾ "[2].

ب- **أبو عمرو الداني** [3] بقوله: "وهي عشرون وتسع آيات في الكوفي والبصري وثمان في عدد الباقين اختلافها آيتان ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] عدها الكوفي ولم يعدها الباقون ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: 27] عدها البصري ولم يعدها الباقون"[4].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج353/27).

(2) الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(ج453/1).

(3) "**هو الإمام الحافظ المجود المقرئ الحاذق عالم الأندلس أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي ثم الداني،** ذكر أن والده أخبره أن مولدي في سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة فابتدأت بطلب العلم في أول سنة ست وثمانين أعلام النبلاء ط الحديث، مات أبو عمرو يوم نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة ". الذهبي، سير أعلام النبلاء (13/ 317، 321).

(4) أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن(ص 241).

يتضح مما سبق أنه اختُلف في عدد آيات سورة الحديد على فريقين، وهذا الاختلاف كان في مواضع الوقوف على الفواصل التي بين الآيات، وإلا فهي نفس الكلمات ونفس الحروف إلا أن البعض قد يعتبر هذه آية والبعض يعتبرها آيتين، ففي عد الكوفيين والبصريين تسعٌ وعشرون آية، وفي عد أهل المدينة ومكة والشام ثمانٍ وعشرون أية، ولكن الباحث يلاحظ أن عد الكوفيين والبصريين هو ما يميل له أكثر أئمة التفسير: كالإمام القرطبي[1] (رحمه الله تعالى).

المسألة الثانية: اختلف أهل العلم في كون سورة الحديد مكية أو مدنية إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أنها مدنية وقال بذلك الجمهور، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل.

الفريق الثاني: يرى أنها مكية وقال بذلك ابن السّائب، والكلبي.

وقد أشار إلى هذين الفريقين جمع من العلماء منهم:

أ- **ابن الجوزي** [2] حيث قال: "وفيها قولان: أحدهما: إنها مدنيّة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: إنها مكّيّة، قاله ابن السّائب "[3].

ب- **الماوردي** [4]: " مدنية في قول الجمهور، قال الكلبي هي مكية "[5].

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي (ج235/17).

(2) **هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي**، الملقب بجمال الدين الحافظ؛ كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة، منها (زاد المسير في علم التفسير، المنتظم في التاريخ، الموضوعات....)، وكانت ولادته سنة ثمان، وقيل عشر وخمسمائة. وتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (140/3، 142).

(3) أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج232/4).

(4) "**هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي**: أقضى قضاة عصره. من كتبه: (أدب الدنيا والدين، الأحكام السلطانية، الحاوي ، الأمثال والحكم، الإقناع) ولد 364هـ ، وتوفي450 هـ". الزركلي، الأعلام (327/4).

(5) الماوردي، تفسير الماوردي (ج468/5).

ج- **القاسمي** [(1)]: " وهي مدنية على الأصح، بل قال النقاش: إنها مدنية بإجماع المفسرين، ونظم آياتها. وما تشير إليه، يؤيده قطعاً "[(2)].

إلا أن هناك من العلماء من جمع بين القولين فجعل بعض آياتها مدنية والبعض الآخر مكية، كابن عطية في تفسيره[(3)]، وابن عاشور في تفسيره[(4)].

ويتضح مما سبق أنه لا يمكن الجزم في كون سورة الحديد مكية أم مدنية، فالراجح أن بعض آياتها مكية، كالآيات التي ورد ذكرها في صدر السورة، والآية التي ورد ذكرها في حديث مسلم، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: ﴿مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلاَمِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الآيَةِ: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الحديد: 16] إِلاَّ أَرْبَعُ سِنِينَ﴾ [(5)] وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلامًا، فتكون هذه الآية مكية ، والبعض الآخر مدنية وهي تلك الآيات التي تتحدث عن المنافقين وأهل الكتاب.

---

(1) **هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق**، مولده ووفاته في دمشق، من كتبه: (الائل التوحيد، إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، محاسن التأويل...)، ولد سنة 1283 هـ، توفي سنة 1332 هـ . انظر: الزركلي، الأعلام (2/ 135- 136).

(2) القاسمي، محاسن التأويل (ج136/9).

(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج256/5).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج353/27- 354).

(5) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب التَّفْسِيرِ، باب {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ}،(ج243/8) (ح 7653).

ثانياً: أبرز المواضيع العقائدية في سورة الحديد

سورة الحديد شأنها شأن سور القرآن، فهي سورة عظيمة اشتملت على معظم أركان الإيمان، ومن ذلك الإيمان بالله، ورسوله، وكتبه، واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد بيَّن **ابن عاشور** في تفسيره أبرز مواضيع هذه السورة ومدى تناولها لمسائل وقضايا الإيمان بقوله إن سورة الحديد قد اشتملت على:

1- التذكير بجلال الله تعالى، وبأسمائه الجليلة، وصفاته العظيمة، والأمر بالإيمان بوجوده سبحانه، وسعة علمه، وبما جاء به رسوله ﷺ، وما أنزل عليه من الآيات البينات.

2- التنبيه لما في القرآن من الهدى وسبيل النجاة، والتذكير برحمة الله ورأفته بخلقه.

3- التحريض على الإنفاق في سبيل الله، وبيان حقارة الدنيا وأنها متاع الغرور.

4- بيان ما أعده الله لعباده المؤمنين يوم القيامة من خير، وفي المقابل ما أعده سبحانه للمنافقين.

5- التذكير بالبعث.

6- الأمر بالصبر على النوائب، وبيان الحكمة من إرسال الرسل وانزال الكتب (1).

وهذا ما صرح به **الفيروزآبادى** بقوله: "إن معظم مقصود السّورة: الإشارة إِلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات في الأَرض والسموات، وتنزيهُ الحقّ تعالى في الذَّات والصفات، وأَمر المؤمنين بإِنفاق النفقات والصّدقات، وذكر حيرة المنافقين في صحراءِ العَرَصَات وبيان خِسّة الدّنيا، وعزّ الجَنَّات، وتسلية الخَلْق عند هجوم النكبات والمصيبات، في قوله: ﴿**وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ**﴾ [الحديد: 29] بهذه الآيات"(2).

يتضح مما سبق أن سورة الحديد ركزت على الكثير من قضايا العقيدة وهذه سمة القرآن المكي، حيث نزل لترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الناس، وعلى ذلك فمن الخطأ الجزم بمدنية هذه السورة، والصحيح أن يقال: إنَّ بعض آيات هذه السورة مدنية وهي تلك التي تحدثت عن المنافقين وعن أهل الكتاب، والبعض الآخر من آياتها مكية وهي تلك التي تناولت قضايا العقيدة من الإيمان بالله، ورسوله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره.

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج355/27 - 356).

(2) الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج453/1).

والمدقق في "سورة الحديد" يجد أنها تناولت خمسة مواضيع رئيسة وهي:
أولاً: أن الله ﷻ هو خالق الكون ومبدعه، والمتصرف فيه.
ثانياً: وجوب التضحية بالنفس والمال لنصرة دين الله تعالى.
ثالثاً: بيان حقارة الدنيا وما فيها من متاع حتى لا يغتر بها المسلم.
رابعاً: بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين، وما أعده سبحانه للمنافقين.
خامساً: بيان الحكمة من إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ثالثاً: التعريف بالسلف، والمتكلمين (المعتزلة، الأشاعرة)

1- السلف:

أ- تعريف السلف: لغةً: السلف: "جمع سالف وكل مَا تقدمك من آبَائِك وَذَوي قرابتك فِي السن أَو الْفضل" [(1)].

وقد أشار إلى هذا المعنى البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56] فقال سلفاً قرأت "سُلُفًا" جمع سَلِيفٍ مِنْ سَلُفَ يُسْلِفُ، أي تقدم، وقرأت "سَلَفًا" جمع السَّالِفِ، أي الماضون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون[(2)].

ب- تعريف السلف: اصطلاحاً: " هم الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - والتَّابِعون لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ مِمَّنْ شُهِدَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ شَأْنِهِ فِي الدِّينِ، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ، أَوْ شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ مِثْلِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ "[(3)].

يتضح مما سبق أن السلف من الناحية الزمانية نوعان: نوع يقتدى به وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على دربهم إلى يوم القيامة، وهؤلاء يعرفون بالسلف الصالح، وذلك؛ لأنهم هم الذين فضلهم الله تعالى على البشر فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج444/1).
(2) انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، (ج218/7).
(3) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ج20/1).

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100] وقال النبي ﷺ في فضلهم: ﴿ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ فَلاَ أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ ﴾[1].

أما النوع الآخر: فهم أهل البدع والضلال، الذين أحدثوا في دين الله ما ليس فيه، ومن هؤلاء: الخوارج، والروافض، والمعتزلة، والمرجئة، وغيرهم ممن سار على دربهم، فهؤلاء لا يقتدى بهم ولا يعتبرون من السلف الصالح.

أما هذه الدراسة، فإنها تتناول قضايا العقيدة في سورة الحديد دراسة مقارنة بين السلف الصالح، والمتكلمين (المعتزلة، والأشاعرة).

ت- منهج السلف في العقيدة:

أولاً: تقديس النقل مع عدم إهمال العقل: فعلى الرغم من أن السلف يقدسون العقل إلا أنهم لم يهملوا العقل، بل إنهم يقولون أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل السليم، بل إن القرآن نبه على العديد من الأدلة العقلية التي تفيد في اثبات العقائد، مثل إثبات وجود الله تعالى ووحدانيته.

قال ابن تيمية: "إن السمعيات مملوءة من إثبات الصانع وقدرته وتصديق رسوله، ليس فيها ما يناقض هذه الأصول العقلية التي بها يعلم السمع، بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول، بل السمع فيه من بيان الأدلة العقلية علي إثبات الصانع، ودلائل ربوبيته وقدرته، وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار، فليس فيه . ولله الحمد . ما يناقض الأدلة العقلية التي بها يعلم صدق الرسول" [2].

ثانياً: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: قسم السلف التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات [3] ، قال شارح العقيدة الطحاوية: " فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء. والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له" [4].

---

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب خير القرون (ج185/7) (ح 6563).

(2) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج1/ 92- 93).

(3) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج3/ 289).

(4) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص78).

ثالثاً: أنهم وسطاً بين الطوائف في باب القدر: فالسلف وسط بين المعتزلة والأشاعرة، في باب القدر [(1)].

رابعاً: الأسماء والصفات: والأصل في هذا الباب أنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رَسُوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وأنهم ينفون ما نفاه سبحانه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، معتقدين أنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] [(2)]. فسلف هذه الأمة لا ينفون عن الله شيئاً مما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا يقاس بخلقه، فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه [(3)].

على ذلك فأسماء الله تعالى وصفاته عند السلف توقيفيه، فلا يجوز اطلاق شيء من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا ما أطلقه في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، كما يجب تنزيهه سبحانه عن مماثلة ومشابهة خلقه، وتنزيهه عن كل عيب ونقص، فصفاته سبحانه كلها صفات كمال، قال ابن تيمية: " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾رد على الممثلة، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، ومن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم" [(4)].

---

(1) انظر: البحث (ص225).

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج3/ 3).

(3) انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة (ص59).

(4) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج2/ 111).

كما أن أسماؤه سبحانه وتعالى كلها حسنى، تدل على صفات الكمال والجلال، فهي ليست أعلام جامدة، بل هي أعلام وأوصاف معاً، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى، بل إن نفي معاني أسماء الله وما تدل عليه من الصفات من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] (1) .

2- المعتزلة:

أ- تعريف المعتزلة: "المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل، والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدية"(2).

يتضح من التعريف أن أهم مصادر التشريع عند المعتزلة: هو العقل، بل إنه يعاب عليهم تقديمهم للعقل على النقل بشكل عام، وهذا كان السبب في ضلالهم، وانحراف منهجهم.

ب- النشأة والتسمية: المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة 105هـ وسنة 110هـ، بزعامة واصل بن عطاء. وقد نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وانتشرت في أكثر بلدان المسلمين انتشارًا واسعًا وقد ظهر قرن الاعتزال بمبادئه المعروفة من البصرة التي كانت مسكنًا للحسن البصري ثم انتشر في الكوفة وبغداد، ومنها إلى شتى الأقطار والآفاق. ومما يذكر للمعتزلة أنهم كانوا شوكة قوية في صد مبادئ الزندقة، وقاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام، إلا أنهم لم يحسنوا التصرف إزاء القول بخلق القرآن وغيره من المبادئ التي عجلت باضطهادهم بعد قوتهم وشدة جانبهم. وقد تفرقت المعتزلة فرقاً كثيرة، واختلفوا في المبادئ والتعاليم، ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة إلا أنه يجمعهم إطار عام وهو الاعتقاد بالأصول الخمسة (3).

---

(1) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج1/ 52).

(2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج64/1).

(3) انظر: عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (ج1163/3-1164).

أما سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم فقد اختلف فيه العلماء على أقوال:

1- " أنه دخل واحد على الحسن البصري [1] فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة"[2].

قال **البغدادي** [3]: "حدث في ايام الحسن البصري خلاف واصل بن عطا الغزال في القدر وفى المنزلة بين المنزلتين وانضم اليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الامة في دعواها ان الفاسق من امة الإسلام لا مؤمن ولا كافر" [4].

2- "وقيل إنهم سموا بذلك؛ لقولهم بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته"[5].

3- وقيل إنهم سموا بذلك؛ لاعتزال جماعة من الصحابة السياسة في زمن الخليفة الراشد علي رضى الله عنه وتركوا الخوض في تلك الخلافات التي نجمت بين علي ومعاوية رضى الله عنهما[6].

---

(1) **هو الْحسن بن يسَار الْبَصْرِيّ:** الْفَقِيه الْقَارئ الزَّاهِد العابد سيد زَمَانه إِمَام أهل الْبَصْرَة بل إِمَام أهل الْعَصْر، ولد بِالْمَدِينَةِ سنة إِحْدَى وَعشْرين فِي خلَافَة عمر رَضِي الله عَنهُ، مَات لَيْلَة الْجُمُعَة سنة عشر وَمِائَة وعمره تسعٌ وَثَمَانُونَ سنة وَقيل ستٌّ وَتسْعُونَ سنة. انظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات (ج190/12- 191).

(2) الشهرستاني، الملل والنحل (ج47/1 - 48).

(3) **هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور:** عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، من تصانيفه (أصول الدين، تفسير أسماء الله الحسنى، الملل والنحل ، الفرق بين الفرق)، توفي سنة 429هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج4/ 48).

(4) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص15).

(5) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج64/1).

(6) انظر: عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (1164/3).

ولكن رغم الاختلاف في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم إلا أن أكثر العلماء على أن سبب التسمية هو اعتزال واصل لمجلس الحسن البصري- عندما حكم على مرتكب الكبيرة أنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر- فأطلق عليه وعلى أصحابه معتزلة.

ج- منهج المعتزلة في العقيدة:

أولاً: الاعتماد على الأصول الخمسة: يقوم مذهب المعتزلة على أصول خمسة، قد أجمعوا عليها، واعتبروها الجامع، الذي يجمعهم، وإن اختلفوا في الكثير من المسائل الفرعية.

قال **أبو الحسين الخياط المعتزلي** (1) : "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي" (2).

فالمعتزلة لهم خمسة أصول بنوا عليها بدعهم الكلامية وهي:

1- العدل: ويقصدون به نفي القدر، وأن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه (3) "وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يريده، إذ لو خلقه ثم عذب العباد لأجله يكون ذلك جورًا والله عادل لا يجور"(4).

ويتضح مما سبق، مخالفة المعتزلة لمنهج السلف، فالسلف يقولون: بأن الله تعالى خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخير ويحبه، وخلق الشر لحكمة ولا يحبه، وتقسيم خلق الله تعالى إلى خير وشر بالنسبة للمخلوق، أما بالنسبة للخالق فكله خير، والعبد نفسه هو الذي يباشر فعل الخير وفعل الشر، فالله تعالى هو الخالق، والعبد هو الفاعل باختياره وإرادته، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، ولو قلنا إنه تعالى لم يرد الشر لوقع في ملك الله ما لا يريده الله وهذا محال؛ لأنه لا يقع في ملك الله، إلا ما يريده ولكن هذه الإرادة إرادة كونية لاشرعية (5).

---

(1) **هو أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط،** شيخ المعتزلة البغداديين، له الذكاء المفرط، وكان من بحور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة، من كتبه: (الاستدلال، ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة، ونقض نعت الحكمة، الرد على من قال بالأسباب) وغير ذلك، توفي سنة 290هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج220/14).

(2) أبو الحسين الخياط، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد (ص126- 127).

(3) انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص132).

(4) سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها (ج155/1- 156).

(5) انظر: البحث، معنى الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية (ص217).

2- التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الباري - سبحانه وتعالى - تنزيهاً له - بزعمهم - فيقولون إن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً [(1)].

يتضح من منهج المعتزلة أنهم أرادوا أن ينزهوا الله تعالى عن تشبيهه بالمخلوقين، فوقعوا فيما هو أشر من ذلك وهو التعطيل فنفوا عنه سبحانه صفات الكمال والجلال مدعين أن إثبات هذه الصفات تقتضي الوقوع في تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا باطل شرعاً وعقلاً، أما شرعاً فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وأما عقلاً فإن للإنسان يدًا وللباب يد، ولكن شتان بين يد الإنسان ويد الباب، فإذا كان هذا التفاوت بين المخلوقين فمن باب أولى أن يكون هذا التفاوت بين الخالق والمخلوق.

3- الوعد والوعيد: ويقصدون به إيجاب وقوع الثواب للمطيع، وإيجاب وقوع العقاب على مرتكب المعاصي، فلا يجوز على الله - بزعمهم - أن لا يعذبهم ويخلف وعيده [(2)].

وهذا مخالف لمنهج السلف، فالسلف يقولون: إنَّ الله تعالى لا يخلف وعده ولكن قد يخلف وعيده لعصاة المسلمين، فالمطيع يثيبه الله تعالى على طاعته بالجنة، والعاصي إما أن يعذبه وإما أن يرحمه، فالله تعالى على كل شيء قدير، يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، وكل شيء عنده بمقدار.

4- المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل متلازم مع أصل الوعد والوعيد، فزعموا أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فلا يسمى مؤمناً ولا يسمى كافراً [(3)].

ولكن منهج السلف في مرتكب الكبيرة أنه تحت المشيئة، فإن شاء الله تعالى عذبه، وإن شاء غفر له.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "وقصدوا به الخروج على الحاكم الفاسق الظالم، وحمل الناس على ما يؤمنون به بالحجة والبرهان، أو بالقوة والسلطان، كما فعلوا في محنة خلق القرآن"[(4)].

وهذا مخالف لمنهج السلف، فإنه لا يجوز الخروج على ولي الأمر المسلم بحال من الأحوال، ولو فعل الكبائر والمنكرات، لكن النصيحة مبذولة والدعاء له بالصلاح والمعافاة، ولا يجوز خلعه بحال إلا إذا كفر كفرًا بواحًا صريحاً عندنا من الله فيه برهان، ووجدت القدرة ووجد

---

(1) انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص128).

(2) انظر: المرجع السابق (ص135- 136).

(3) انظر: المرجع السابق (ص137).

(4) سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها (ص156).

البديل المسلم، أما إذا لم يوجد قدرة، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فإن لم يكن عند الناس قدرة على الخروج، عليهم بالصبر على إمامهم حتى ولو كان كافراً، ويطالبون بحقوقهم، ولو كانت الدولة كافرة[1].

ويتضح مما سبق، أن المعتزلة خالفوا السلف في أصول الإيمان، أما أصول الإيمان عند السلف فهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهي ستة أصول؛ أما أصول الإيمان عند المعتزلة فهي خمسة أصول، وهي: العدل، والتوحيد، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل أصل من هذه الأصول جعلوا له معنًى باطلاً مخالفًا لمنهج السلف معتمدين في ذلك على الأدلة العقلية دون النقلية إلا إذا جاءت الأدلة النقلية موافقة لمعتقداتهم جعلوها زائدة على قدر الحاجة، وجعلوها كالمدد الذي جاء للجيش بعد انتصاره.

ثانياً: تقديس العقل وتقديمه على النقل: فالمعتزلة يقدسون العقل، ويقدمونه على النقل حال توهم التعارض بينهما، بل إنهم يعتبرون العقل أصل في الدلالة والنقل فرع، قال **القاضي عبد الجبار المعتزلي** [2] : "اعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل... ثم قال: الكلام في أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل؛ فلأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله، والحال هذه، كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز" [3].

يتضح مما سبق: أن المعتزلة قعّدوا لأنفسهم قواعد، تتفق مع مخالفتهم التي انحرفوا بها عن الشرع، منها: تقديس العقل، وتقديمه على النقل، فالعقل عندهم حاكم على النقل، وهو المصدر الأول للاعتقاد، ومتى خالف النقل العقل في زعمهم، فإنه يجب طرحه أو تأويله، وهذا مخالف لمنهج السلف، الذي يقوم على أساس، تقديس النقل، وأنه لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح، وإذا حصل تعارض إما أن يكون لعجز العقل عن فهم النص، أو يكون النقل غير صحيح.

---

(1) انظر: الراجحي، شرح العقيدة الطحاوية (ص:280).

(2)"**هو عبد الْجَبَّار بن أَحْمد القَاضِي أَبُو الْحسن الْهَمدَانِي المعتزلي** قَاضِي قُضَاة الرّيّ شيخ الاعتزال توفّي سنة أَربع عشرَة وَأَرْبع مائَة وَقيل سنة خمس عشرَة زَاد سنة على التسعين وَكَانَ كثير المَال وَالْعَقار ولي قَضَاء الْقُضَاة بِالريِّ وأعمالها بعد امْتنَاع مِنْهُ... وَهُوَ صَاحب التصانيف الْمَشْهُورَة فِي الاعتزال وَتَفْسِير الْقُرْآن وَكَانَ مَعَ ذَلِك شَافِعِيّ الْمَذْهَب". صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات (ج20/18-21).

(3) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص88).

3- الأشاعرة:

أ- **تعريف الأشاعرة:** " فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين، والعقيدة الإسلامية، على طريقة ابن كلاب(1) "(2).

يتضح من التعريف أن فرقة الأشاعرة فرقة كلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري، بدأت بنزعات كلامية أخذها الأشعري عن ابن كلاب، كانت تعتمد على البراهين والدلائل العقلية في محاججة خصومها، لذا خالفت السلف في الكثير من أفكارها.

ب- **النشأة والتسمية:** ظهرت الأشعرية في القرن الثالث الهجري، وهى في الأصل نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان في أول أمره على مذهب المعتزلة، ثم تركه ثم انتسب إلى ابن كلاب، وهى المرحلة الثانية من المراحل التي مر بها الأشعرية، ولم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف، ولكن بعض الأشاعرة ينتسبون إليه ولكن في مرحلته الثانية، ومن انتسب إليه في مرحلته الثالثة فقد وافق السلف (3).

ففرقة الأشاعرة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري: " هو العلامة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري، ولد سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، من مؤلفاته: (مقالات الإسلاميين، والإبانة، ورسالة إلى أهل الثغر، والرد على المجسمة، والرد على ابن الرَّاوَنْدي، ومقالات الملحدين، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)" (4).

---

(1) "**هو أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيْدِ بن كُلاَّبٍ القَطَّانُ**، البَصْرِيُّ، رَأْسُ المُتَكَلِّمِيْنَ بِالبَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ فِي الرَّدِّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ: كُلاَّباً؛ لأَنَّهُ كَانَ يَجُرُّ الخَصْمَ إِلَى نَفْسِهِ بِبَيَانِه وَبَلاَغَتِه، وَأَصْحَابُهُ هُمُ الكُلاَّبِيَّةُ، وَلابْنِ كُلاَّبٍ:(كِتَابُ الصِّفَاتِ، وَكِتَابُ خَلْقِ الأَفْعَالِ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ) توفي بعد الأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ بِقَلِيل". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج11/174- 176)، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج2/ 299).

(2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج1/83).

(3) انظر: عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها(ج3/1205).

(4) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (15/ 85 -88).

وعلى ذلك فقد مر أبو الحسن الأشعري أثناء حياته بثلاث مراحل اعتقادية وهي:

المرحلة الأولى: المرحلة الاعتزلية:

في هذه المرحلة قَامَ أبو الحسن على مَذَاهِب الْمُعْتَزِلَة أَرْبَعِينَ سنة، وَكَانَ لَهُم إِمَامًا، ثمَّ غَابَ عَن النَّاس فِي بَيته خَمْسَة عشر يَوْمًا، فَبعد ذَلِك خرج إِلَى الْجَامِع، فَصَعدَ الْمِنْبَر، معلناً انخلاعه من مذهب المعتزلة، فَأَما سَبَب رُجُوع أَبِي الْحسن عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وتبريه مِمَّا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ، أنه لَمَّا تَبَحَّرَ فِي كَلامِ الاعْتِزَالِ، وَبَلَغَ الغاية فيه كَانَ لا يَجِدُ جَوَابًا شَافِيًا عن كثير من الأسئلة التي يطرحها على أساتذته، فَتَحَيَّرَ فِي ذَلِكَ، فحكى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَقَعَ فِي صَدْرِي فِي بَعْضِ اللَّيَالِي شَيْءٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الْعَقَائِدِ، فَقُمْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنِي الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَنِمْتُ فَرَأَيْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ بَعْضَ مَا بِي مِنَ الأَمْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكَ بِسُنَّتِي فَانْتَبَهْتُ وَعَارَضْتُ مَسَائِلَ الْكَلامِ بِمَا وَجَدْتُ فِي الْقُرْآنِ وَالأَخْبَارِ فَأَثْبَتُّهُ وَنَبَذْتُ مَا سِوَاهُ وَرَائِي ظِهْرِيًّا[1].

المرحلة الثانية: المرحلة الكلابية:

في هذه المرحلة، وبعد رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب المعتزلة، "سلك طريقة ابن كلاب، وتأثر بها لفترة طويلة، ولعل السبب في ذلك، أنه وجد في كتب ابن كلاب وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم، وكان ابن كلاب قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم. ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة، إلا أنه وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته، فنفى كما نفت المعتزلة أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته. كما نفى أيضاً الصفات الاختيارية مثل: الرضى، والغضب، والبغض، والسخط وغيرها. وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطًا يؤلف ويناظر ويلقى الدروس في الرد على المعتزلة سالكًا هذه الطريقة"[2].

المرحلة الثالثة: المرحلة السنية:

في هذه المرحلة "أعلن فيه الأشعري انتسابه إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه الإبانة، وتصريحه بذلك يدل على أنه وقف على كتب الإمام أحمد، واستقى منها كثيراً في

(1) انظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص38- 39).

(2) محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم (ص94- 95).

العقيدة، وهذا يظهر في كلامه على الصفات، ومطابقته لكلام الإمام أحمد، وذلك مثل: صفة الكلام"[1].

ويتضح مما سبق، أن الأشعري قد سلك ثلاث طرق، كان أولها: طريق المعتزلة، ثم تبرأ منها، وثانيها: طريق الأشاعرة والتي أخذها عن ابن كلاب ثم تبرأ منها، وثالثها: طريق أهل السنة وهي طريق الحق التي تشبث بها، وعلى ذلك فإن نسبة الأشعرية إلى أبي الحسن الأشعري كانت مرحلية انتهت بإعلان انتسابه إلى طريق أهل السنة – طريق الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– وذلك في مقدمة كتابه الإبانة، لذلك من الخطأ بقاء نسبة الأشاعرة لمن خلع ثوبها وتبرأ منها.

ت– منهج الأشاعرة في العقيدة: يظهر منهج الأشاعرة في العقيدة من خلال النقاط التالية:

أولاً: اثبات بعض الصفات الإلهية: أثبت الأشاعرة لله تعالى سبع صفات فقط سموها صفات المعاني وباقي الصفات خاضوا فيها بالتأويل، الذي نهى عنه السلف، خاصة الصفات الخبرية الفعلية والذاتية، التي وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، مثل: صفات اليد، والعين، والنفس، والوجه، والاستواء على العرش، والنزول، والمجيء، والرضا، والغضب، والحب، والبغض وغيرها؛ فإنهم لم يؤمنوا بهذه الصفات كما جاءت، بل أولوها، وصرفوا ألفاظها إلى غير ظاهرها، هروبا من التجسيم والتمثيل[2].

يتضح مما سبق، أن الأشاعرة غفلوا عن ما يترتب على قولهم في باب الصفات، فقد أثبتوا لله تعالى سبع صفات، وهي: (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) وأولوا الباقي هروباً من التشبيه والتجسيم، فوقعوا في التعطيل، فهل فات هذا الفهم الذي فهمه الأشاعرة النبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ والتابعين، وأئمة الهدى من بعدهم الذين أمروا صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، معتمدين على قاعدة أصلها الله تعالى في كتابه، حيث قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

ثانياً: الاعتماد على العقل في تقرير مسائل الاعتقاد: فالقاعدة عند الأشاعرة كما قررها الرازي حيث قال: " الدَّلَائِل النقلية ظنية وَأَن الْعَقْلِيَّة قَطْعِيَّة وَالظَّن لَا يُعَارض الْقطع"[3]، وقال أيضاً: "لو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية، صار العقل متهماً، غير مقبول القول، ولو كان

---

(1) أبو الحسن الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص36).

(2) عَلوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (ج142/2).

(3) الرازي، معالم أصول الدين (ص25).

كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم نثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وإنه باطل، فالدلائل النقلية بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة إما أن تكون غير صحيحة، أو أنها صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها، وهذا أمر نقطع به" [1].

يتضح مما سبق، أن الأشاعرة يقدسون العقل، ويقدمونه على النقل حال توهم التعارض بينهما، بل إنهم يجعلون العقل هو الحكم على كل الأشياء، فالقبيح ما يراه قبيحًا والحسن ما يراه حسنًا، وهذا مخالف لمنهج السلف الذين قدموا النقل على العقل، وجعلوا العقل تابع للنقل، وأنه لا يمكن أن يحدث بينهما تعارض، فإن حصل فإما أن يكون العقل غير سليم أو النقل غير صحيح أو أن دلالته غير مفهومه.

وقد أصَّلَ شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك قائلًا: "إن العقل الصريح كلما أمعن في تحقيقه لا يكون إلا موافقًا للشرع الذي جاءت به الرسل"[2].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: "لا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح، وإنما يظن تعارضهما من غلط مدلولهما أو مدلول أحدهما، كمن يعارض الدلالات العقلية الصريحة من السوفسطائية[3] وأمثالهم، وكمن يظن تعارض الأدلة السمعية من الملاحدة"[4].

ثالثاً: الخلط بين الربوبية والألوهية: فالأشاعرة يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام: إنَّ الله واحد في ذاته لا قسيم له، وأنه واحد في صفاته لا شبيه له، وأنه واحد في أفعاله لا شريك له[5]، "وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث، وبه يفسرون معنى لا إله إلا الله، والألوهية "[6] وهي القدرة على الاختراع والخلق[7]، وعلى ذلك فمعنى لا إله إلا الله –عندهم– لا خالق إلا الله.

---

(1) الرازي، أساس التقديس في علم الكلام (ص130).

(2) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج319/5).

(3) هم فرقة ينكرون المحسوسات وهم من أصناف الكفرة، الذين قبل الإسلام، ووجه سفسطة هذه الطوائف أنهم جحدوا معان نصوص الصفات مع علمهم بما دلت عليه تلك النصوص من المعان المعروفة لغة وشرعاً كقولهم: "في استوى" استولى. فالح بن مهدي الدوسري، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، (ج49/1).

(4) ابن تيمية، مرجع سبق ذكره (ج39/7).

(5) انظر: الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد (ص52).

(6) عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ج946/3).

(7) انظر: البغدادي، أصول الدين (ص123).

يتضح مما سبق أن الربوبية والألوهية بمعنى واحد عند الأشاعرة، لذلك أسقطوا توحيد الألوهية من أقسام التوحيد وجعلوا التوحيد قسمين، وهما توحيد الربوبية ويشمل(واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له)، وتوحيد الأسماء والصفات ويشمل(واحد في صفاته لا شبيه له)، وعلى ذلك فالرب والإله عندهم واحد، وهذا مخالف لمنهج السلف الذين جعلوا التوحيد ثلاثة أقسام: (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، وأكثر هذه الأقسام أهمية هو توحيد الألوهية، فهو الذي ضلت فيه الأمم والفرق والطوائف حتى اليوم.
رابعاً: الخلط بين الإرادة الكونية، والإرادة الدينية، في باب القدر: فالأشاعرة أثبتوا إرادة واحدة، وهي الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة، وجعلوها بمعنى المحبة والرضا [1] .

---

(1) انظر: البحث (ص225).

الفصل الأول

التوحيد ثمراته ونواقضه في سورة الحديد

بين السلف والمتكلمين

المبحث الأول: أنواع التوحيد في سورة الحديد

المطلب الأول: تعريف التوحيد، وبيان أقسامه عند السلف والمتكلمين

أولاً: تعريف التوحيد:

1- التوحيد لغةً:

التوحيد في اللغة مشتق من" وحد، يوحد وحداً وحدة ووحدة ووحودًا وَحدة بَقِي مُفردًا"[(1)]"ووَحَّدَهُ تَوْحِيداً: جَعَلَهُ واحِداً... والله الأَوحدُ والمُتَوَحِّدُ: ذُو الوَحْدانِيَّةِ". [(2)] "وَقيل: الأَحَدُ الّذي لَا ثانيَ لَهُ فِي رُبُوبيّته وَلَا فِي ذاتِه وَلَا فِي صِفاته، جلَّ شأْنُه"[(3)].

قال الأَزهري [(4)]: " وَرَجُلٌ وحِيدٌ: لَا أَحَدَ مَعَهُ يُؤنِسُه؛ وَقَدْ وَحِدَ يَوْحَدُ وَحادةً ووَحْدَةً وَوَحْداً. وَتَقُولُ: بَقِيتُ وَحيداً فَريداً حَريداً بِمَعْنًى وَاحِدٍ"[(5)].

" الوَحَدُ: المُنْفَرِدُ من كلِّ شْيءٍ، وكذلك الوَحِيْدُ"[(6)].

ويتضح مما سبق أن التوحيد في اللغة يعني التفرد، وجعل الشيء واحداً، وتوحيد الله هو اعتقاد أن الله واحد لا ثاني له في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

2- التوحيد اصطلاحاً:

أ- التوحيد في اصطلاح السلف: "هو إفراد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وفي أسمائه، وصفاته"[(7)]، وبذلك فهذا التعريف جامع لأنواع التوحيد الثلاثة وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وقد أشار إلى معنى هذا التعريف الإمام السفاريني حيث قال في تعريف التوحيد: "هُوَ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفْعَالًا، فَلَا تَقْبَلُ ذَاتُهُ الِانْقِسَامَ بِوَجْهٍ، وَلَا

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرين، المعجم الوسيط (ج1016/2).

(2) الفيروزآبادى، القاموس المحيط (ص 324).

(3) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج376/7).

(4) **هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي:** أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده " الأزهر " من كتبه: (تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، وتفسير القرآن، فوائد منقولة من تفسير للمزني)، ولد 282هـ، وتوفي 370هـ. انظر: الزركلي، الأعلام (ج311/5).

(5) ابن منظور، لسان العرب (ج448/3).

(6) أبو القاسم الطالقاني، المحيط في اللغة (ج244/1).

(7) عمر بن سعود بن فهد العيد، شرح لامية ابن تيمية (ص 11).

تُشْبِهُ صِفَاتُهُ الصِّفَاتِ وَلَا تَنْفَكُّ عَنِ الذَّاتِ، وَلَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ الِاشْتِرَاكُ، فَهُوَ الْخَالِقُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ"(1).

وقد أشار أيضاً إلى هذا المعنى السعدي في تفسير قوله تعالى:" ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]، فقال: أنه ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه"(2).

خلاصة ما سبق، أن تعريف التوحيد يجب أن يكون شاملًا جامعًا مانعًا، جامعًا: يجمع أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومانعًا من دخول غيرها فيها.

ب- التوحيد في اصطلاح المتكلمين:

أولاً: تعريف التوحيد عند الأشاعرة: "هو العلم بأن الله ﷻ واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه" (3) .

وقال **الباقلاني** (4): " التوحيد: هو الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد معبود، ليس كمثله شيء، وأنه الأول قبل جميع المحدثات. الباقي بعد المخلوقات، العالم الذي لا يخفى عليه شيء، والقادر على اختراع كل مصنوع، وإبداع كل جنس مفعول، وأنه الحي الذي لا يموت، والدائم

---

(1) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ج57/1).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص77).

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين (1/ 108).

(4)"**هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي** المعروف بابن الباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة، سكن بغداد، وكان أعرف الناس بعلم الكلام، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم، مات سنة ثلاث وأربع مائة". انظر: أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (364/3).

الذي لا يزول، فهو إله كل مخلوق، ومبدعه، ومنشئه، ومخترعه، وأنه لم يزل مسمياً لنفسه بأسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفاته" (1) .

وقال **الشهرستاني** (2): "وأما التوحيد فقد قال أهل السنة– الأشاعرة–: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له" (3).

ثانياً: تعريف التوحيد عند المعتزلة: قال **القاضي عبد الجبار المعتزلي:** " التوحيد: هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً واثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به. ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم، والإقرار جميعاً. لأنه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحداً" (4) .

قال **الشهرستاني:** "وقال أهل العدل– المعتزلة– : إن الله تعالى واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله؛ لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد" (5).

يتضح مما سبق، أن المتكلمين أسقطوا أهم نوع من أنوع التوحيد، وهو توحيد الألوهية، فكان جل تركيزهم على توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فجعلوا الربوبية والألوهية بمعنى واحد، فالرب والإله عندهم واحد، أما توحيد الأسماء والصفات فقد أثبتوا لله تعالى الأسماء الحسنى، لكنهم اختلفوا في اثبات الصفات فمنهم من أثبت لله تعالى سبع صفات ونفى الباقي، وهم الأشاعرة، ومنهم من نفى جميع صفات الله تعالى وهم المعتزلة، وقد كان نفيهم للصفات الإلهية بحجة عدم التشبيه والتجسيم.

لذا فالتوحيد في حقيقته عند المعتزلة: "هو نفي الصفات، يقولون: إذا أثبتنا سمعًا وبصرًا وقدرة، وعلماً، ورحمة، ومحبة، ويداً، ووجهاً، وعلوًا، ونزولًا، وما أشبه ذلك؛ لم نثبت واحدًا بل أثبتنا عدداً فلا نكون موحدين، الموحد هو الذي يثبت واحداً، وهو الله، ولا يجعل له صفات، فإن

---

(1) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص22– 23).

(2) **هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد من أهل شهرستانة.** كان إماماً فاضلاً، متكلماً، أصولياً، سكن بلاد خراسان وأقام بها مدة. ولد سنة تسع وستين وأربعمئة بشهرستانه، وتوفي بها في سنة ثمان وأربعين وخمسمئة. انظر: السمعاني، التحبير في المعجم الكبير (2/ 160– 162)

(3) الشهرستاني، الملل والنحل (ج42/1).

(4) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص128).

(5) الشهرستاني، مرجع سبق ذكره (ج42/1).

الصفات تكون زائدة عن الذات عندهم، ويقولون: إن القدم لله وحده، ولو كانت الصفات قديمة لكان القدماء عدداً، وهذا من شبههم"[1].

أما التوحيد في حقيقته عند الأشاعرة: "هو نفي التثنية، والتعدد بالذات، ونفي التبعيض، والتركيب، والتجزئة، أي: نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه، واليدين، والعين؛ لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم"[2].

ويتضح مما سبق، مخالفة كلٍّ من المعتزلة، والأشاعرة للسلف، شرعاً، وعقلاً، أما شرعاً فيقال للمعتزلة والأشاعرة: إن الله سبحانه وتعالى أثبت في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ تفرده سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له، كما أثبت لنفسه سبحانه الكثير من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والتي يثبتها له السلف من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

أما عقلاً: فإن الصفات تابعة للموصوف ودالة عليه، فنقول مثلاً جاء زيد وهو واحد مع أنه له رجلين ويدين وعينين وظهر وفم إلا أنه رجل واحد بذات واحدة، فكيف يكون ذلك ممكناً في حق المخلوق وممتنعًا في حق الخالق سبحانه وتعالى؟ فذاته سبحانه واحدة وصفاته متعددة.

ويقال للمعتزلة: كما أنكم أثبتم لله تعالى الأسماء، فلزمكم أيضاً أن تثبتوا له الصفات، فالقول في الأسماء، كالقول في الصفات، فكما أن أسماءه لا تشبه أسماء المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، فمن أبطل الباطل أن نقول: بأنه سبحانه حي بلا حياة، وعليم بلا علم، وقدير بلا قدرة.

كما ويقال للأشاعرة: كما أنكم أثبتم لله تعالى سبع صفات، وهي: (العلم والحياة والإرادة والكلام والسمع والبصر والقدرة)، فلزمكم أيضاً أن تثبتوا لله تعالى باقي الصفات، كالغضب، والرضا، واليد، والاستواء، والعلو؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فكما أنكم تقولون: إنَّ علم الله وإرادته ليستا كعلم المخلوقين وإرادتهم، فكذلك غضب الله ورضاه ليسا كغضب المخلوقين ورضاهم، فالاشتراك في الاسم لا يعني الاشتراك في المسمى.

---

(1) ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية (ص 9).

(2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج88/1).

ثانياً: أقسام التوحيد عند السلف والمتكلمين:

1- أقسام التوحيد عند السلف:

قسم السلف التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أ- توحيد الربوبية:

" توحيد الربوبية هو: إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: في الخلق والملك والتدبير. دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف، 54] ووجه الدلالة من الآية: أنه قدم فيها الخبر الذي من حقه التأخير، والقاعدة البلاغية: إنَّ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. ثم تأمل افتتاح هذه الآية بـ (ألا) الدالة على التنبيه والتوكيد: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، لا لغيره، فالخلق هذا هو، والأمر هو التدبير. أما الملك، فدليله مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 27]، فإن هذا يدل على انفراده سبحانه وتعالى بالملك، ووجه الدلالة من هذه الآية كما سبق تقديم ما حقه التأخير. إذًا، فالرب ﷻ منفرد بالخلق والملك والتدبير "(1).

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به الكفار، فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: 84، 85]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: 25]، رغم إقرار الكفار بشكل عام بهذا النوع من التوحيد إلا أنهم لم يدخلوا بإقرارهم هذا في الإسلام، فهم يعترفون بأن الخالق هو الله تعالى إلا أنهم يتخذون الأوثان والأصنام وساطة بينهم وبين الله، ويقولون: تقربنا إلى الله زلفى، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 3].

---

(1) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج21/1).

وقد ورد الكثير من الأدلة على هذا النوع من التوحيد، منها: قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: 2]، ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: 8، 9].

ب- توحيد الألوهية:

"توحيد الألوهية: هو إفراد الله ﷻ بالعبادة؛ بألا تكون عبداً لغير الله، لا تعبد ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شيخاً ولا أُمّاً ولا أباً، لا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله ﷻ وحده بالتأله والتعبد، ولهذا يسمى: توحيد الألوهية، ويسمى: توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة"(1).

هذا النوع من التوحيد الذي أرسلت من أجله الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، وخلقت من أجله الجنة والنار، وهو الذي ضل فيه المشركون، فعندما دعاهم النبي ﷺ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كان ردهم كما أخبر عنهم تعالى: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:5].

وقد ورد الكثير من الأدلة على هذا النوع من التوحيد منها قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36].

ج- توحيد الأسماء والصفات:

" توحيد الأسماء والصفات هو: اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رَسُوله ﷺ من الأسماء والصفات، بغير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، فلا ننفي عنه بما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته"(2).

---

(1) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج24/1).

(2) عبد الله بن محمد حميد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية (ص42).

"وهذا النوع من التوحيد هو الذي كثر فيه الخوض بين أهل القبلة، فانقسموا في النصوص الواردة فيه إلى ستة أقسام:

القسم الأول: من أجروها على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهؤلاء هم السلف، وهذا هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب، والسنة، والعقل، والإجماع...

القسم الثاني: من أجروها على ظاهرها لكن جعلوها من جنس صفات المخلوقين. وهؤلاء هم الممثلة، ومذهبهم باطل بالكتاب، والسنة والعقل، وإنكار السلف.

القسم الثالث: من أجروها على خلال ظاهرها، وعينوا لها معاني بعقولهم، وحرفوا من أجلها النصوص. وهؤلاء هم أهل التعطيل فمنهم من عطل تعطيلًا كبيرًا كالجهمية والمعتزلة ونحوهم، ومنهم من عطل دون ذلك كالأشاعرة.

القسم الرابع: من قالوا: الله أعلم بما أراد بها، فوضوا علم معانيها إلى الله وحده، وهؤلاء هم أهل التجهيل المفوضة.

القسم الخامس: من قالوا: يجوز أن يكون المراد بهذه النصوص إثبات صفة تليق بالله تعالى وأن لا يكون المراد ذلك. وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم.

القسم السادس: من أعرضوا بقلوبهم وأمسكوا بألسنتهم عن هذا كله واقتصروا على قراءة النصوص ولم يقولوا فيها بشيء"(1).

هذا النوع من التوحيد هو الذي كثر فيه الانحراف، واللغط، عند الفرق الإسلامية، ما بين محرف، ومعطل، ومكيف، وممثل، فجاء السلف بمنهج السماء فأثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، كما ونفوا عنه سبحانه ما نفاه عن نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ.

فلا يجوز نفي شيء مما سمى الله به نفسه، أو وصف به نفسه لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:180]، كما لا يجوز تسمية الله تعالى أو وصفه بما لم يأت في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36]، كما لا

(1) العثيمين، تقريب التدمرية (ص 117- 118).

يجوز تشبيه أسماء الله تعالى وصفاته بأسماء وصفات المخلوق الناقص قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، كذلك لا يجوز البحث عن كيفيه أسماء الله تعالى وصفاته؛ لأن الأسماء والصفات معلومة ثابتة، لكن كيفيتها مجهولة، لا نستطيع بعقولنا المحدودة تصورها أو إدراكها.

2- أقسام التوحيد عند المتكلمين:

قسم المتكلمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

أ- توحيد الذات: (واحد في ذاته لا قسيم له)، وهذا النوع يراد منه معنيان:

الأول: يراد به أن الله سبحانه فرد لا يجوز عليه التعدد، وهذا المعنى حق.

الثاني: أن يراد به نفي الصفات كصفة العلو ونحو ذلك، وهذا المعنى باطل.

ب- توحيد الصفات: (واحد في صفاته لا شبيه له)، وهذا النوع يراد به معنيان أيضاً:

الأول: يراد به أن لله الأسماء الحسنى، الصفات العليا التي لا يماثله فيها أحد، وهذا المعنى حق.

الثاني: يراد به نفي الصفات من كل وجه، وهذا المعنى باطل.

ت- توحيد الأفعال: (واحد في أفعاله لا شريك له)، أي أن خالق العالم واحد، وهذا هو المراد عندهم. وأشهر الأنواع عندهم هو هذا النوع، ويظنون أنه هو المطلوب، وأنه معنى (لا إله إلا الله)، ويجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

وحجتهم على هذا النوع من التوحيد هو دليل التمانع، ودليل التمانع عندهم هو استحالة وجود خالقين متكافئين، لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22][1].

يتضح مما سبق غلط المتكلمين في تقسيمهم للتوحيد، حيث إنهم اشتغلوا بتوحيد الربوبية، وأهملوا توحيد الألوهية، مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعظم من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وخلق الجن، والإنس، وهو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو أول الأمر وآخره، ومن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله – وهذا هو توحيد الألوهية – دخل الجنة كما أخبر النبي ﷺ.

---

(1) انظر: محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص412- 413).

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] على تقرر توحيد الربوبية فهذا خطأ؛ لأن هذه الآية قد جاءت في تقرير توحيد الألوهية فقد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾ ولم يقل أرباب فدل ذلك على أن المراد بالآية الإله المعبود لا الرب الخالق، بمعنى لو كان في السموات والأرض إله آخر غير الله تعالى لفسدتا [1].

قال **ابن تيمية:** " والمقصود هنا أن في هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشيء عن عبادة ما سوى الله تعالى لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم وما سوى الله لا يصلح فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته كما أنه هو الرب خالق بمشيئته" [2]. ومع ذلك فإنه لا تعارض بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية هو الأساس، فمن آمن بالربوبية فإنه يلزمه الإيمان بالألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، إذ لا يمكن للإنسان أن يعبد الله ﷻ مع اعتقاد أن الخالق غيره، أو الرزاق غيره، أو المحيي غيره، أو المدبر غيره، كما لا يمكن للإنسان أن يقر بأن الخالق، والرازق، والمحيي، والمدبر، هو الله وحده، ويعبد غيره .

(1) انظر: محمد الخميس، شرح الرسالة التدمرية (ص: 413).

(2) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج3/334-335).

المطلب الثاني: توحيد الربوبية في سورة الحديد وموقف السلف والمتكلمين

إن توحيد الربوبية مبحث مهم من مباحث العقيدة؛ لأنه متعلق بأصل من أصول الدين، وهو الإيمان بالله ﷻ فمما يتضمنه الإيمان بالله الإيمان بربوبيته، وتفرده بالخلق، والرزق، والتدبير.

فتوحيد الربوبية هو الإقرار بأنه لا رب للعالمين إلا الله الذي خلقهم، ورزقهم وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون بشكل عام؛ فهم يشهدون أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي المميت، وهو المدبر، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]، ولكن إقرارهم هذا لم يدخلهم في الإسلام، ولم ينجهم من النار، ولم يعصم دماءهم وأموالهم، لأنهم لم يُحققوا توحيد الألوهية بل أشركوا مع الله في عبادته.

ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجد الباحث العديد من مظاهر العقيدة الدالة على توحيد الربوبية، وسوف يتم عرض هذه المظاهر التي تضمنتها هذه السورة، وفق فهم كلٍ من السلف والمتكلمين، ومن هذه المظاهر:

أولاً: الملك، والإحياء، والإماتة: فالله تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وقد دل على هذه القضايا من الآيات:

أ- قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: 2].

ب- قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد: 5].

الناظر للآيتين السابقتين يجد أنهما عرضتا ثلاثة مظاهر للربوبية وهي: الملك، والإحياء، والإماتة، قال **الطبري** في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، "يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض وما فيهنّ ولا شيء فيهنّ يقدر على الامتناع منه، وهو في جميعهم نافذ الأمر، ماضي الحكم، وقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يقول: يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده

كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانًا، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه"(1).

ويؤيد ذلك المفسر **ابن كثير** في تفسير الآية الأولى قوله تعالى: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ "أَيْ: هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ فَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ"(2).

أما الآية الثانية فقد جعلت المُلك من خصائص الرب، ومن كان خالقاً كان بالضرورة مالكاً للدنيا والآخرة، وما فيهن وإليه ترجع الأمور كلها، صغيرها، وكبيرها، حقيرها، وجليلها، فهو المتصرف في ملكه، قال **ابن كثير** "أَيْ: هُوَ الْمَالِكُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ: ﴿**وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى**﴾ [اللَّيْلِ: 13]، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ**﴾ [الْقَصَصِ:70]" (3).

يتضح من تفسير الطبري، وابن كثير دلالة كلٍّ من الملك، والإحياء، والإماتة على توحيد الربوبية، وهذا ما عليه سلف هذه الأمة.

أما موقف المعتزلة ويمثلهم المفسر **الزمخشري**(4) فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿**يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾، "أي يحيى النطف، والبيض، والموتى، يوم القيامة ويميت الأحياء"(5)، فالزمخشري وإن كان قد وافق السلف في بيان معنى الملك والإحياء والإماتة، إلا أنه خالفهم في دلالة هذه

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج165/23).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/7).

(3) المرجع السابق (ج10/8).

(4) **هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الحوارزمي**، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، له العديد من الكتب منها: (الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وربيع الأبرار، ونصوص الأخبار في الحكايات..) مات سنة 538هـ. انظر: السيوطي، طبقات المفسرين (ص 120 –121).

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج472/4).

المظاهر، عندما عدها من مظاهر توحيد الألوهية كما بيَّن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ. . . ﴾ [الأعراف: 158]، "قال في قوله تعالى: له ملك السموات والأرض، من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وفي يحيى ويميت: بيان لاختصاصه بالإلهية، لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره"(1).

يتضح مما سبق، موافقة الزمخشري للسلف في جعل الملك، والإحياء، والإماتة دليلاً على توحيد الألوهية.

أما موقف الأشاعرة ويمثلهم المفسر **القرطبي** فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: 2]، "الْمُلْكُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَلْكِ وَنُفُوذِ الْأَمْرِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَلِكُ الْقَادِرُ، الْقَاهِرُ. وَقِيلَ: أَرَادَ خَزَائِنَ الْمَطَرِ، وَالنَّبَاتِ، وَسَائِرِ الرِّزْقِ. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا وَيُحْيِي الْأَمْوَاتَ لِلْبَعْثِ. وَقِيلَ: يُحْيِي النُّطَفَ وَهِيَ مَوَاتٌ وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ"(2).

وأما تفسيره للملك في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد: 5]، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال " هذا التكرير للتأكيد أي هو المعبود على الحقيقة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي أمور الخلائق في الآخرة... ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز أن يعبد من سواه"(3).

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج167/2).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/17).

(3) المرجع السابق (ج237/17).

يتضح مما سبق، موافقة القرطبي للسلف في جعل الملك دليلًا على توحيد الألوهية.

وخلاصة القول: إنه على الرغم من خلط المتكلمون بين الربوبية والألوهية، وجعلهم الإله بمعنى الرب؛ إلا أنه لا خلاف بين السلف والمتكلمين من المعتزلة، والأشاعرة في جعل الملك والإحياء والإماتة من مظاهر توحيد الربوبية.

ثانياً: الخلق: فالله تعالى خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وعظمةُ الله جلية في خلق السموات وما فيها من شمس، وقمر، وأفلاك، وأبراج، ونجوم، وكذلك عظمته في خلق الأرض وما تحتوى من بحار، وأنهار، وجبال، وسهول، وأوديةٍ، وأشجار، وزروعٍ، وحيوانات البر والبحر، والتي لا يعلمها ولا يحصيها ولا يرزقها إلا خالقها، فتبارك الله أحسن الخالقين!!

وقد دل على مظاهر الخلق في سورة الحديد آيتان وهما:

أ- قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الحديد: 4].

ب- قوله تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد: 22].

قال **الطبري** في تفسير الآية الأولى: "يقول تعالى ذكره: هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين، فدبرهنّ وما فيهنّ، ثم استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا"(1).

ويؤيد ذلك **ابن كثير** في تفسير قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. . .** ﴾ [الحديد: 4]، تَقَدَّمَ بيان ذلك في تفسير سورة الْأَعْرَافِ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. . .** ﴾ [الأعراف: 54]،" يُخْبِرُ تَعَالَى بِأَنَّهُ خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ: سمواته وَأَرْضَهُ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ"(2).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج169/23).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج426/3).

وأما الآية الثانية فهي أيضاً تبين دلالة الخلق على توحيد الربوبية كما فسرها **الطبري** حيث يقول: "يقول تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني: إلا في أمّ الكتاب، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها، يقال: قد برأ الله هذا الشيء، بمعنى: خلقه فهو بارئه"(1).

ويؤيد ذلك **ابن كثير** فقال، "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَدَرِهِ السَّابِقِ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ الْبَرِيَّةَ فَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أَيْ: فِي الْآفَاقِ وَفِي نُفُوسِكُمْ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أَيْ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ الْخَلِيقَةَ وَنَبْرَأَ النَّسَمَةَ"(2).

يتضح من الآيتين السابقتين دلالة الخلق على توحيد الربوبية عند السلف فإن كانت الربوبية تعني التفرد بتربية العباد، فأصل ذلك الخلق، إذ كل ما بعده من النعم تابع له، وفرع عنه.

أما موقف المعتزلة في بيان دلالة الخلق على الربوبية، فهو موافق لما ذهب إليه السلف، ويظهر ذلك جلياً في تفسير **الزمخشري** للآية الثانية فقال "المصيبة في الأرض: نحو الجدب وآفات الزروع والثمار، وفي الأنفس: نحو الأدواء والموت فِي كِتابٍ في اللوح مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها يعنى الأنفس أو المصائب ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إنّ تقدير ذلك وإثباته في كتاب عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وإن كان عسيراً على العباد"(3).

وأما موقف الأشاعرة فلم يخالفوا أيضاً في إقرار أن الخلق من أهم مظاهر الربوبية ويظهر ذلك واضحاً في تفسير **القرطبي** حيث قال: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. .﴾ [الحديد: 4]، تَقَدَّمَ بيان ذلك في تفسير سورة الْأَعْرَافِ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. .﴾ [الأعراف:54]،

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج195/23).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج26/8).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج479/4).

بَيَّنَ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِقُدْرَةِ الْإِيجَادِ، فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ... وَمَعْنَى ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أَيْ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَة، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ، لِتَفْخِيمِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَلَوْ أَرَادَ خَلْقَهَا فِي لَحْظَةٍ لَفَعَلَ، إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ لَهَا كُونِي فَتَكُونُ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَ الْعِبَادَ الرِّفْقَ وَالتَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ، وَلِتَظْهَرَ قُدْرَتُهُ لِلْمَلَائِكَةِ شَيْئًا بَعْدَ شيء.."(1).

أما الآية الثانية فقال **الرازي** في تفسيرها: "مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ: وَالْمَعْنَى لَا تُوجَدُ مُصِيبَةٌ مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ إِلَّا وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَ اللَّه، وَالْمُصِيبَةُ فِي الْأَرْضِ هِيَ قَحْطُ الْمَطَرِ، وَقِلَّةُ النَّبَاتِ، وَنَقْصُ الثِّمَارِ، وَغَلَاءُ الْأَسْعَارِ، وَتَتَابُعُ الْجُوعِ، وَالْمُصِيبَةُ فِي الْأَنْفُسِ فِيهَا قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: إنها هِيَ: الْأَمْرَاضُ، وَالْفَقْرُ، وَذَهَابُ الْأَوْلَادِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهَا وَالثَّانِي: إنها تَتَنَاوَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ... ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا فِي كِتابٍ﴾ يَعْنِي مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّه فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ... أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾ فَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ هَذِهِ الْمَصَائِبَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ الْمُرَادُ الْأَنْفُسُ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ نَفْسُ الْأَرْضِ، وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْكُلِّ قَدْ تَقَدَّمَ، وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُ نَفْسَ الْمُصِيبَةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودُ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُرَادُ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْمَخْلُوقَاتُ وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ ذِكْرُهَا إِلَّا أَنَّهَا لِظُهُورِهَا يَجُوزُ عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَيْهَا،... ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِنَّ حِفْظَ ذَلِكَ عَلَى اللَّه هَيِّنٌ، وَالثَّانِي: إِنَّ إِثْبَاتَ ذَلِكَ عَلَى كَثْرَتِهِ فِي الْكِتَابِ يَسِيرٌ عَلَى اللَّه وَإِنْ كَانَ عَسِيرًا عَلَى الْعِبَادِ..."(2).

أما **القرطبي** فقال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: الْقَحْطُ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ وَالثِّمَارِ، وَقِيلَ: الْجَوَائِحُ فِي الزَّرْعِ، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بِالْأَوْصَابِ وَالْأَسْقَامِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقِيلَ: إِقَامَةُ الْحُدُودِ، قَالَهُ ابْنُ حَيَّانَ، وَقِيلَ: ضِيقُ الْمَعَاشِ، وَهَذَا مَعْنًى رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، ﴿إِلَّا فِي كِتابٍ﴾ يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾ الضَّمِيرُ فِي ﴿نَبْرَأَها﴾ عَائِدٌ عَلَى النُّفُوسِ أَوِ الْأَرْضِ أَوِ الْمَصَائِبِ أَوِ الْجَمِيعِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْمُصِيبَةَ،

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج218/7).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج466/29– 467).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ وَالنَّفْسَ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيْ خَلْقُ ذَلِكَ وَحِفْظُ جَمِيعِهِ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيِّنٌ"(1).

يتضح مما سبق أنه لم يخالف أحد من أهل النحل من السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم، على أن قضية الخلق تدل دلالة واضحة على توحيد الربوبية، بل إن هذه القضية من أعظم القضايا دلالة على توحيد الربوبية، بل هي الأصل في توحيد الربوبية وما دونها فرع عنها.

ثالثاً: أخذ العهد بالإيمان: لقد أخرج تعالى من صلب آدم عليه السلام ذريته كأمثال الذر وأخذ عليهم العهد والميثاق حيث شهدوا له سبحانه بالربوبية، " فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ – يَعْنِي عَرَفَةَ – فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ (2) ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبُلًا فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:172]"(3).

قال **ابن كثير** رحمه الله تعالى: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ"(4).

ومن خلال النظر في آيات سورة الحديد، وجدت ما يدل على هذا العهد والميثاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8]، قال **الطبري** في تفسيره: " يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته،

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج257/17).

(2) **الذر**: أي مشبهين بالنمل في صغر الصورة. انظر: عبيد الله بن محمد المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،(ج212/1).

(3) الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم (ج118/3) (ح 2455) صححه أحمد شاكر.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج500/3).

وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذركم، وأزال الشكّ من قلوبكم، ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، قيل: عني بذلك؛ وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صُلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه"(1).

وخالف في ذلك الإمام **ابن كثير** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾،" أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالرَّسُولُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ وَيُبَيِّنُ لَكُمُ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ... وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الْمَائِدَةِ:7]، وَيَعْنِي بِذَلِكَ: بَيْعَةَ الرَّسُولِ ﷺ"(2).

يتبين مما سبق أن ابن كثير خالف الطبري في بيان معنى الميثاق، فابن كثير فسره ببيعة الرسول ﷺ، أما الطبري فسره بالعهد الذي أخذ على العباد وهم في صلب آدم عليه السلام.

فالميثاق عهد على البشر منذ خلقهم الله تعالى، فلا حجة لهم لنقضه حتى وإن لم يُبعث لهم الرسل، قال صاحب الظلال في تعقيبه على آية الأعراف: "إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق- حتى لو لم يبعث إليهم بالرسل يذكرونهم ويحذرونهم- ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل، وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(3).

وخلاصة القول: إن الله تعالى قبل إرسال الرسل للعباد للإقرار بربوبيته، أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام واستنطقهم، وأشهدهم على أنفسهم بأن أقروا له بالربوبية، فالله تعالى أخذ عليهم العهد وأرسل الرسل؛ ليذكروهم به، ويحثونهم على التمسك به.

أما موقف المعتزلة، ويمثلها المفسر الزمخشري فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8]، والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان، والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه، ويتلو عليكم الكتاب الناطق

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج172/23).

(2) المرجع السابق (ج11/8).

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن (ج1391/3).

بالبراهين والحجج، وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول، ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر، وأزاح عللكم، فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون؟ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لموجب ما، فإن هذا الموجب لا مزيد عليه. وقرئ: أخذ ميثاقكم، على البناء للفاعل، وهو الله ﷻ"(1).

يتضح مما سبق خطأ الزمخشري حيث فسر أخذ الميثاق بتركيب العقول فيهم، وهذه إشارة واضحة إلى منهج المعتزلة في تقديم العقل على السمع، وإقرار ما يقره العقل، وإنكار ما ينكره العقل، مع أن منهج السلف أنه لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح، وإذا حصل تعارض إما أن يكون لعجز العقل عن فهم النص، أو يكون النقل غير صحيح.

أما موقف الرازي من الأشاعرة فقد وافق المعتزلة في تفسير الميثاق فقال في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8]، إن أخذ الميثاق عليهم، وذكروا في أخذ الميثاق وجهين الأول: ما نصب في العقول من الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسل، أما الوجه الثاني في تفسير أخذ الميثاق: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الْأَعْرَافِ: 172] وهذا ضعيف، وذلك لأنه تعالى إنما ذكر أخذ الميثاق ليكون ذلك سبباً في أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد ذلك، وأخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم إلا بقول الرسول، فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سبباً في وجوب تصديق الرسول، أما نصب الدلائل والبينات فمعلوم لكل أحد، فذلك يكون سبباً لوجوب الإيمان بالرسول، فعلمنا أن تفسير الآية بهذا المعنى غير جائز "(2).

أما المفسر القرطبي فقال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ اسْتِفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ التَّوْبِيخُ، أَيْ: أَيُّ عُذْرٍ لَكُمْ فِي أَلَّا تُؤْمِنُوا وَقَدْ أُزِيحَتِ الْعِلَلُ ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ بَيَّنَ بِهَذَا أَنَّهُ لا حكم قبل ورود الشرائع، وقرا أَبُو عَمْرٍو: ﴿وَقَدْ أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ عَلَى غَيْرِ مُسَمَّى الْفَاعِلِ، وَالْبَاقُونَ عَلَى مُسَمَّى الْفَاعِلِ، أَيْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْمِيثَاقُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ وَهُمْ فِي ظَهْرِ آدَمَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ، وَقِيلَ: أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ بِأَنْ رَكَّبَ فِيكُمُ الْعُقُولَ، وَأَقَامَ عَلَيْكُمُ

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج473/4).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج450/29 – 451).

الدَّلَائِلَ وَالْحُجَجَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ إِذْ كنتم. وقيل: أَيْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالْحُجَجِ وَالدَّلَائِلِ، وَقِيلَ: أَيْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِحَقٍّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، فَالْآنَ أَحْرَى الْأَوْقَاتِ أَنْ تُؤْمِنُوا لِقِيَامِ الْحُجَجِ وَالْإِعْلَامِ بِبَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ صَحَّتْ بَرَاهِينُهُ، وَقِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ خَالِقِكُمْ، وَكَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِهَذَا، وَقِيلَ: هُوَ خِطَابٌ لِقَوْمٍ آمَنُوا وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ مِيثَاقَهُمْ فَارْتَدُّوا، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ إِنْ كُنْتُمْ تُقِرُّونَ بِشَرَائِطِ الْإِيمَانِ"(1).

يتضح مما سبق مخالفة كل من المعتزلة والأشاعرة لمنهج السلف في تفسير الميثاق، فالسلف فسروه بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أما المعتزلة ممثلة بالزمخشري فسروه بتركيب العقول فيهم، ووافقه من الأشاعرة القرطبي في أحد قوليه، ووافقه الرازي فيما رجحه، وهذا الرأي لكل من المعتزلة والأشاعرة يدل دلالة واضحة على منهج كل منهما في تقديس العقل وتقديمه على النقل.

الخلاصة: إن المعتزلة والأشاعرة وافقوا السلف في جعل الملك، والإحياء، والإماتة، والخلق من مظاهر توحيد الربوبية، وخالفوا السلف في بيان معنى الميثاق الذي ذكر في سورة الحديد، فالسلف فسروه بالعهد الذي أخذ على العباد وهم في صلب أبيهم آدم عليه السلام، أما المعتزلة والأشاعرة ففسروه بتركيب العقول فيهم، وهذا قول فاسد دل على فساده العديد من الأدلة منها قوله النبي ﷺ: " أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ – يَعْنِي عَرَفَةَ – فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبُلًا فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. . . ﴾ [الأعراف:172]"(2).

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج238/17 – 239).

(2) رواه الإمام أحمد، سبق تخريجه (ص42).

المطلب الثالث: توحيد الألوهية في سورة الحديد وموقف السلف والمتكلمين

إن توحيد الألوهية أصل من أصول الدين بل هو أساس كل دين سماوي، به أرسل الرسل، ومن أجله أنزلت الكتب، وهو الغاية التي من أجلها خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وهذا النوع من التوحيد هو الذي وقع فيه النزاع قديماً وحديثاً، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد من صلاة، ودعاء، وذبح، وخوف ورجاء، وغير ذلك، ومع أن هذا التوحيد هو المقصد الأعظم من دعوة الرسل إلا أن المتكلمين أهملوه عند تقسيمهم التوحيد، حيث جعلوا التوحيد قسمان وهما توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجد الباحث العديد من مظاهر العقيدة الدالة على توحيد الألوهية، وقد قام الباحث بدراسة هذه المظاهر وفق فهم كلٍ من السلف والمتكلمين، ومن هذه المظاهر:

أولاً: تسبيح المخلوقات: يسبح لله تعالى ما في السموات والأرض من ملائكة، وإنس، وجان، وحيوان، ونبات، وجماد، وقد دل على هذا التسبيح الكثير من الآيات، ومنها ما ورد في مطلع سورة الحديد، قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1].

قال المفسر **الطبري** في تفسيره: " يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أن كلّ ما دونه من خلقه يسبحه تعظيماً له، وإقراراً بربوبيته، وإذعاناً لطاعته، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: ولكنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه، فخالف أمره مما في السموات والأرض من خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره أمرهم، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحبّ"(1)، فتسبيح المخلوقات هو اعترافاً منها بألوهية الله ووحدانيته، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية -رحمه الله تعالى- حين قال: "وقوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج165/23).

﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وسبح إخبار عن ماض وآت، وإعلام لنا أن كل شيء يسبح بحمده، ويسجد لعظمته، ويعترف بألوهيته ووحدانيته، ولا يجوز أن تسجد الأشياء وتسبح لمجهول"(1).

يتضح مما سبق، دلالة تسبيح المخلوقات على توحيد الألوهية، فالتسبيح فيه تعظيماً لله تعالى، وإذعاناً لطاعته، وإقرارًا بألوهيته ووحدانيته.

أما موقف المعتزلة، ويمثلها المفسر الزمخشري فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1]،"جاء في بعض الفواتح سَبَّحَ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أنّ مِنْ شأن من أُسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك... ديدنه، وقد عدى هذا الفعل باللام تارة، وبنفسه أخرى، في قوله تعالى وَتُسَبِّحُوهُ وأصله: التعدي بنفسه، لأنّ معنى سبحته: بعدته عن السوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعد، فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في: نصحته، ونصحت له. وإما أن يراد بسبح لله: أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً، ما فِي السَّموات وَالْأَرْضِ ما يتأتى منه التسبيح ويصح"(2).

ولكن يتضح معنى تسبيح المخلوقات عند الزمخشري، عند تفسيره قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: 44]، حيث قال: "والمراد أنها تسبح له بلسان الحال، حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته، فكأنها تنطلق بذلك، وكأنها تنزه الله ﷻ مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها. فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وهذا التسبيح مفقوه معلوم؟ قلت: الخطاب للمشركين، وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا: الله، إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم، فكأنهم لم ينظروا ولم يقرّوا، لأنّ نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا التسبيح، ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق. فإن قلت: من فيهنّ يسبحون على الحقيقة، وهم الملائكة والثقلان، وقد عطفوا على السموات والأرض، فما وجهه؟ قلت: التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه، وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة،

(1) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج505/8).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج472/4).

والمجاز. ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم، وسوء نظركم، وجهلكم بالتسبيح، وشرككم"(1).

يتضح مما سبق، خطأ الزمخشري في تفسير تسبيح المخلوقات، حيث حمل تسبيح المخلوقات على المجاز لا الحقيقة، وهذا يدل دلالة واضحة على منهج المعتزلة في جعل المجاز شماعة يعلقون عليها كل ما يعجز العقل عن ادراكه.

أما موقف الأشاعرة، فقد وافق **الرازي** المعتزلة في حمل تسبيح المخلوقات على المجاز لا الحقيقة حيث قال: "الْحَقُّ أَنَّ التَّسْبِيحَ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ الْعَارِفِ باللَّه تَعَالَى، فَيَنْوِي بِذَلِكَ الْقَوْلِ تَنْزِيهَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ مِنَ الْجَمَادَاتِ"(2).

أما المفسر القرطبي فقال في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد:1]، "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ مَجَّدَ اللَّهَ وَنَزَّهَهُ عَنِ السُّوءِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَلَّى لِلَّهِ ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مِمَّنْ خلق من الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من شيء فيه روح أو لا روح فِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ تَسْبِيحُ الدَّلَالَةِ، وَأَنْكَرَ الزَّجَّاجُ هَذَا وَقَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا تَسْبِيحُ الدَّلَالَةِ وَظُهُورِ آثَارِ الصَّنْعَةِ لَكَانَتْ مَفْهُومَةً، فَلِمَ قَالَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحُ مَقَالٍ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ فَلَوْ كَانَ هَذَا تَسْبِيحُ دَلَالَةٍ فأي تخصيص لداود؟! قُلْتُ: وَمَا ذَكَرَهُ هُوَ الصَّحِيحُ"(3).

وَقَدْ مَضَى بَيَانُ هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: 44]، قالت فرقة: إن المراد بالتسبيح هنا هو تسبيح الدلالة، وقالت فرقة: إن هذا التسبيح على الحقيقة وإن كل شيء يسبح تسبيحاً لا يسمعه البشر، ولا يفقهه، وقالت فرقة: إن قوله من شيء عموم، ومعناه الخصوص في كل حي ونامٍ، وليس ذلك في الجمادات... وقد رجح **القرطبي** رحمه الله القول الثاني فإن كل شيء من جماد وغيره يسبح بحمد الله تعالى، واستدل على ذلك من القرآن

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج669/2 –670).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج442/29).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج235/17).

بقوله تعالى: ﴿ . . .وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: 17، 18]، ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ"، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي جَمَادٍ وَاحِدٍ جَازَ فِي جَمِيعِ الْجَمَادَاتِ، وَلَا اسْتِحَالَةَ في شيء من ذلك، فكل شيء يُسَبِّحُ لِلْعُمُومِ، وَقِيلَ: تَسْبِيحُ الْجَمَادَاتِ أَنَّهَا تَدْعُو النَّاظِرَ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لِعَدَمِ الْإِدْرَاكِ مِنْهَا، والصَّحِيحُ أَنَّ الْكُلَّ يُسَبِّحُ لِلْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ التَّسْبِيحُ تَسْبِيحَ دَلَالَةٍ، فَأَيُّ تَخْصِيصٍ لِدَاوُدَ؟ وَإِنَّمَا ذَلِكَ تَسْبِيحُ الْمَقَالِ بِخَلْقِ الْحَيَاةِ وَالْإِنْطَاقِ بِالتَّسْبِيحِ، وَقَدْ نَصَّتِ السُّنَّةُ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ مِنْ تسبيح كل شيء، فَالْقَوْلُ بِهِ أَوْلَى(1).

يتبين مما سبق، مدى الاضطراب الموجود في منهج الأشاعرة، فالإمام القرطبي خالف المعتزلة في بيان المراد من تسبيح الجمادات، فقال هو على الحقيقة لا المجاز، فوافق بذلك السلف، أما الإمام الرازي فقد وافق المعتزلة في ذلك، وخالف السلف، والحق ما قاله السلف، أن تسبيح الجمادات على الحقيقة لا المجاز، ولكن لا نفقه هذا التسبيح.

ثانياً: الخشية: هي نوع من العبادات القلبية، تقوم على أساس الذل والخضوع لله تعالى، وقد جاء في سورة الحديد ما يدل عليها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: 16]، قال **الطبري:** " يقول تعالى ذكره ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾: ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له، وما نزل من الحقّ، وهو هذا القرآن، الذي نزله على رسوله ﷺ... وقوله: ﴿ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني من بني إسرائيل، ويعني بالكتاب: الذي أوتوه من قبلهم التوراة والإنجيل... ويعني بقوله: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾: ما بينهم وبين موسى ﷺ، وذلك الأمد الزمان... وقوله: ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ عن الخيرات، واشتدّت على

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج266/10 – 268).

السكون إلى معاصي الله، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، يقول جلّ ثناؤه: وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب، من قبل أمة محمد ﷺ فاسقون"[1]

ويؤيد ذلك الإمام **ابن كثير** حيث قال: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَا آنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، أَيْ: تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمَهُ وتنقادُ لَهُ وَتَسْمَعَ لَهُ وَتُطِيعَهُ... وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينِ حَمَلُوا الْكِتَابَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَى الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْمُؤْتَفِكَةِ، وَقَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ، وَرُهْبَانَهُمْ، أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ؛ فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَلَا تَلِينُ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أَيْ: فِي الْأَعْمَالِ، فَقُلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ"[2]. فالله تعالى أمر بخشوع القلب عند ذكره، ونهى عن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذلك؛ لأنهم بدلوا وغيروا واتخذوا رهبانهم أرباباً من دون الله، فقست قلوبهم وقد أشار إلى هذا المعنى **ابن تيمية** فقال رحمه الله تعالى: "اسْتَبْطَأَ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ فَدَعَاهُمْ إلَى خُشُوعِ الْقَلْبِ لِذِكْرِهِ، وَمَا نَزَلَ مِنْ كِتَابِهِ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا كَالَّذِينَ طَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَانًا... "[3].

يتضح مما سبق، أن الخشية هي نوع من العبادات القلبية، وهي لين القلب، وخضوعه لذكر الله، وما نزل من الحق، وهذه العبادة تندرج تحت النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الألوهية.

أما موقف المعتزلة في بيان دلالة الخشية على الألوهية، فهو موافق لما ذهب إليه السلف، ويظهر ذلك جلياً في تفسير **الزمخشري** لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج187/23 – 189).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج19/8 –20).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج29/7).

﴿لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:16]، "أَلَمْ يَأْنِ مِنْ أنى الأمر يأنى، إذا جاء إناه، أي: وقته، وقرئ: ألم يئن، من آن يئين بمعنى: أنى يأنى... قيل: كانوا مجدبين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت... وَلا يَكُونُوا.. ويجوز أن يكون نهياً لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب، بعد أن وبخوا، وذلك أنّ بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء، والقسوة، واختلفوا، وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف، وغيره. فإن قلت: ما معنى لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ؟ قلت: يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق: القرآن، لأنه جامع للأمرين: للذكر والموعظة، وأنه حق نازل من السماء، وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلى القرآن كقوله تعالى: ﴿ . . . إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا . . . ﴾ [الأنفال: 2] "(1).

يتضح مما سبق، أن الزمخشري لم يخالف السلف في بيان معنى الخشية، وجعلها دليلاً على توحيد الألوهية.

أما موقف الأشاعرة في بيان دلالة الخشية على الألوهية، فهو موافق لما ذهب إليه السلف، ويظهر ذلك جلياً في تفسير **الرازي** حيث قال: اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قيل: نزلت فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَفِي قُلُوبِهِمُ النِّفَاقُ الْمُبَايِنُ لِلْخُشُوعِ، وَقَالَ آخَرُونَ: نزل في المؤمنين، فلعله كان عندهم خشوع كثير، ثم زال فحثوا على المعاودة إليه، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَيْ لمَوَاعِظِ اللَّه الَّتِي ذكرت فِي الْقُرْآنِ، وقيل لذكرهم اللَّه، أَيْ يَجِبُ أَنْ يُورِثَهُمُ الذِّكْرَ خُشُوعًا، وَلَا يَكُونُوا كَمَنْ ذِكْرُهُ بِالْغَفْلَةِ، فَلَا يَخْشَعُ قَلْبُهُ لِلذِّكْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي القرآن، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ أي: أَنْ لَا يَكُونُوا ثُمَّ قَالَ: ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ يُرِيدُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي: طَالَتِ الْمُدَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وقيل: مَالُوا إِلَى الدُّنْيَا وَأَعْرَضُوا عَنْ مَوَاعِظِ اللَّه وقيل: طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ فِي الْغَفْلَةِ فَحَصَلَتِ الْقَسْوَةُ فِي قُلُوبِهِمْ بِذَلِكَ السَّبَبِ ثم قوله (الْأَمَدُّ) بِالتَّشْدِيدِ، أَيِ

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/477).

الْوَقْتُ الْأَطْوَلُ، ثُمَّ قَالَ: وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ أَيْ خَارِجُونَ عَنْ دِينِهِمْ رَافِضُونَ لِمَا فِي الْكِتَابَيْنِ، وَكَأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَدَمَ الْخُشُوعِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يفضي إلى الفسق في آخر الأمر(1).

وقال **القرطبي** في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ "أَيْ يَقْرَبُ وَيَحِينُ... ﴿أَنْ تَخْشَعَ﴾ أَيْ تَذِلَّ وَتَلِينَ"(2).

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في تفسير الخشية على أنها عبادة من العبادات القلبية، وعلى ذلك فإنها تدخل تحت النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الألوهية.

ثالثاً: الإنفاق: لقد حث سبحانه وتعالى على الإنفاق في كثير من المواطن في كتابه العزيز، وقد أولى هذه العبادة اهتماماً كبيراً في سورة الحديد، وفي المقابل نبذ البخل، ومن يأمر به من الناس، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد:24]، ومن الآيات التي حث فيها على الإنفاق في سورة الحديد:

أ- قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7].

ب- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

ت- قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11].

ث- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18].

---

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج460/29).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج248/17).

الناظر للآيات السابقة يجد أنها تعرضت لمظهر عظيم من مظاهر الربوبية وهو الإنفاق، قال **ابن كثير** في تفسير الآية الأولى: "أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَالدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ أَيْ مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنْ يَفْعَلُوا وَإِلَّا حَاسَبَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقَبَهُمْ لِتَرْكِهِمُ الْوَاجِبَاتِ فِيهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخَلَّفًا عَنْكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، فَيَكُونَ أَسْعَدَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ، أَوْ يَعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونَ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... وَقَوْلُهُ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تَرْغِيبٌ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ فِي الطَّاعَةِ"(1).

أما الآية الثانية فقال المفسر **الطبري** في تفسيرها: "يقول تعالى ذكره: وما لكم أيها الناس أن لا تنفقوا مما رزقكم الله في سبيل الله؟ وإلى الله صائرٌ أموالكم إن لم تنفقوها في حياتكم في سبيل الله؛ لأن الله له ميراث السموات والأرض، وإنما حثهم جل ثناؤه بذلك على حظهم، فقال لهم: أنفقوا أموالكم في سبيل الله؛ ليكون ذلكم لكم ذخرًا عند الله، من قبل أن تموتوا، فلا تقدروا على ذلك، وتصير الأموال ميراثًا لمن له السموات والأرض"(2).

أما الآية الثالثة فقال **ابن كثير** في تفسيرها " قَوْلُهُ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قيل هُوَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقِيلَ: هُوَ النَّفَقَةُ عَلَى الْعِيَالِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ، دَخَلَ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ: 245] أَيْ: جَزَاءٌ جَمِيلٌ وَرِزْقٌ بَاهِرٌ – وَهُوَ الْجَنَّةُ– يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ:« لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245]،

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج11/8).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج173/23 –174).

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ، قَالَ: «نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ»، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، وَهِيَ فِي الْحَائِطِ فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي[1]﴾[2].

أما الآية الرابعة فقال **ابن كثير** في تفسيرها: " يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يُثِيبُ بِهِ المُصَّدقين والمُصَّدقات بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ، ﴿**وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ أَيْ: دَفَعُوهُ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لَا يُرِيدُونَ جَزَاءً مِمَّنْ أَعْطَوْهُ وَلَا شُكُورًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**يُضَاعَفُ لَهُمْ**﴾ أَيْ: يُقَابِلُ لَهُمُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَيَزْدَادُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَفَوْقَ ذَلِكَ ﴿**وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ أَيْ: ثَوَابٌ جَزِيلٌ حَسَنٌ، وَمَرْجِعٌ صَالِحٌ وَمَآبٌ ﴿**كَرِيمٌ**﴾"[3] وقد أشار المفسر **السعدي** إلى هذه المعاني الجليلة عند تفسير هذه الآية، فقال رحمه الله تعالى:"﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ**﴾...أي: الذين أكثروا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، ﴿**وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخراً لهم عند ربهم، ﴿**يُضَاعَفُ لَهُمْ**﴾ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ﴿**وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ وهو ما أعده الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس"[4].

يتضح مما سبق، أن الإنفاق نوع من أنواع العبادات المالية، وأنه سبحانه قد حث عليه في أكثر من موطن، في كتابه العزيز، وبين فضله وأجره، ومما لا شك فيه، أن هذه العبادة

---

(1) الطبراني: المعجم الكبير، مسند من يعرف بالكنى، باب مَنْ يُكَنَّى أَبَا الدَّحْدَاحِ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ، (301/22) (ح764)، صححه الشيخ الألباني في كتاب: تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (14/8).

(3) المرجع السابق (ج22/8).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 840).

تندرج تحت النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الألوهية، لذا لا بد من الإخلاص فيها عند تأديتها؛ حتى يتقبلها الله تعالى.

أما الزمخشري المعتزلي، فقال في تفسير الآية الأولى: " مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ يعنى أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم، حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به، وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم "[1] ما دام أن هذا المال الذين بين أيدينا هو مال الله تعالى، وهو ملك له، فلا بد وأن يؤول إليه بعد أن يهلكنا، فلماذا التخلف عن الإنفاق منه وقد أمرنا مالكه بذلك؟ بل و حفزنا على ذلك، بأن جعل الأجر العظيم للمنفقين في سبيله، وهذا ما أشار إليه **الزمخشري** في تفسير الآية الثانية، والثالثة، حيث قال: "وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا في أن لا تنفقوا وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّموات وَالْأَرْضِ يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره، يعنى: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله، والجهاد مع رسوله، والله مهلككم، فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ قبل فتح مكة، قبل عز الإسلام، وقوّة أهله، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقلة الحاجة إلى القتال، والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح، فحذف لوضوح الدلالة أُولئِكَ الذين أنفقوا قبل الفتح، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، الذين قال فيهم النبي ﷺ: ﴿... لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ﴾ [2] أَعْظَمُ دَرَجَةً... وَكُلًّا... وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى أي: المثوبة الحسنى وهي: الجنة مع تفاوت الدرجات... وقيل: نزلت في أبى بكر رضى الله عنه؛ لأنه أول من أسلم، وأول من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن: الإنفاق في سبيله. شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز؛ لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج473/4).

(2) أبو داود، سنن أبي داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، (ج53/7) (ح4658)، صححه الشيخ الألباني.

أقرضه إياه، فَيُضاعِفَهُ لَهُ، أي: يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا «أضعافا» من فضله وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ يعنى: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه..." [1] ثم بين سبحانه شرط القرض الحسن الذي يترتب عليه الأجر، وهو أن يكون عن طيب نفس، وصحة نية، وهذا ما أشار إليه **الزمخشري** في تفسير الآية الرابعة، حيث قال: "والمصدّقين من صدق، وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين. فإن قلت: علام عطف قوله وَأَقْرَضُوا؟ قلت: على معنى الفعل في المصدّقين؛ لأنّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصدقوا، كأنه قيل: إنّ الذين اصدقوا وأقرضوا. والقرض الحسن: أنّ يتصدق من الطيب عن طيبة النفس، وصحة النية على المستحق للصدقة. وقرئ: يضعف، ويضاعف، بكسر العين، أي: يضاعف الله"[2].

يتضح مما سبق، أن الزمخشري لم يخالف السلف في بيان معنى الإنفاق، والإشارة إلى فضله، وضرورة هوانه على النفس؛ لأن ما ننفقه من مال في الحقيقة ليس ملكاً لنا؛ بل هو ملكاً لله تعالى ونحن بمنزلة الوكلاء عليه، فحالنا حال المنفق من مال غيره، كما أن الزمخشري وافق السلف في جعل الإنفاق مظهراً من مظاهر توحيد الألوهية.

وأما موقف الأشاعرة في بيان دلالة الإنفاق على الألوهية، فهو أيضاً موافق لما ذهب إليه السلف، ويظهر ذلك جلياً في تفسير **القرطبي** للآية الأولى حيث قال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ أَيْ صَدِّقُوا أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ ﴿**وَأَنْفِقُوا**﴾ تَصَدَّقُوا. وَقِيلَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ غَيْرُهَا مِنْ وُجُوهِ الطَّاعَاتِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ ﴿**مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْمُلْكِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ فِيهِ إِلَّا التَّصَرُّفُ الَّذِي يُرْضِي اللَّهَ، فَيُثِيبُهُ عَلَى ذَلِكَ بِالْجَنَّةِ. فَمَنْ أَنْفَقَ مِنْهَا فِي حُقُوقِ اللَّهِ وَهَانَ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقُ مِنْهَا، كَمَا يهون على الرَّجُلِ، النَّفَقَةَ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ إِذَا أَذِنَ لَهُ فِيهِ، كَانَ لَهُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿**مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ بِوِرَاثَتِكُمْ إِيَّاهُ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَمْوَالِكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ، وَمَا أَنْتُمْ فِيهَا إِلَّا بِمَنْزِلَةِ النُّوَّابِ وَالْوُكَلَاءِ، فَاغْتَنِمُوا الْفُرْصَةَ فِيهَا

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج474/4).

(2) المرجع السابق (ج478/4).

بِإِقَامَةِ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُزَالَ عَنْكُمْ إِلَى مَنْ بَعْدَكُمْ"[1] أمر سبحانه في الآية الأولى بالإيمان والانفاق، ثم أكد في الآية الثانية والآية الثالثة على ذلك، وهذا ما أشار إليه المفسر **الرازي** من الأشاعرة حيث قال في تفسير الآية الثانية: لَمَّا أَمَرَ أَوَّلًا بِالْإِيمَانِ وَبِالْإِنْفَاقِ، ثُمَّ أَكَّدَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِيجَابَ الْإِيمَانِ، أَتْبَعَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِتَأْكِيدِ إِيجَابِ الْإِنْفَاقِ، وَالْمَعْنَى أَنَّكُمْ سَتَمُوتُونَ فَتُورَثُونَ، فَهَلَّا قَدَّمْتُمُوهُ فِي الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَةِ اللَّه، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ الْمَالَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْيَدِ، إِمَّا بِالْمَوْتِ وَإِمَّا بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَإِنْ وَقَعَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، كَانَ أَثَرُهُ اللَّعْنَ وَالْمَقْتَ وَالْعِقَابَ وَإِنْ وَقَعَ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي، كَانَ أَثَرُهُ الْمَدْحَ وَالثَّوَابَ؛ ثُمَّ لَمَّا بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ فَضِيلَةٌ، بَيَّنَ أَنَّ الْمُسَابَقَةَ فِي الْإِنْفَاقِ تَمَامُ الْفَضِيلَةِ، فَقَالَ: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ، أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا أي: مَن صَدَرَ عَنْهُ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّه، وَالْقِتَالُ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّه قَبْلَ الْفَتْحِ يَكُونُ أَعْظَمَ حَالًا مِمَّنْ صَدَرَ عَنْهُ ذلك بَعْدَ الْفَتْحِ لأن الْحَاجَةُ إِلَى النُّصْرَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ أَشَدَّ بِخِلَافِ مَا بَعْدَ الْفَتْحِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ صَارَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوِيًّا، وَالْكُفْرَ ضَعِيفًا [2].

وأما الآية الثالثة فقال المفسر **الرازي**: قوله تَعَالَى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ أَنَّهُ تَعَالَى أَكَّدَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تَرْغِيبَ النَّاسِ فِي أَنْ يُنْفِقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِتَالِ الْكَافِرِينَ، وَمُوَاسَاةِ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وقد اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ مِنْ هَذَا الْإِنْفَاقِ، قيل: الْمُرَادُ الْإِنْفَاقَاتُ الْوَاجِبَةُ، وقيل: بَلْ هُوَ فِي التَّطَوُّعَاتِ، وَالْأَقْرَبُ دُخُولُ الْكُلِّ فِيهِ، والقرض الحسن: هو الذي يكون عن طيب نفس، مخلصاً فيه لله تعالى، وبعض العلماء قالوا: إن القرض لا يكون حسناً إلا إذا توفرت فيه أوصاف منها: أن يُبتغي به وجه الله، وأن يكون من كسب حلال، وأن تتحرى إعطاءَه للأحوج، وأن تكتمه، وألا تتبعه مناً ولا أذى، وأن تستحقره وإن كثر وعظم، وأن يكون من أحب أموالك إليك، وأما قوله تعالى: ﴿**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ أي أنه تعالى ضمن لهم بالقرض الحسن أمرين وهما أنه تعالى يضاعفه لهم، وأن لهم أجرًا كريمًا [3].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج238/17).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج452/29– 453).

(3) انظر: المرجع السابق (ج454/29 – 455).

وأما الآية الرابعة فقال المفسر **القرطبي:** "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قَرَأَت بِتَخْفِيفِ الصَّادِ فِيهِمَا مِنَ التَّصْدِيقِ، أَيِ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى. وقرأت بِالتَّشْدِيدِ أَيِ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الصَّادِ، وفيه حَثٌّ عَلَى الصَّدَقَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ بِالصَّدَقَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ الْحَسَنُ: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْقَرْضِ الْحَسَنِ فَهُوَ التَّطَوُّعُ. وَقِيلَ: إن الْعَمَل الصَّالِحُ مِنَ الصَّدَقَةِ، مُحْتَسِبًا صَادِقًا. وَإِنَّمَا عُطِفَ بِالْفِعْلِ عَلَى الِاسْمِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الِاسْمَ فِي تقدير الفعل، أي إن الذين صدقوا وَأَقْرَضُوا ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ أَمْثَالُهَا ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يَعْنِي الْجَنَّةَ"(1).

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف والمعتزلة والأشاعرة في تفسير الإنفاق على أنه عبادة من العبادات المالية، وأن الأجر عليه مرهون بالإخلاص فيه، وهذه العبادة تندرج تحت النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الألوهية.

خلاصة القول: إن المعتزلة، والأشاعرة لم يخالفوا السلف في بيان معنى الخشية، والإنفاق وأنهما مظهرين من مظاهر توحيد الألوهية، ولكن المعتزلة، والأشاعرة خالفوا السلف في بيان معنى تسبيح المخلوقات، حيث حمل الزمخشري المعتزلي تسبيح المخلوقات على المجاز لا الحقيقة ووافقه في ذلك من الأشاعرة الأمام الرازي، ولكن الحق ما ذهب إليه السلف وبعض الأشاعرة كالإمام القرطبي، من أن تسبيح المخلوقات على الحقية لا المجاز، ولكن لا نفقه هذا التسبيح.

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج252/17).

المطلب الرابع: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحديد ومـوقف السلف والمتكلمين

إن توحيد الأسماء والصفات من أصول الدين التي بعث الله من أجلها الرسل، وأنزل الكتب، وهو أحد أقسام التوحيد الثلاثة، والتي لا يتم إيمان العبد إلا به، بل إنه لا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، لذا لا بد من التعرف على هذا النوع من أنواع التوحيد، وذلك وفق ما عرضه الله تعالى في كتابه العزيز وسأقتصر في هذا المقام على دراسة آيات الأسماء والصفات في ضوء سورة الحديد.

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة:

1- **تعريف الاسم لغةً:** "اسمٌ هُوَ مشتقٌ من السُّمُو، وَهُوَ الرِّفْعة، وَالْأَصْل فِيهِ سِمْوٌ بِالْوَاو، وَجمعه أَسْماء" [1] "والاسم هو اللفظ الدال على المسمى"[2].

2- **تعريف الصفة لغةً:** الصفة أصلها: "(وَصَفَ) الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ، وَوَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا. وَالصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ..."[3] "والصِّفَة: ما يدل على الموصوف دلالة إفادة "[4] "والصفة: هي الإمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها "[5].

ثانياً: تعريف توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:

يتضح من التعريف اللغوي لكل من الاسم والصفة: أنهما إمارة دالة على المسمى، فالله تعالى سمى نفسه بأسماء حسنى، ووصف نفسه بصفات عليا، في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، وعلى ذلك فإن توحيد الأسماء والصفات هو: " اعتقاد أن الله تعالى له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى الكاملة، التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، ولا يماثله فيها أحد من خلقه، ولا يُمَاثِل فيها سبحانه أحداً من خلقه"[6].

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة (ج79/13).

(2) ابن قيم، بدائع الفوائد (ج16/1).

(3) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج115/6).

(4) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج7180/11).

(5) الجرجاني، التعريفات (ص 133).

(6) سعود بن عبد العزيز الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج88/1).

وهو: "اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رَسُوله ﷺ من الأسماء والصفات بغير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] "[1].

يتبين مما سبق: أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيةٌ، مصدرها كتاب الله، وسنه نبيه محمد ﷺ، فلا يجوز تسميه الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله محمد ﷺ، وكذلك لا يجوز وصفه تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله محمد ﷺ.

ثالثاً: الفرق بين الاسم والصفة:

إن أسماء الله وصفاته من أصول الدين، التي يجب الإيمان بها، ولكن ثمة فرق ما بين أسماء الله تعالى وصفاته، ويظهر ذلك من خلال:

1- أن أسماء الله يشتق منها صفاته، والعكس ليس صحيحًا، فنشتق من اسم الله الرحيم، صفة الرحمة، لكن لا نشتق من صفة المكر اسم الماكر.

2- أن أسماء الله تعالى لا تُشتق من أفعاله؛ فلا نشتق من كونه يحب ويكره اسم المحب والكاره، بينما صفاته؛ تشتق من أفعاله فنثبت له صفة المحبة والكره ونحوها من تلك الأفعال. لذلك قيل: "باب الصفات أوسع من باب الأسماء"[2] فصفات الله تعالى تُشتق من أسمائه وأفعاله بينما أسماؤه لا تشتق من أفعاله.

3- أن أسماء الله ﷻ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التعبد والدعاء، فيتعبد الله بأسمائه، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، لكن لا يُتعبد بصفاته، فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرحمة، كما أنه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم ارحمنا، ولكن لا ندعو بصفاته فنقول: يا رحمة الله ارحمينا، وإن الصفة ليست هي الموصوف، فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله، وكذلك العزة، وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله [3].

رابعاً: موقف السلف والمتكلمين من أسماء الله وصفاته:

1- موقف السلف من أسماء الله وصفاته: مذهب السلف في أسماء الله وصفاته هو: "الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله تعالى: ﴿ . . . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

---

(1) عبد الله بن محمد بن حميد، التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية (ص 42).

(2) محمد بن خليفة بن علي التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص 52).

(3) انظر: علوي السَّقَّاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص 20 -22).

﴿الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلِم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا نِدَّ له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى؛ فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه"(1).

ويؤيد هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ؛ وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ. فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ؛ وَلَا يَجُوزُ تَمْثِيلُهَا بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ"(2).

فمذهب السلف في أسماء الله تعالى وصفاته أنهم يثبتون ما أثبته الله تعالى في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وينفون ما نفاه سبحانه عن نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، فهم يثبتون له الأسماء، والصفات، بلا تشبيه، وينزهونه عن العيوب، والنقائص، وعن كل ما لا يليق بجلاله، فهو كما قال سبحانه: ﴿. . . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

فالسلف يثبتون صفات الله ﷻ، كما جاءت في الكتاب والسنة دون تحريف، أو تأويل، مع معرفتهم بمعانيها، وتوقفهم في بيان كيفيتها؛ لأنه لا يعلم كيفيتها إلا الله، فكما أن لله تعالى ذاتًا لا تماثلها ذات، ولا يعلم كيفيتها أحد، كذلك فإن لله تعالى صفات لا تماثلها صفات ولا يعلم بكيفيتها إلا الله تعالى.

2- موقف المعتزلة من أسماء الله وصفاته: مذهب المعتزلة في أسماء الله وصفاته مخالف لما عليه السلف، فهذا المذهب يقوم على أساس نفي صفات الله ﷻ، واثبات ذات مجردة عن الصفات، وذلك؛ لأنهم يعتقدون أن اثبات الصفات يقتضي تعدد الآلهة، ومشابهة الله تعالى بخلقه، وهذا شرك في نظرهم، مخالف للتوحيد فكل من أثبت لله تعالى علمًا، أو قدرة، أو أنه سميع بصير، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وغير ذلك من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، فهو عندهم مشبه وليس بموحد.

(1) عبد الرحمن البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) (ص 32).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج195/5).

قال **القاضي عبد الجبار** إن إثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء، والله تعالى كفر النصارى لإثباتهم ثلاثة قدماء، فكيف بالذين يثبتون سبعة قدماء أو أكثر [1].

" فالمعتزلة الذين ينفون صفات الله تعالى، ويقولون: هو عالم بلا علم، فيثبتون الاسم دون الصفة، وذلك وفق مذهبهم في إثبات الأسماء، وإنكار ما تتضمنه من الصفات، بحيث يجعلونها أسماء مترادفة المعنى، أو يجعلونها أعلاماً محضة مجردة عن المعاني"[2].

يتضح مما سبق، أن المعتزلة ينفون صفات الله تعالى، بحجة أن إثباتها يستلزم تعدد الآلهة، وهذا شرك على حد زعمهم؛ لأن إثبات الصفات يوحي بجعل كل صفة إلهاً، والمخرج من ذلك هو نفى الصفات، وبذلك يتحقق التوحيد في نظرهم، أما أسماء الله تعالى فإنهم يثبتونها لكنهم يخالفون السلف في اثباتها، حيث يجعلون أسماء الله ﷻ أعلامًا محضة، ليس لها أي دلالة، أما عند السلف فهي كما قال ابن القيم: "إن أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف[3]"[4]، وهذا المنهج للمعتزلة يدل على فساد مذهبهم في صفات الله تعالى وأسمائه.

3- موقف الأشاعرة من أسماء الله وصفاته: " فأما الأشاعرة: أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري فإنهم يثبتون لله سبحانه وتعالى سبع صفات زائدة على الذات، ويطلقون عليها اسم صفات المعاني بمعنى وجود معنى لها زائد على الذات، وهذه الصفات هي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام"[5] وقد اشتق الأشاعرة من هذه الصفات أسماء لله تعالى، كالحي، والقدير، والعليم، والسميع، والبصير، والمريد، والمتكلم؛ لأن هذه الأسماء تدل على حياته، وقدرته، وعلمه، وسمعه، وبصره، وإرادته، وكلامه، وهذه صفات أزليه لله سبحانه؛ أما باقي الأسماء فإنهم يرجعون معانيها للأسماء السابقة، فجعلوا القوي بمعنى القادر، والخبير والشهيد بمعنى العليم، والودود والصبور والحليم بمعنى إرادته للإنعام على خلقه أو إرادته للعفو عنهم ... فكل اسم كان مشتقاً من صفة له أزلية فذلك الاسم من أسمائه الأزلية والتي يرجع إليها معنى باقي الأسماء. [6]، ولكن هذا الموقف للأشاعرة متناقض، حيث أثبتوا الأسماء لله تعالى، وبعض الصفات، ثم أولوا أو نفوا بعضها الآخر، أو أرجعوها إلى الإرادة

---

(1) انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص293).

(2) علي بن إبراهيم بن سليمان، علاء الدين ابن العطار، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص108).

(3) **أعلام:** باعتبار دلالتها على الذات، **وأوصاف:** باعتبار ما دلت عليه من المعاني. محمد العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص24).

(4) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج162/1).

(5) أحمد بن عطية الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص 194).

(6) انظر: البغدادي، أصول الدين (ص 123- 124).

والمشيئة، ومعلوم أن ما نفوه عن الله تعالى يعتبر تعطيلًا، وبذلك يلزمهم أن يقولوا فيما نفوه، مثل قولهم فيما أثبتوه وإلا كان إثباتهم ونفيهم لا يستند إلى دليل صحيح[1].

إن إثبات الأشاعرة لصفات المعاني السبع جعلهم يدخلون بالجملة في دائرة المثبتين لصفات الله تعالى، وهذا خلاف للمعتزلة الذين نفوا جميع الصفات الإلهية.

فالمعتزلة والأشاعرة بينهم صراع كبير في هذه الصفات السبع، التي أثبتها الأشاعرة، فالمعتزلة ينفون هذه الصفات جميعاً، ويقولون: إنها تستلزم تعدد القدماء، فيرد عليهم الأشاعرة فيقولون: لا تستلزم تعدد القدماء، وإنما هي صفات من لوازم الموصوف، وهو الله سبحانه وتعالى، فلابد أن يكون حياً، ولابد أن يكون عالماً، وهكذا، ويقولون أيضاً... إن الواقع والحياة فيها مسموعات، ومبصرات، ومقدورات، ومرادات، فإما أن تثبتوا الصفات لوجود أثرها، أو تنفوا الأثر، فإذا نفيتم القدرة يلزمكم نفي المقدور، وإلا فكيف حصل هذا المقدور؟ ويستدلون بوجود المقدور على وجود القدرة، وبوجود المعلوم على وجود العلم، وبوجود المراد على وجود الإرادة، وبوجود المسموع على وجود السمع، وبوجود المبصرات على وجود صفة البصر وهكذا، فيستدلون بالمحدثات المخلوقات على وجود مقتضياتها من الصفات، وبهذا الرد العقلي نستطيع أن نرد على الأشاعرة فيما نفوه من الصفات فنقول لهم: إن وجود الرحمات في الأرض، رحمة المحتاج والفقير يدل على صفة الرحمة، فإن قالوا: لا يدل عليها، قلنا: وكذلك المقدور لا يدل على القدرة من الناحية الجدلية، فإن قالوا: بل يدل عليها، فإنهم هنا يفرقون بين المتماثلات، هذا من جهة الاستدلال العقلي المجرد، وأما من جهة النصوص الشرعية فهم لا يرجعون إليها أصلاً؛ لأنهم لا يعتقدون أنها مصدر مستقل في تلقي العقائد[2].

خامساً: مظاهر توحيد الأسماء والصفات في سورة الحديد:

إن القرآن الكريم ممتلئ بالكثير من الأسماء والصفات، التي تدل على الله تعالى، فمعرفة الله تعالى مرهونة بمعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، " فتوحيد الأسماء والصفات منزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته؛ ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**

(1) انظر: عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (ج184/1).

(2) انظر: عبد الرحيم السلمي، شرح الحموية (د9/9).

﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾"[1] وسورة الحديد من سور القرآن التي اشتملت على العديد من الآيات، التي تناولت الكثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وهي على النحو التالي:

1- أسماء الله التي وردت في سورة الحديد:

أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن نسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، وقد ورد في سورة الحديد العديد من الأسماء الحسنى لله تعالى منها:

أ- الله:

في اللغة: "من (أَلَهَ) والْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ"[2].

اصطلاحاُ: "هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لِمَا اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم، المقدس، ذو الجلال، والإكرام..."[3].

قال ابن القيم: "وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَأْلُوهُ، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ، وَرَسُولُهُ: الْمُطَاعُ الْمُتَّبَعُ، الْمُهْتَدَى بِهِ، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الطَّاعَةَ سِوَاهُ"[4].

وقال أيضاً: "واسم الله: هو الاسم الجامع للأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولهذا تضاف الأَسماءُ الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أَسماء الله، ولا يقال: الله من أَسماءِ الرحمن، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: 180]"[5].

"والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنّه: (الله)، فهذا الاسم هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميع النصوص، التي قال الرسول ﷺ إنّ اسم الله الأعظم ورد فيها، ومما يُرجِّح أن (الله) هو الاسم الأعظم أنه تكرر في القرآن الكريم **(2697) سبعاً وتسعين وستمائة وألفين**... ويرجحه أيضاً ما تضمنه هذا الاسم من المعاني العظيمة الكثيرة"[6].

---

(1) العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص 5).

(2) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج127/1).

(3) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص 164).

(4) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج137/3).

(5) انظر: ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص45).

(6) الأشقر، العقيدة في الله (ص 213).

قال **ابن كثير**: "﴿اللَّهِ﴾ عَلَمٌ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَالُ: إِنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 22 – 24]، فَأَجْرَى الْأَسْمَاءَ الْبَاقِيَةَ كلها صفات لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180]... وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»"(1).

أما **الزمخشري** فقد وافق ابن كثير، في أحد الأقوال التي يذكرها في تحديد اسم الله الأعظم حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل:40]، "الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ، رجل كان عنده اسم الله الأعظم، وهو يا حي يا قيوم، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، وعن الحسن رضى الله عنه: الله، والرحمن"(2).

وقال **الرازي** في بيان اسم الله الأعظم: "إن الاسم الأعظم هو قولنا: «الله» وهذا هو الأقرب عندي..."(3).

وقد ورد اسم الله في سورة الحديد **اثنتين وثلاثين مرة منها مرتان بلفظ (لله)، الباقي بلفظ (الله، وبالله)**، ولا يوجد خلاف بين السلف ممثلين بابن كثير، والمعتزلة ممثلة بالزمخشري، والأشاعرة ممثلة بالرازي، في اثبات هذا الاسم لله تعالى فالكل متفق على أن الله اسم من الأسماء الحسنى لله تعالى الدالة على ألوهيته سبحانه وتعالى، ولكل واحد منهم قول بأنه اسم الله الأعظم.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج122/1).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج367/3).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج111/1).

ب- العزيز:

في اللغة: "قال أبو بكر[(1)]: العزيز معناه في كلام العرب: القاهر الغالب. من ذلك قول العرب: قد عزّ فلانٌ فلاناً يَعُزُّه عِزّاً: إذا غلبه. قال الله ﷻ: ﴿**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾[ص: 23]، فمعناه: غلبني في الخطاب. ويقرأ: ﴿**وعازَّني في الْخِطَابِ**﴾ على معنى: وغالبني"[(2)].

اصطلاحاً: "هو الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر، وعيب؛ فإن ذلك ينافي العزة التامة" [(3)].

والعزيز: "هو اسم من اسماء الله تعالى على وزن (فعيل)، وقد ورد في القرآن الكريم **تسعاً وثمانين مرة**"[(4)] والعزيز: هو اسم لله تعالى، يشتق منه صفه العزة قال تعالى: ﴿ . . .**فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾ [النساء: 139]، وقد ورد اسم العزيز في سورة الحديد **مرتين** في آيتين هما:

1- قوله تعالى: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحديد: 1].

2- قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد:25].

الناظر للآيتين السابقتين يجد أنهما قد اشتملتا على اسم الله العزيز، قال **ابن كثير** في تفسير الآية الأولى: "وَقَوْلُهُ: ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾ أَيِ: الَّذِي قَدْ خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ"[(5)]، أما الإمام **الطبري** ففسرها بقوله: "﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ**﴾ يقول: ولكنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه، فخالف أمره مما في السموات والأرض من خلقه"[(6)].

---

(1) **هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري**، النحوي على مذهب الكوفيين، إمام مشهور، كان أحفظ زمانه... وله التصانيف المفيدة في النحو واللغة، منها: كتاب الزاهر في اللغة، وكتاب هاءات القرآن، وكتاب غريب الحديث، وغير ذلك، توفي سنة 328هـ. الفيروزآبادى، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص 282).

(2) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس (ج78/1).

(3) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص 180).

(4) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص66).

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/7).

(6) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج165/23).

وقال الإمام **الطبري** في تفسير الآية الثانية: ﴿عَزِيزٌ﴾ "أي عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة"(1).

وقد بين الإمام **الطبري** معنى العزيز عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:129]، حيث قال: "﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي الذي لا يعجزه شيء أراده"(2).

يتضح مما سبق، أنه لا تعارض بين قول كل من الإمام ابن كثير، والإمام الطبري، فما دام أنه سبحانه خضع له كل شيء، فإنه سبحانه قادر على أن ينتقم ممن عصاه، وخالف أمره.

أما الزمخشري المعتزلي، فقد وافق السلف في تفسير معنى العزيز، فقال في تفسير الآية الثانية: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ "أي: غنى بقدرته، وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم، وإنما كلفهم الجهاد؛ لينتفعوا به، ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب"(3)، وقد بين **الزمخشري** معنى اسم العزيز عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:18]، حيث قال:" ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ صفتان مقرّرتان، لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل، يعنى: أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر"(4).

يتبين مما سبق: مدى الاضطراب الموجود في منهج المعتزلة، فعلى الرغم من أن المعتزلة يثبتون أسماء الله تعالى على أنها أعلاماً محضة، مجردة عن المعاني، إلا أن الزمخشري يفسر اسم العزيز بتفسير يوافق فيه السلف، فمن خضع له كل شيء، فإنه قادر على أن ينتقم ممن عصاه، وقادر على إهلاك من يريد، وبذلك فإنه سبحانه لا يغالبه أحد.

أما موقف الأشاعرة ويمثلهم المفسر **الرازي**، حيث قال في تفسير الآية الأولى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ " فَالْمَعْنَى أَنَّهُ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُنَازِعُهُ شَيْءٌ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ، وَالْحَكِيمُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ الْعَالِمُ الَّذِي لَا يَحْتَجِبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْكُلِّيَّاتِ، أَوْ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُ

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج201/23).

(2) المرجع السابق (ج88/3).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج481/4).

(4) المرجع السابق (ج344/1).

أَفْعَالَهُ عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ قَادِرًا مُتَقَدِّمًا عَلَى الْعِلْمِ، بِكَوْنِهِ عَالِمًا لَا جَرَمَ قَدَّمَ الْعَزِيزَ عَلَى الْحَكِيمِ فِي الذِّكْرِ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَزِيزَ لَيْسَ إِلَّا هُوَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تُفِيدُ الْحَصْرَ، يُقَالُ: زَيْدٌ هُوَ الْعَالِمُ لَا غَيْرُهُ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الْوَاحِدُ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ بِعَزِيزٍ وَلَا حَكِيمٍ، وَمَا لَا يَكُونُ كذلك لا يكون إلها"[1].

أما الآية الثانية فقال **الرازي** في تفسيرها: "﴿عَزِيزٌ﴾ لَا يمانع"[2].

ويؤيد هذا القول **القرطبي** ذلك حيث قال في تفسيرها: ﴿عَزِيزٌ﴾ "أَيْ مَنِيعٌ غَالِبٌ" [3].

يتضح مما سبق، أن كلاً من المعتزلة ممثلة في الزمخشري، والأشاعرة ممثلة في كل من الرازي والقرطبي، لم يخالفوا السلف في تفسير اسم العزيز، فهو عندهم بمعنى الخاضع له كل شيء، الذي لا ينازعه أحد، القادر على الانتقام ممن يعارضه، ويخالف أمره.

ت- القوي:

في اللغة: جاء في لسان العرب: "القُوَّةُ نَقِيضُ الضَّعْفِ، وَالْجَمْعُ قُوًى وقِوًى. وَقَوْلُهُ ﷻ: يَا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ، أَي بِجِدّ وعَوْن مِنَ اللَّهِ تَعَالَى...فالقُوَى: جَمْعُ الْقُوَّة، قَالَ ﷻ لِمُوسَى حِينَ كَتَبَ لَهُ الأَلواح: فَخُذْها بِقُوَّةٍ... وقَوَّى اللَّهُ ضعفَك أَي أَبدَلك مَكَانَ الضَّعْفِ قُوَّة..."[4].

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحُسْنَى، ومعناه: الكامل القدرة على الشَّيء، الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66] - ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52] "[5] وقد ذكر البيهقي في كتابه الأسماء والصفات، أن: "الْقَوِيَّ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْقَادِرِ، وَمَنْ قَوِيَ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ التَّامَّ الْقُوَّةِ الَّذِي لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْعَجْزُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَالْمَخْلُوقُ وَإِنْ وُصِفَ بِالْقُوَّةِ، فَإِنَّ قُوَّتَهُ مُتَنَاهِيَةٌ"[6]، كذلك قال البيهقي: "«الْقَوِيُّ»: مَعْنَاهُ الْمُتَمَكِّنُ مِنْ كُلِّ مُرَادٍ"[7]، فالقوى: اسم من أسماء الله

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج443/29).

(2) المرجع السابق (ج472/29).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج261/17).

(4) ابن منظور، لسان العرب (ج207/15).

(5) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1881/3).

(6) البيهقي، الأسماء والصفات للبيهقي (ج117/1).

(7) المرجع السابق (ج314/1).

الحسنى، يشتق منه صفة لله تعالى، وهي صفة القوة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، فقد وجدت أن اسم القوي قد ذكر في القرآن الكريم **ست مرات**، في ست آيات، منها مرتان معرف بال، في مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19]، وأربع مرات غير معرف بال، في مثل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21]، وقد ورد اسم القوي في سورة الحديد **مرة واحدة**، غير معرف بال، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25].

قال المفسر **الطبري** في بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ "يقول تعالى ذكره: إن الله قويّ على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة"(1).

أما موقف المعتزلة: ويمثلهم المفسر **الزمخشري**، فقد وافق **الزمخشري** السلف في تفسير معنى القوي، وقد سبق توضيح ذلك في تفسير اسم العزيز، وقد بين **الزمخشري** معنى اسم القوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى:19] حيث قال: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ أي الباهر القدرة، الغالب على كل شيء"(2).

أما موقف الأشاعرة: ويمثلهم المفسر **الرازي**، فقد وافق أيضاً قول السلف، حيث قال: قَوْلَهُ: ﴿قَوِيٌّ﴾ "لِبَيَانِ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى النُّصْرَةِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ؛ لِيُثِيبَ النَّاصِرَ، لَكِنَّ عَدَمَ الِاحْتِيَاجِ إِلَى النُّصْرَةِ يَكْفِي فِيهِ قُوَّةٌ مَا، فَلِمَ لَمْ يَقُلْ إِنَّ اللَّهَ ذُو الْقُوَّةِ؟ نَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُغْنِي رُسُلَهُ عَنِ الْحَاجَةِ، وَلَا يَطْلُبُ نُصْرَتَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِيُعْجِزَهُمْ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُهَا لِثَوَابِ النَّاصِرِينَ، لَا لِاحْتِيَاجِ الْمُسْتَنْصِرِينَ، وَإِلَّا فَاللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج201/23).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج218/4).

بِالنَّصْرِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات:171، 172] "[1].

يتضح مما سبق، أن كلاً من المعتزلة ممثلة في المفسر الزمخشري، والأشاعرة ممثلة في الرازي، لم يخالفوا السلف، وفي تفسير اسم القوي، فهو عندهم بمعنى: صاحب القوة، الغالب لكل من بارزه وخالف أوامره.

ث- القدير:

في اللغة: "القَدِيرُ: هُوَ الفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ على قَدْرِ مَا تقضِي الحِكْمَة، لَا زَائِدا عَلَيْهِ وَلَا ناقِصاً عَنهُ، وَلذَلِك لَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى، والمُقْتَدِرُ يُقَارِبُه إِلاّ أَنَّهُ قد يُوصَفُ بِهِ البَشَرُ، ويكونُ مَعْنَاهُ المُتَكَلِّف والمُكْتَسِبُ للقُدْرَةِ، وَلَا أَحَدَ يُوصَفُ بالقُدْرَة من وَجْهٍ إِلاّ ويَصِحّ أَنْ يُوصَفَ بالعَجْز من وَجْهٍ، غَيْرَ أَنّ الله تعالَى، فهُوَ الَّذِي يَنْتَفِي عَنهُ العَجْزُ من كلّ وَجْهٍ، تعالَى شَأْنُه"[2].

اصطلاحاً: " هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: التامّ القدرة لا يلابس قدرتَه عجز بوجه "﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾"[3].

فالقدير: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد ورد في القرآن الكريم بمشتقاته **ثماني وأربعين مرة، منها ثلاث وأربعون مرة بلفظ (قديرٌ، وقديراً)، ومرة واحدة بلفظ (القدير)، ومنها مرة واحدة بلفظ (القادر)، ومنها ثلاث مرات بلفظ (مقتدر، ومقتدراً)**، واسم (قادر) على وزن (فاعل)، واسم (قدير) على وزن (فعيل) وهي صيغة مبالغة، واسم (مقتدر) على وزن (مفتعل)، وفي اللغة العربية زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذه الأسماء الثلاثة تتضمن جميعها أن الله سبحانه يستطيع أن يفعل كل ما يشاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأمره – عندما يريد شيئا- إنما هي كلمة كن: فيكون ما يريد في الحال وليس أدل على كمال القدرة المطلقة للقادر، القدير، المقتدر، من أن يوجد سبحانه ما يريده بكلمة كن، فيكون ما يريد كلمح البصر[4].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج196/28).

(2) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج380/13).

(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1782/3).

(4) انظر: سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص57-59).

فالقدير: اسم لله تعالى، متضمن لصفة من صفاته العليا، وهي صفة القدرة، وقد ورد اسم القدير في سورة الحديد **مرة واحدة**، غير معرف بال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الحديد:2].

قال المفسر **الطبري** في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ "يقول جلّ ثناؤه: وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز، وإذلال، وغير ذلك من الأمور"(1)، ويؤيد هذا المعنى القاسمي في تفسيره، حيث قال قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ "أي تام القدرة، فلا يتعذر عليه شيء أراده من إحياء، وإماتة، وغيرهما"(2).

أما الزمخشري المعتزلي، فلم يخالف السلف في تفسيره لمعنى اسم الله القدير، وقد توصلت لذلك من خلال تتبع الكثير من الآيات التي ذكر فيها اسم القدير، حيث وجدت الإمام **الزمخشري** يفسره بالقدرة المطلقة، القدرة على خلق الكون، وما فيه من نظام، والقدرة على تغيير هذا النظام، وسلب المخلوقات خصائصها، حيث سلب الماء خاصية السيولة، وسلب النار خاصية الإحراق، والقدرة التي جعلت القليل يغلب الكثير، والذليل يغلب العزيز، فمثلاً قال **الزمخشري** في تفسير قوله تعالى: ﴿ . . . **وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الأنفال: 41]، أي: يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز، كما فعل بكم ذلك اليوم"(3).

أما الرازي الأشعري، فبين معنى اسم الله القدير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ . . . **إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ [النحل:70]، حيث قال: "هُوَ الْكَامِلُ فِي الْعِلْمِ، الْكَامِلُ فِي الْقُدْرَةِ، فَلِأَجْلِ كَمَالِ عِلْمِهِ، يَعْلَمُ مَقَادِيرَ المصالح وَالْمَفَاسِدِ، وَلِأَجْلِ كَمَالِ قُدْرَتِهِ يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ، وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ"(4).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج165/23 – 166).

(2) القاسمي، محاسن التأويل (ج137/9).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج223/2).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب (ج241/20 – 242).

وقال **القرطبي،** في تفسير قَوْلَهُ تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ "أي الله لا يعجزه شيء"[1]،

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في تفسير معنى اسم القدير، فهو بمعنى صاحب القدرة المطلقة التي لا يعتريها عجز، أو ضعف، القدرة التي لا يحتاج بها أحد.

ج- الأول، والآخر، والظاهر، والباطن:

أولاً: الأول: لغةً: "أَوَّلُ مفرد أَوَّلون وأوائلُ... وأُوَل لها معانٍ:

1 - ما يأتي قبل غيره في الوقت أو الترتيب... ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى**﴾ [طه: 51].

2 - بداية كلِّ شيء (أوّلُ الغيث قطرة).

3 - سابق، قديم، منها الأوّلون والآخرون: القُدامى والمحدثون ﴿**. . . فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنفال: 38].

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحُسنى، ومعناه: القديم الأزليّ الَّذي لا يسبقه عدم، وليس له سابقٌ من خلقه، ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. . .**﴾ [الحديد: 3] "[2].

ثانياً: الآخر: لغةً: مفرد آخِرون وأواخِرُ، و (الآخَر) بفتح الخاء تعني الواحد المغاير، أما (الآخِر) بكسر الخاء فتعني خلاف الأول [3].

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الباقي بعد فناء خَلْقه، الدّائم بلا نهاية، ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. . .**﴾ [الحديد: 3] "[4].

ثالثاً: الظاهرُ: لغةً: "هُوَ الَّذِي ظَهَرَ فوقَ كلِّ شَيْءٍ وعَلاَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي عُرِف بطُرُق الاسْتِدْلال العَقْلي بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ آثارِ أَفْعَالِهِ وأوصافهِ"[5].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/17).

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج140/1).

(3) انظر: أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي (1/ 127)

(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج71/1).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج164/3).

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الغالب بالقدرة على كلّ شيء، الظَّاهر للعقول بأفعاله، وحججه، وبراهين وجوده، وأدلّة وحدانيّته، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. . . ﴾ [الحديد:3]"(1).

رابعاً: الباطِنُ: لغةً: "هُوَ المحتَجِب عَنْ أَبْصَارِ الْخَلَائِقِ، وأوْهامهم فَلَا يُدْركهُ بَصَرٌ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ وَهْمٌ. وَقِيلَ هُوَ الْعَالِمُ بِمَا بَطَن. يُقَالُ: بَطَنْتُ الْأَمْرَ إِذَا عَرَفتَ بَاطِنَهُ"(2).

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يُحَسّ، وإنّما يُدرَك بآثاره وأفعاله، والذي لا يُعلم كُنْه حقيقته للخلق، والعالم ببواطن الأمور والمطّلع على حقيقة كلّ شيء، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ. . . ﴾ [الحديد: 3] "(3).

قال **محمد هراس** في شرحه للعقيدة الواسطية: "قول النبيﷺ: ﴿...اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ...﴾ (4)، هَذَا تَفْسِيرٌ واضحٌ جامعٌ يدلُّ عَلَى كَمَالِ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ محيطٌ بِالْأَشْيَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ: بَيَانٌ لِإِحَاطَتِهِ الزَّمَانِيَّةِ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ: بَيَانٌ لِإِحَاطَتِهِ الْمَكَانِيَّةِ، كَمَا أَنَّ اسْمَهُ الظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْعَالِي فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَلَا شَيْءَ مِنْهَا فَوْقَهُ، فَمَدَارُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْإِحَاطَةِ، فَأَحَاطَتْ أَوَّلِيَّتُهُ وآخريَّتُهُ بِالْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، وَأَحَاطَتْ ظاهريَّتُه وباطنيَّتُهُ بِكُلِّ ظاهرٍ وباطنٍ، فَاسْمُهُ الْأَوَّلُ: دالٌّ عَلَى قِدَمِهِ وأزليَّتِهِ، وَاسْمُهُ الْآخِرُ: دالٌّ عَلَى بقائِهِ وأبديَّتِه، وَاسْمُهُ الظَّاهِرُ: دالٌّ عَلَى علوِّهِ وَعَظَمَتِهِ، وَاسْمُهُ الْبَاطِنُ: دالٌّ عَلَى قربِه ومعيَّتِه، ثُمَّ خُتِمَت الْآيَةُ بِمَا يُفِيدُ إِحَاطَةَ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، وَمِنَ الْعَالَمِ العُلوي والسُّفلي، وَمِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ، فَلَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذرَّة فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، فَالْآيَةُ كُلُّهَا فِي شَأْنِ إِحَاطَةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِجَمِيعِ

(1) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1443/2).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج136/1).

(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، مرجع سبق ذكره (ج220/1).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، (ج2084/4) (ح 2713).

خَلْقِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَّ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا فِي قَبْضَةِ يَدِهِ؛ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ الْعَبْدِ، لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ..."(1).

وقد وردت الأسماء الأربعة (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن) في القرآن الكريم **مرة واحدة** في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، "وهذه الآية فيها خمس صفات، وخمسة أسماء، فقوله: (هو الأول) يتضمن صفة الأولية، (والآخر) يتضمن صفة الآخرية، (والظاهر) يتضمن صفة الظاهرية، وهي الفوقية والعلو، (والباطن) يتضمن صفة الباطنية،(وهو بكل شيء عليم) يتضمن صفة العلم"(2).

قال المفسر **الطبري:** "يقول تعالى ذكره: (هُوَ الأوَّلُ) قبل كل شيء بغير حدّ، (وَالآخِرُ) يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿. . . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. . .﴾ [القصص:88]. وقوله: (وَالظَّاهِرُ) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه. (وَالْبَاطِنُ) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿. . . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]"(3).

إن المعاني التي فسر بها الإمام الطبري الأسماء الأربعة– الأول، والآخر، والظاهر، والباطن– جاء بيانها في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه، حيث قال النبي ﷺ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(4).

---

(1) هرّاس، شرح العقيدة الواسطية (ص 88–89).

(2) عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، (12/5).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج168/23).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الدعوات، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، (ج78/8) (ح 6988).

أما الزمخشري المعتزلي، فقد قال: "هُوَ الْأَوَّلُ: أي: هو القديم الذي كان قبل كل شيء، وَالْآخِرُ: الذي يبقى بعد هلاك كل شيء، وَالظَّاهِرُ: بالأدلة الدالة عليه، وَالْباطِنُ: لكونه غير مدرك بالحواس. فإن قلت: فما معنى الواو؟ قلت الواو الأولى معناها: الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة: على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن: جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسة. وقيل: الظاهر العالي على كل شيء، الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه. والباطن الذي بطن كل شيء، أي علم باطنه، وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم"(1)

يتضح من كلام الزمخشري، موافقته للسلف في اثبات الأسماء الأربعة: (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن) ومعانيها، لكنه خالف في دلالة هذه الأسماء، وهذا ما بيَّنه الزمخشري في تفسيره، حيث قال: بعد تفسير اسمي الظاهر والباطن، وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسة، يقصد أنه حجة على السلف الذين يقولون برؤية الله تعالى في الآخرة، والحق هو ما قاله السلف، وذلك لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22،23]، ولقوله تعالى عن الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15]، ولحديث جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قال: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾"(2)

أما الرازي الأشعري فقد قال في تفسير الآية السالفة: "أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا: إِنَّهُ أَوَّلٌ لِأَنَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ آخِرٌ لِأَنَّهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ ظَاهِرٌ بِحَسَبِ الدَّلَائِلِ، وَإِنَّهُ بَاطِنٌ عَنِ الْحَوَاسِّ مُحْتَجِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ..."(3).

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/472).

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، (ج2/113)، (ح 1378).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/448).

وقد فسر **القرطبي** الأسماء الأربعة- الأول، والآخر، والظاهر، والباطن- بحديث النبي ﷺ الذي يرويه مسلم في صحيحه حيث قال النبي ﷺ: ﴿...اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ...﴾ (1)

يتضح مما سبق، أن المعتزلة والأشاعرة لم يخالفوا السلف في اثبات الأسماء الأربعة، (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن) وكذلك لم يخالفوا السلف في بيان معاني هذه الأسماء، لكن الزمخشري من المعتزلة خالف السلف في دلالة هذه الأسماء، حيث اعتبر أن اسمي الله (الظاهر، والباطن) يدلان على عدم جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وهذا مردود عليهم بدلالة الكتاب والسنة كما أسلفنا.

ح- العليم:

في اللغة: "وَهُوَ العالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وبِما يَكونُ ولَمَّا يَكُنْ بَعْدُ قَبْلَ أَنْ يَكونَ، لَمْ يَزَلْ عالِمًا وَلَا يَزالُ عالِمًا بِمَا كانَ وَمَا يَكونُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيه خافِيةٌ فِي الأرْضِ وَلَا فِي السَّماءِ، سُبْحانَهُ وتَعالَى، أحاطَ عِلْمَهُ بِجَميعِ الأشْياءِ: باطِنِها وظاهِرِها، دَقِيقِها وجَلِيلِها، على أتَمِّ الإمْكانِ. وعَليمٌ: فَعيلٌ فِي أبْنِيَةِ المُبالَغَةِ"(2).

اصطلاحاً: " هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: 23]، وهو المتصف سبحانه بالعلم المطلق، الذي لا يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان (3).

والعليم: هو المحيط علمه بكل شيء، بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي، لا يخلو عن علمه مكان، ولا زمان، عالم الغيب، والشهادة، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، ويعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، يعلم أحوال المكلفين منذ

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/17).

(2) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج136/33 - 137).

(3) انظر: الخطابي، شأن الدعاء (ص 57)

أنشأهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بكل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59][1].

والعليم: "هو اسم من أسماء الله تعالى بصيغة المبالغة على وزن فعيل، ورد في القرآن الكريم **اثنتين وخمسين ومائة مرة**"[2]، إن ورود هذا الاسم بهذه الكثرة يدل دلالة واضحة على سعة علمه سبحانه وتعالى، فهو يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، واسم العليم متضمن لصفة أزلية، وهي صفة العلم، فهو سبحانه عليم بعلم لا يماثله ولا يشابهه علم، علم ليس كعلمنا، فعلمه سبحانه شامل جميع الأشياء صغيرها وكبيرها، حقيرها وعظيمها، وقد دل على هذا الاسم في سورة الحديد **ثلاث آيات** هي:

أ- قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3].

ب- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

ت- قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6].

الناظر للآيات الثلاثة السابقة يجد دلالتهن الواضحة على اسم من أسماء الله الحسنى وهو اسم (العليم)، والذي يفيد العلم المطلق، العلم بكل صغيرة وكبيرة، بكل سر وعلانية، بكل ما علا وسفل، بكل ظاهر وباطن، بكل جلي وخفي، علم بكل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة.

قال المفسر **الطبري** في تفسير الآية الأولى: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ "يقول تعالى ذكره: وهو بكلّ شيء ذو علم، لا يخفى عليه شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا في كتاب مبين"[3].

ومن كمال علمه سبحانه تعالى أنه يعلم ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وما يدخل في الأرض، وما يخرج منها، بل ويعلم السرائر وإن خفيت، وهذا ما أشار إليه **ابن كثير** في

---

(1) انظر: السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص 194-196).

(2) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص59).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج169/23).

تفسير الآيتين الثانية والثالثة، حيث قال في تفسير الآية الثانية: وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ "أَيْ: يَعْلَمُ عَدَدَ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنْ حَبٍّ، وَقَطْرٍ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنْ زَرْعٍ، ونَبات وَثِمَارٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الْأَنْعَامِ: 59]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَنزلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أَيْ: مِنَ الْأَمْطَارِ، وَالثُّلُوجِ والبرَد، وَالْأَقْدَارِ، وَالْأَحْكَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ "الْبَقَرَةِ" أَنَّهُ مَا يَنْزِلُ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا وَمَعَهَا مَلَكٌ يُقرّرها فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ حَيْثُ يَشَاءُ تَعَالَى، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: "..يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ...(1)"(2).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الثالثة: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ "أَيْ: يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَإِنْ دَقَّتْ، وَإِنْ خَفِيَتْ"(3).

أما الزمخشري المعتزلي، فقد قال في تفسير الآية الثانية: "ذكر مما يحيط به علماً ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ من الغيث كقوله: ﴿...فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الزمر: 21] ومن الكنوز والدفائن والأموات، وجميع ما هي له كفات وَما يَخْرُجُ مِنْها من الشجر والنبات، وماء العيون، والغلة، والدواب، وغير ذلك وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير، كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] وَما يَعْرُجُ فِيها من الملائكة وأعمال العباد وَهُوَ مع كثرة نعمه وسبوغ فضله الرَّحِيمُ الْغَفُورُ للمفرطين في أداء مواجب شكرها"(4) وقد بين الزمخشري معنى العلم بذات الصدور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 13، 14] " ومعناه: ليستوِ عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما، ثم

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب حجابه النور، (ج111/1) (ح 364).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج9/8).

(3) المرجع السابق (ج10/8).

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج566/3 – 567).

أنه علله بـ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها، فكيف لا يعلم ما تكلم به. ثم أنكر أن لا يحيط علماً بالمضمر والمسر والمجهر مَنْ خلق الأشياء، وحاله أنه اللطيف الخبير، المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن. ويجوز أن يكون مَنْ خَلَقَ منصوباً بمعنى: ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله، وروى أنّ المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فيظهر الله رسوله عليها، فيقولون: أسروا قولكم لئلا يسمعه إله محمد، فنبه الله على جهلهم. فإن قلت: قدرت في ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ مفعولاً على معنى: ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب، وأظهر باللسان من خلق، فهلا جعلته مثل قولهم: هو يعطى ويمنع، وهلا كان المعنى: ألا يكون عالماً من هو خالق؛ لأنّ الخلق لا يصح إلا مع العلم "[1]، بين أيضاً معنى العليم بذات الصدور عند تفسير قوله تعالى: ﴿ . . . وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 119]، " قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يحتمل أن تكون داخلة في جملة المقول، وأن لا تكون، فإذا كانت داخلة في جملة المقول فمعناها: أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا، وقل لهم: إنّ اللَّه عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور، فلا تظنوا أنّ شيئاً من أسراركم يخفى عليه، وإذا كانت خارجة فمعناها: قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك، وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم"[2].

الناظر لقول **الزمخشري** السابق يظن أنه لم يخالف السلف في إثبات صفة العلم لله تعالى، حيث إنه أثبت لله تعالى علم ما في الأرض من الخفايا، وعلم ما ينزل من السماء وما يعرج إليها، وعلم ما تضمره القلوب وإن لم تنطق به الألسن، إلا أن منهج الزمخشري يظهر بوضوح في اثبات صفة العلم لله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 93]، حيث قال: "ثم أمره أن يحمد الله على ما خوّله من نعمة النبوّة التي لا توازيها نعمة، وأن يهدّد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة، والإقرار بأنها آيات الله، وذلك حين لا تنفعهم المعرفة، يعنى في الآخرة... وقيل: هو

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج579/4 – 580).

(2) المرجع السابق (ج407/1).

كقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية وكل عمل يعملونه، فالله عالم به غير غافل عنه؛ لأنّ الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات"[1].

فالزمخشري هنا يخالف السلف، حيث يقول: إن الله تعالى عالم بذاته لا بعلم زائدًا على ذاته؛ وهذه إشارة واضحة على منهج المعتزلة في صفات الله تعالى حيث يجعلونها عين الذات، فالله عالم بذاته بدون علم، أو عالم بعلم وعلمه ذاته، بل إن الغلاة من المعتزلة أنكروا علم الله تعالى للأشياء حتى تقع، وقال بعضهم: إنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، أي: يعلم عموم الأشياء ولا يعلم تفاصيلها، وهذا يقتضي أنه يعلم عدد الخلق ولكن لا يعلم تفاصيل أعمالهم[2].

والصحيح ما عليه أهل السنه أنه سبحانه عالم بعلم زائد على ذاته، فالصفات غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها، مع أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور وجود ذاتٍ مجردة من الصفات، فالله تعالى عالم وعلمه سبحانه محيط بجميع الأشياء أزلاً، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:282]، وعلمه سبحانه يشمل الكليات والجزئيات، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:59]، فلا يخفى على الله خافية في الأرض ولا السماء، فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون كما قال سبحانه عن الكافرين: ﴿. . . وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28]، فهو سبحانه يعلم المستحيلات، كما يعلم الممكنات، فالله تعالى يعلم أنه لو وقع الشيء المستحيل – وهو إعادتهم إلى الدنيا– لم يتوبوا بل سيعودون لما كانوا عليه من الكفر والضلال.

أما المفسر **القرطبي** من الأشاعرة، فقد وافق قول السلف في تفسير معنى اسم العليم، حيث قال في تفسير الآية الأولى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ "أي: بِمَا كَانَ أَوْ يَكُونُ فلا يخفى عليه شيء"[3]، لكن يظهر رأي **القرطبي** بوضوح في تفسيره لمعنى علم الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج390/3).

(2) انظر: ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية (د5/30).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/17).

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، حيث قال: " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي بما خلق وهو خالق كل شيء، فوجب أن يكون عالماً بكل شيء، وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: 14]، فَهُوَ الْعَالِمُ وَالْعَلِيمُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ وَاحِدٍ قَائِمٍ بِذَاتِهِ..."(1).

فعلم الله تعالى شامل لكل شيء، كامل لا ينقصه شيء وهذا المعنى قد أشار إليه المفسر **الرازي** عند تفسير الآية الثانية حيث قال: "وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ وَصْفَ الْقُدْرَةِ عَلَى وَصْفِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِكَوْنِهِ تَعَالَى قَادِرًا قَبْلَ الْعِلْمِ، بِكَوْنِهِ تَعَالَى عَالِمًا، وَلِذَلِكَ ذَهَبَ جَمْعٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، هُوَ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ قَادِرًا، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْعِلْمِ بِاللَّه هُوَ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ مُؤَثِّرًا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَالْعِلْمُ بِكَوْنِهِ قَادِرًا مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعِلْمِ بِكَوْنِهِ عَالِمًا"(2).

أما الآية الثالثة فقد قال المفسر **القرطبي** قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ " أَيْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا يَجُوزُ أن يعبد من سواه"(3).

وقد أشار **القرطبي** لمعنى العلم بذات الصدور عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24]، حيث قال: " إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ" عَامٌّ، أَيْ بِمَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ. وَقِيلَ خَاصٌّ. وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَوْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لعلمه وطبع على قلبك". (4)

أما المراد بذات الصدور فقد بينه **الرازي** في تفسيره حيث قال: "والمراد بذات الصدور الخواطر القائمة بالقلب، والدواعي، والصوارف، الموجودة فيه، وهي لكونها حالة في القلب منتسبة إليه فكانت ذات الصدور، والمعنى أنه تعالى عالم بكل ما حصل في قلوبكم من الخواطر، والبواعث، والصوارف"(5).

يتضح مما سبق أن المعتزلة ممثلة في الزمخشري، خالفوا السلف في تفسير اسم العليم، أما الأشاعرة ممثلة في القرطبي، والرازي، فقد وافقوا السلف، فالمعتزلة أثبتوا اسم العليم، ونفوا صفة العلم، عن الله؛ لأنهم يجعلون صفات الله تعالى هي عين الذات، فالله عندهم عالم بذاته

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/261).
(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/448 – 449).
(3) القرطبي، مرجع سبق ذكره (ج17/237).
(4) المرجع السابق (ج16/25).
(5) الرازي، مرجع سبق ذكره (ج8/343).

أي بدون علم فعلمه هو ذاته، والصحيح ما ذهب إليه السلف وهو أن صفات الله غير الذات وزائدة عليها من حيث المفهوم والمعنى، ومع ذلك فإن صفاته سبحانه لا تنفك عن ذاته، فلا يمكن أن نتصور ذاتاً مجردة من الصفات، فالعليم اسم لله تعالى متضمناً لصفة ذاتية أزلية هي صفة العلم، وعلمه سبحانه محيط بجميع الأشياء أزلاً، فهو يعلم أحوال خلقه، وآجالهم، وأرزاقهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ويعلم جميع حركاتهم، وسكناتهم، لا تخفى عليه سبحانه خافية، قال تعالى: ﴿ . . . وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:61].

خ- البصير:

في اللغة: من بصُرَ يَبصُر، بَصَرًا وبَصارَةً، فهو بَصير، والمفعول مبصور به، وبصُر الشَّخصُ أي: صار مبُصِرًا، صار ذا بَصَرٍ، وبصُر بالأمر قبل وقوعه: فطنه وعَلِمَ به، تنبَّأ به ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه: 96] (1).

اصطلاحاً: هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المبصِر، الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها (2).

"والبصير بمعنى مبصر، فهو سبحانه يرى كل شيء من خلقه دقَّ أو جلَّ، ظهر أو خفي، لا تحجب رؤيته الحواجب التي تحجب عن خلقه الرؤية، إذ يبصر سبحانه النملة السوداء تدب على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض"(3).

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم وجدت أن اسم البصير، ورد في القرآن الكريم **أربعاً وأربعين مرة، منها سبعٌ وعشرون مرة بلفظ (بصيرٌ) بالرفع**، في مثل قوله تعالى: ﴿ . . . وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 96]، **ومنها ثلاث عشرة مرة بلفظ (بصيراً) بالنصب**، في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 30]،

---

(1) انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1/ 210).

(2) انظر: السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص 174).

(3) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص 63).

ومنها أربع مرات بلفظ (البصير) في مثل قوله تعالى: ﴿ . . .إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:20]، والبصير هو اسم من أسماء الله الحسنى متضمن لصفة أزلية ذاتية وهي صفة البصر، وقد ورد اسم البصير في سورة الحديد **مرة واحدة** في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

قال **ابن كثير** قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ "أَيْ: رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ حَيْثُ أَنْتُمْ، وَأَيْنَ كُنْتُمْ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فِي الْبُيُوتِ أَوِ الْقِفَارِ، الْجَمِيعُ فِي عِلْمِهِ عَلَى السَّوَاءِ، وَتَحْتَ بَصَرِهِ وَسَمْعِهِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَيَرَى مَكَانَكُمْ، وَيَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هُودٍ: 5]، وَقَالَ ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرَّعْدِ: 10]، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ، لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ: ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾(1)"(2).

أما الزمخشري المعتزلي، فإنه لم يتطرق لتفسير معنى اسم الله البصير الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الاسم عند الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: 28]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ "أي: يسمع كل صوت، ويبصر كل مبصر في حالة واحدة، لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض، فكذلك الخلق والبعث"(3).

يتضح من كلام الزمخشري مدى التناقض الموجود في منهج المعتزلة، فإنه يثبت لله تعالى صفة البصر المشتقة من اسمه البصير، وفي ذلك فهو يخالف المعتزلة الذين يعتبرون أن

---

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ (ج19/1) (ح50).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج9/8).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج502/3).

البصير اسماً مجرداً عن المعاني، فيقولون بصير بلا بصر، بل بصير بذاته، أي بصره هو ذاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما المفسر **القرطبي** من الأشاعرة، فقد وافق قول السلف في اثبات اسم البصير وصفة البصر، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، أي: يُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ وَيَرَاهَا ولا يخفى عليه شيء مِنْهَا"[1] لكن المفسر **الرازي** من الأشاعرة خالف السلف في بيان معنى هذه الصفة، وهذا ما يتضح من كلامه عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: 265]، حيث قال: "والمراد من البصير العليم، أي هو تعالى عالم بكمية النفقات وكيفيتها، والأمور الباعثة عليها، وأنه تعالى مجاز بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[2]، وكلام الرازي هذا هو الذي عليه مذهب الأشاعرة فهم يثبتون سبعَ صفات لله تعالى إلا أنهم يفسرونها بتفسيرات باطلة مخالفة لما عليه السلف.

يتضح مما سبق أن اسم البصير ليس اسماً مجرداً من المعاني، بل يتضمن صفة ذاتية، لا تنفك عن الله تعالى، وهي صفة البصر، وهذا هو الحق الذي عليه السلف، وقد خالف في ذلك المعتزلة الذين يعتبرون أن أسماء الله مجردة من المعاني فهم يقولون عن الله: بصير بلا بصر، أما الأشاعرة فقد وافقوا السلف في اثبات صفة البصر فهي من صفات المعاني السبعة التي يثبتونها، إلا أنهم يفسرونها بغير معناها الصحيح، حيث قالوا: إن المراد بالبصير العليم، والله بما تعملون بصير أي بما تعملون عليم، وهذا مخالف للحق الذي عليه السلف فإن البصر صفة، والعلم صفة، فليس البصير هو العليم وليس السميع هو الكريم، فكل اسم من أسماء الله له معنى يضيف لله صفة من صفات الكمال، وقد يعلم العليم وهو لا يرى، فلا يلزم مع كونه عليمًا أن يكون بصيرًا، فالعلم شيء، والبصر شيء، والله تعالى متصف بهما جميعاً وكل صفة منهما لها معناها الخاص بها والذي يليق بجلال الله وكماله.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج237/17).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج50/7).

د- الرؤوف:

في اللغة: "قال أبو بكر: قال أهل اللغة: الرؤوف معناه في كلامهم: الشديد الرحمة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: 65] أي: لرحيم شديد الرحمة، والرؤوف قرئت بوجهين: الرؤوف، بإثبات الهمزة، مع إثبات واو بعد الهمزة، والرؤُف، بضم الهمزة، من غير إثبات واو "[1].

وقد فرَّق الزجاج بين الرأفة، والرحمة من أسماء الله، بقوله: "الرؤوف يُقَال: إن الرأفة وَالرَّحْمَة وَاحِد، وَقد فرقوا بَينهمَا أَيْضًا، وَذَلِكَ أَن الرأفة هِيَ الْمنزلَة الثَّانِيَة، يُقَال: فلَان رَحِيم، فَإِذا اشتدت رَحمته فَهُوَ رؤوف"[2].

اصطلاحاً: هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو بمعنى الرحيم العطوف برأفته على عباده [3]

فالرؤوف اسم من أسماء الله الحسنى، يتضمن صفة لله تعالى، وهي صفة الرأفة، وقد ورد في القرآن الكريم **عشر مرات** منها في سورة الحديد **مرة واحدة**، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9].

قال المفسر **الطبري** وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ "يقول تعالى ذكره: وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيِّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رأفة بكم ورحمة، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك"[4].

"والرأفة: أعلى مَعاني الرحمة، وهي عَامَّة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة"[5].

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فلم يبين الزمخشري المراد بالرؤوف في تفسيره، وهذا هو أصل منهج المعتزلة، أنهم يثبتون أسماء مجردة من المعاني.

---

(1) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس (ج1/97).

(2) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ص 62).

(3) انظر: الخطابي، شأن الدعاء (ص91).

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/173).

(5) المرجع السابق (ج3/171).

أما المفسر **الرازي من الأشاعرة**، فقال: أما قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فقد حمله بعضهم على بعثة محمد ﷺ فقط، وهذا التخصيص لا وجه له، بل يدخل فيه ذلك مع سائر ما يتمكن به المرء من أداء التكاليف"[1].

وقد فرق الرازي بين الرأفة والرحمة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿. . .وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، قال القفال[2]رحمه الله: " الفرق بين الرأفة والرحمة، أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه، وإزالة الضرر كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: 2]، أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأما الرحمة: فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام، وقد سمى الله تعالى المطر رحمة، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]؛ لأنه إفضال من الله وإنعام، فذكر الله تعالى الرأفة أولًا، بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم، ويخفف المحن عنهم، ثم ذكر الرحمة لتكون أعم وأشمل، ولا تختص رحمته بذلك النوع، بل هو رحيم من حيث إنه دافع للمضار التي هي الرأفة، وجالب للمنافع معاً"[3].

وقال رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى:﴿ . .إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:117]، "وهما صفتان لله تعالى ومعناهما متقارب، ويشبه أن تكون الرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال المنفعة، وقيل: إحداهما للرحمة السالفة، والأخرى للمستقبلة"[4].

يتضح مما سبق، أن كلاً من الزمخشري والرازي لم يبينا معنى اسم الله تعالى الرؤوف، إلا أن الرازي زاد عن الزمخشري أنه بين في تفسيره أن الرؤوف غير الرحيم، وأن الرأفة مبالغة في الرحمة، ولعل هذه المنهجية لكل من الزمخشري والرازي ترجع إلى أصول كل من المعتزلة

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج451/29).

(2) **هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، القفال، أبو بكر:** من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، من أهل ما وراء النهر، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب (الشافعيّ) في بلاده ... من كتبه (أصول الفقه، ومحاسن الشريعة، وشرح رسالة الشافعيّ)، (ولد سنة 291هـ – وتوفي سنة 365هـ). الزركلي، الأعلام (ج274/6).

(3) الرازي، مرجع سبق ذكره (ج93/4– 94).

(4) المرجع السابق (ج163/16).

والأشاعرة، فالمعتزلة يثبتون أسماء الله تعالى مجردة من المعاني، وينفون جميع الصفات الإلهية، والأشاعرة يثبتون أسماء الله تعالى، وينفون ما تتضمنه من صفات سوى صفات المعاني السبعة التي يثبتونها، ولذلك كلٌّ منهما خالف السلف، الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رَسُوله ﷺ من الأسماء، والصفات بغير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

ذ- الرحيم:

في اللغة: "من (رَحِمَ) الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ" [1].

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الرَّفيق بالمؤمنين، والعاطف على خلقه بالرِّزق، والمثيب على العمل ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: 3]"[2].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجدت أن اسم الرحيم، ورد في القرآن الكريم **خمسًا وتسعين مرة، منها: أربع وثلاثون مرة بلفظ (الرحيم)**، في مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: 22]، **ومنها: إحدى وستون مرة بلفظ (رحيم)**، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:192].

*** الفرق بين اسمي الرحمن، والرحيم:**

الرحمن: هو اسم الله تعالى، مشتق من الرحمة على وجه المبالغة، وهو على وزن فعلان، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، وهذا الاسم (الرحمن) يختص بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز إطلاقه على غيره، واسم الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، فهو دال على أن الرحمة صفة ذات له سبحانه، أما اسم **الرحيم:** فهو اسم لله مشتق من الرحمة كذلك، وهو على وزن فعيل، وهو يختلف عن اسم (الرحمن) فاسم الرحمن يتضمن صفة الرحمة التي تعم كافة خلقه، بأن خلقهم، وأوسع عليهم في أرزاقهم، فإنه أشد مبالغة من اسم (الرحيم) الذي يتضمن صفة الرحمة التي تعم عباده المؤمنين فحسب، بأن هداهم إلى الإيمان في الدنيا، وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:43][3].

---

(1) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 498).

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج873/2).

(3) انظر: سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص92 – 94).

قال **ابن القيم** رحمه الله تعالى: "الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]، ولم يجئ قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته..."(1).

فالرحيم من أسماء الله تعالى، يتضمن ثبوت صفة الرحمة الفعلية لله سبحانه، فالرحمة صفة ثابتة لله دل عليها اسم الرحيم، وقد ورد اسم الرحيم في سورة الحديد **مرة واحدة**، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9].

قال **ابن كثير** قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ "أَيْ: فِي إِنْزَالِهِ الْكُتُبَ، وَإِرْسَالِهِ الرُّسُلَ؛ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ وَإِزَالَةِ الشُّبَهِ"(2).

وقال **ابن كثير** في التفريق بين الرحمن، والرحيم: "﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالِغَةِ، وَرَحْمَنُ أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ رَحِيمٍ... وَفِي تَفْسِيرِ بَعْضِ السَّلَفِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَثَرِ، عَنْ عِيسَى عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: وَالرَّحْمَنُ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ الْآخِرَةِ"(3).

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فقد فرق بين الرحمن والرحيم بقوله: "والرَّحْمنِ فعلان من رحم، كغضبان وسكران، من غضب وسكر، وكذلك الرحيم فعيل منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي الرَّحْمنِ من المبالغة ما ليس في الرَّحِيمِ، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إنّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى"(4).

---

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج24/1).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج12/8).

(3) المرجع السابق (ج124/1).

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج6/1).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 5]،" أي: بليغ الغفران والرحمة واسعهما، فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا"[(1)].

وقال المفسر **الرازي من الأشاعرة:** "لله تعالى: رحمتان سابقة ولاحقة، فالسابقة: هي التي بها خلق الخلق، واللاحقة: هي التي أعطى بها الخلق بعد إيجاده إياهم من الرزق، والفطنة، وغير ذلك فهو تعالى بالنظر إلى الرحمة السابقة رحمن، وبالنظر إلى اللاحقة رحيم، ولهذا يقال: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فهو رحمن؛ لأنه خلق الخلق أولًا برحمته، فلما لم يوجد في غيره هذه الرحمة، ولم يخلق أحد أحدًا، لم يجز أن يقال لغيره: رحمن، ولما تخلق الصالحون من عباده ببعض أخلاقه، على قدر الطاقة البشرية، وأطعم الجائع، وكسا العاري، وجد شيئًا من الرحمة اللاحقة، التي بها الرزق، والإعانة، فجاز أن يقال له رحيم"[(2)].

يتضح مما سبق، أن كلاً من المعتزلة، والأشاعرة لم يخالفوا السلف في اثبات اسمي الرحمن والرحيم، لله تعالى، ولكنهم خالفوا السلف في بيان متعلق اسم الرحيم، حيث قال السلف رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الآخرة، أما المعتزلة والأشاعرة قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا.

ر- الخبير:

في اللغة: الخَبِيرُ: "مِنْ أَسماء اللَّهِ ﷻ، الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وخَبُرْتُ بالأَمر: أَي عَلِمْتُهُ، وخَبَرْتُ الأَمرَ، أَخْبُرُهُ إِذا عَرَفْتَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:59]، أَي اسأَل عَنْهُ خَبِيرًا يَخْبُرُ"[(3)] "والخبير: العالم بالشيء، يقال: «خبرت الشيء واختبرته» إذا علمته" [(4)].

اصطلاحاً: قال **الغزالي**[(5)]: "الْخَبِير: هُوَ الَّذِي لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة، فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء، وَلَا تتحرك ذرة وَلَا تسكن وَلَا تضطرب نفس وَلَا تطمئِن إِلَّا وَيكون

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/359).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/336).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج4/226- 227).

(4) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله (ص 127).

(5) **هو محمد بن محمد بن محمد الغَزَّالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام:** فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. الغزالي بتشديد الزاي نسبته إلى صناعة الغزل، وبتخفيف الزاي نسبة إلى غَزَالة (من قرى طوس)، من كتبه (إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى...)، (ولد سنة 450هـ - توفي سنة 505هـ). انظر: الزركلي، الأعلام (ج7/22-23).

عِنْده خَبَرهَا وَهُوَ بِمَعْنى الْعَلِيم، وَلَكِن الْعلم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سمي خبْرَة، وَيُسمى صَاحبهَا خَبِيراً"[1].

وقال **ابن القيم:** "والخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها، كما أحاط بظواهرها..."[2].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم وجدت أن اسم الخبير، ورد في القرآن الكريم **ثلاثاً وأربعين مرة، منها ست مرات بلفظ (الخبير)**، في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، **ومنها خمس وعشرون مرة بلفظ (خبير)**، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11]، **ومنها اثنتا عشرة مرة بلفظ (خبيراً)**، في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 96]، والخبير من أسماء الله الحسنى، يتضمن ثبوت صفة ذاتية لله تعالى وهي صفة الخبرة، فالخبرة صفة ثابتة لله دل عليها اسم الخبير، وقد ورد اسم الخبير في سورة الحديد **مرة واحدة** في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

قال المفسر **الطبري:** وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، "يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله، وقتال أعدائه، وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون خبير، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة"[3].

أما المفسر **الزمخشري**، فإنه لم يتطرق لتفسير معنى اسم الله الخبير، الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي، وجدت بيان معنى هذا الاسم عند الزمخشري، عند تفسير قوله تعالى: ﴿. . وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]، "أي: لا يخبرك بالأمر مخبر، هو مثل خبير عالم

(1) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (ص 103).

(2) ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج2/492).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/177).

به، ويريد: أن الخبير بالأمر وحده، هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به، والمعنى: أنّ هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق، لأنى خبير بما أخبرت به"[1].

وقال الزمخشري في تفسيره لسورة الفرقان وقوله تعالى: ﴿ . . .وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:58]، "أي: إنه خبير بأعمالهم، كاف في جزاء أعمالهم"[2].

أما موقف المفسر **الرازي من الأشاعرة**، فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، "والمعنى أنه تعالى لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب، فلا بد وأن يكون عالماً بالجزئيات، وبجميع المعلومات، حتى يمكنه إيصال الثواب إلى المستحقين، إذ لو لم يكن عالماً بهم وبأفعالهم على سبيل التفصيل، لما أمكن الخروج عن عهدة الوعد بالتمام، فلهذا السبب أتبع ذلك الوعد بقوله: والله بما تعملون خبير"[3].

يتضح مما سبق أن كلاً من الزمخشري المعتزلي، والرازي الأشعري، وافقوا السلف في بيان معنى الخبير، فهو ذو الخبرة الذي لا يخفى عليه شيء، ويعلم كل شيء، ظاهرًا، وباطنًا، كبيرًا، وصغيرًا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وبخبرته وعلمه يجازي عباده يوم القيامة، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

ز- الغني:

في اللغة: "من غَنِيَ يَغْنَى غِنًى. وَالْغَنَاءُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ مَعَ الْمَدِّ: الْكِفَايَةُ. يُقَالُ: لَا يُغْنِي فُلَانٌ غَنَاءَ فُلَانٍ، أَيْ لَا يَكْفِي كِفَايَتَهُ. وَغَنِيَ عَنْ كَذَا فَهُوَ غَانٍ. وَغَنِيَ الْقَوْمُ فِي دَارِهِمْ: أَقَامُوا، كَأَنَّهُمُ اسْتَغْنُوا بِهَا. وَمَغَانِيهُمْ: مَنَازِلُهُمْ. وَالْغَانِيَةُ: الْمَرْأَةُ. قَالَ قَوْمٌ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا اسْتَغْنَتْ بِمَنْزِلِ أَبَوَيْهَا. وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَغْنَتْ بِبَعْلِهَا. وَيُقَالُ اسْتَغْنَتْ بِجَمَالِهَا" [4].

"والغَنِيّ: هُوَ الَّذِي لَا يَحْتاج إِلَى أحَد فِي شَيْءٍ، وكُلّ أحَدٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الغَنِيُّ المُطْلَق، وَلَا يشارِك اللهَ تَعَالَى فِيهِ غَيْرُهُ. وَمِنْ أَسْمَائِهِ «المُغْنِي»، وَهُوَ الَّذِي يُغْنِي مَن يَشَاءُ مِنْ عبِادِه"[5].

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج3/605- 606).

(2) المرجع السابق (ج3/288).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/453).

(4) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج4/ 397).

(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج3/390).

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المُستغني عن كلّ ما سواه، الكامل بما له وما عنده، فلا يحتاج معه إلى غيره، ﴿ . .وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ. . ﴾ [محمد:38]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ. . ﴾ [الأنعام: 133] "[1].

" فالله تعالى، غني غنى مطلقاً عن جميع خلقه، فليس محتاجاً إلى أي منهم؛ لأنه سبحانه هو خالق الخلق، ومالكه، ومدبر أمره، وخزائن كل شيء عنده وحده، يمد منها خلقه بقدر معلوم حسب مشيئته، هو سبحانه كما قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: 21]، ومن كانت صفاته بهذه المثابة، فلا يمكن أن يحتاج البتة إلى واحد من خلقه، إذ إن الذي يحتاج إلى غيره لا يصلح أن يكون إلهاً، ومن ثم إلهنا العظيم هو (الغني) على الإطلاق"[2].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم وجدت أن اسم الغني، ورد في القرآن الكريم **ست عشرة مرة، منها ثماني مرات بلفظ (الغني)**، في مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان: 26]، **ومنها سبع مرات بلفظ (غني)**، في مثل قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 263]، **ومنها مرة واحدة بلفظ (غنياً)**، في مثل قوله تعالى: ﴿ . . .وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾[النساء:131]، والغني من أسماء الله الحسنى، يتضمن ثبوت صفة ذاتية لله تعالى، وهي صفة الغنى، فالغنى صفة ثابتة لله دل عليها اسم الغني، وقد ورد اسم الغني في سورة الحديد **مرة واحدة** في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الحديد: 24].

لم يبين **ابن كثير** معنى اسم الله الغني الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الاسم عند ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان: 26]، حيث قال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أَيِ: الْغَنِيُّ

---

(1) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1648/2).

(2) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص47 - 48).

عَمَّا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ"[1]، وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ . .وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ . . ﴾ [محمد:38]، "﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ﴾ أَيْ: عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ دَائِمًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ أَيْ: بِالذَّاتِ إِلَيْهِ، فَوَصْفُهُ بِالْغِنَى وَصْفٌ لَازِمٌ لَهُ، وَوَصْفُ الْخَلْقِ بِالْفَقْرِ وَصْفٌ لَازِمٌ لَهُمْ، أَيْ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْهُ"[2].

أما المفسر **الزمخشري**، فلم يتطرق أيضاً لتفسير معنى اسم الغني الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الاسم عند الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان:12]، حيث قال: "غَنِيٌّ غير محتاج إلى الشكر"[3] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾[الزمر: 7] قال: "فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه...والغنى الذي لا يجوز عليه الحاجة"[4].

أما المفسر **الرازي** من الأشاعرة، فقد قال:" قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ "معناه أن الله غني فلا يعود ضرر عليه ببخل ذلك البخيل، وقوله: الحميد كأنه جواب عن السؤال يذكر هاهنا، فإنه يقال: لما كان تعالى عالماً بأنه يبخل بذلك المال ولا يصرفه إلى وجوه الطاعات، فلم أعطاه ذلك المال؟ فأجاب بأنه تعالى حميد في ذلك الإعطاء، ومستحق للحمد حيث فتح عليه أبواب رحمته ونعمته، فإن قصر العبد في الطاعة فإن وباله عائد إليه"[5].

والملاحظ أن **الرازي** لم يسهب في تفسيره لاسم الله الغني في سورة الحديد، لذا وجد الباحث مزيد بيان لهذا الاسم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان: 26]، فقال: "أن السموات وما فيها والأرض وما فيها إذا كانت لله ومخلوقة له فالكل محتاجون فلا غني إلا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج فهو حامد،

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج348/6).
(2) المرجع السابق (ج324/7).
(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج493/3).
(4) المرجع السابق (ج114/4– 115).
(5) الرازي، مفاتيح الغيب (ج469/29).

لاحتياجه إلى من يدفع حاجته فلا يكون الحميد المطلق إلا الغني المطلق فهو الحميد، وعلى هذا يكون الحميد بمعنى المحمود..."[1] ويؤيد هذا المعنى **القرطبي** في تفسيره حيث قال: "(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) أَيِ الْغَنِيُّ عَنْ خَلْقِهِ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ لِيَنْفَعَهُمُ، (الْحَمِيدُ) أي المحمود على صنعه"[2].

يتضح مما سبق أن كلاً من المعتزلة ممثلة في الزمخشري، والأشاعرة ممثلة في الرازي والقرطبي قد وافقوا السلف في بيان معنى الغني، فهو ذو الغنى المطلق الذي لا يحتاج غيره، ولم يتعبد خلقه لحاجته لهم، بل تعبدهم لمصلحتهم، حتى يفوزوا برضاه وجنته، فالكل محتاج لرحمته، مفتقر لغناه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:15].

س- الحميد:

في اللغة: " من (حَمِدَ) الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الذَّمِّ. يُقَالُ حَمِدْتُ فُلَانًا أَحْمَدُهُ. وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمُحَمَّدٌ، إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ غَيْرُ الْمَذْمُومَةِ" [3].

اصطلاحاً: "هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: المستحقّ للثَّناء والشُّكر والحَمْد، قال تعالى: ﴿ . .لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1]"[4].

قال **ابن القيم:** "وهو الذي له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص لا في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته" [5].

"والحميد: على وزن (فعيل)، وهو صيغة مبالغة تدل على المبالغة في الحمد والكثرة فيه، و(الحميد) بمعنى (المحمود)، فهو سبحانه المستحق للحمد بكل أنواعه، لا مستحق له سواه"[6].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجدت أن اسم الحميد، ورد في القرآن الكريم **سبعَ عشرة مرة، منها عشر مرات بلفظ (الحميد)**، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 8]، **ومنها ست مرات بلفظ (حميد)**، في مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج127/25).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج76/14).
(3) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 100).
(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج556/1).
(5) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص180).
(6) سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات (ص 78).

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، **ومنها مرة واحدة بلفظ (حميداً)**، في مثل قوله تعالى: ﴿.. وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: 131]، والحميد من أسماء الله الحسنى، يتضمن ثبوت صفة ذاتية لله تعالى لا تنفك عنه وهي صفة الحمد، ومعناها أنه سبحانه مستحق لكل أنواع الحمد؛ لأنه المحمود في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وذاته، وهذا لا يكون لأحد سوى الله، وقد ورد اسم الحميد في سورة الحديد **مرة واحدة** في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24].

قال المفسر **الطبري**: "(الْحَمِيدُ) يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال"(1).

لم يبين ابن كثير معنى اسم الله الحميد الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الاسم عند ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: 26]، حيث قال قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ "الْحَمِيدُ فِي جَمِيعِ ما خلق، له الحمد في السموات وَالْأَرْضِ عَلَى مَا خَلَقَ وَشَرَعَ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا"(2).

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فلم يتطرق لتفسير معنى اسم الحميد الوارد في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الاسم عند الزمخشري، في تفسيره لسورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]، حيث قال: " حَمِيدٌ أي: حقيق بأن يحمد، وإن لم يحمده أحد"(3)، وقال رحمه الله تعالى: "حَمِيدٌ فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده"(4)، وقد بين رحمه الله تعالى السر في ذكر اسم الحميد بعد اسم الغني، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15] حيث قال: "لما أثبت فقرهم إليه، وغناه عنهم،– وليس كل غنى نافعا

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج454/20).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج348/6).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج493/3).

(4) المرجع السابق (ج411/2).

بغناه، إلا إذا كان الغنيّ جوادًا منعمًا، فإذا جاد وأنعم، حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد،– ذكر الحميد؛ ليدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه"[1].

أما موقف كلٌّ من المفسر **الرازي**، والمفسر **القرطبي من الأشاعرة**، فقد سبق بيان رأيهم في تفسير اسم الله الحميد، عند الحديث عن اسم الله الغني، حيث بين **الرازي** أن المراد من الحميد أنه المحمود المستحق للحمد لإنعامه على خلقه، وأيد ذلك **القرطبي** حيث قال: الحميد أي المحمود على صنعه[2]

يتضح مما سبق، أن كلاً من الزمخشري المعتزلي، والرازي، والقرطبي من الأشاعرة، قد وافقوا السلف في بيان معنى الحميد، فهو ذو الحمد المطلق، المستحق بإنعامه على خلقه أن يحمدوه، فله الحمد على ما خلق، وله الحمد على ما أعطى، ومنع، وله الحمد على ما أغنى، وأفقر، فهو سبحانه المحمود على فعله، ولا يحمد على مكروه غيره، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وخلاصة القول: إنه على الرغم من الخلل الموجود عند كل من المعتزلة، والأشاعرة في باب الأسماء الحسنى؛ إلا أن كل من الزمخشري المعتزلي، والرازي والقرطبي الأشعريين، وافقوا السلف في إثبات ما ورد من أسماء حسنى لله تعالى في سورة الحديد، كما وافقوا السلف في بيان معنى معظم هذه الأسماء، وهذا يظهر مدى الاضطراب والخلل الموجود في منهج كل من المعتزلة والأشاعرة، فإن أئمتهم ليسوا على رأي واحد في أسماء الله الحسنى.

2- صفات الله التي وردت في سورة الحديد:

صفات الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن نصف الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، وقد ورد في سورة الحديد العديد من الصفات العليا لله تعالى، منها:

أ- الاستواء:

في اللغةً: من استوى يستوي، استَوِ، استواءً، فهو مُسْتَوٍ، والمفعول مُسْتَوًى عليه، استوى فلانٌ أي: اعتدلَ، واستقامَ، واستوى الطَّعامُ أي: نضِج، واستوى الشَّيئان: تساويا ولم يَفضُل

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج606/3).

(2) انظر: البحث "اسم الغني" (ص91).

أحدُهما الآخرَ، واستوى الشَّيءُ: استقرَّ وثبَت [1]. واستوى لها أربعة معاني: الاستقرار، والعلو، والصعود، والارتفاع [2].

اصطلاحاً: الاستواء من الصفات الفعلية لله تعالى، فهو سبحانه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، واستواؤه بمعنى علوه، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] أي: علا على العرش، والعرش هو أعظم المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وهو أعلاها، والله سبحانه وتعالى فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه[3].

"ذكر السلف لمعنى الاستواء أربعة ألفاظ، كلها مترادفة، فقالوا هو: العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، والاستواء الذي ورد في الكتاب والسنة، لا يتعدى أربعة أمور: **الأول:** ما كان متعدياً بإلى، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة:29]، وهذا باتفاق أهل اللغة، وأهل التفسير، معناه: العلو، والارتفاع. **الثاني:** ما جاء متعدياً بعلى، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:54]، وهذا كذلك معناه: العلو والارتفاع. **الثالث:** ما جاء مقترناً بواو المعية، نحو: استوى الماء والخشبة، وهذا معناه المساواة. **والرابع:** إذا لم يأت متعدياً بشيء، وإنما تعدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص:14]، وهذا باتفاق المفسرين معناه: كمل وتم"[4].

"ولما سُئِلَ الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" [5]. "فقوله: الاستواء معلوم أي: معناه معلوم في اللغة العربية...فاستوى بمعنى: علا وارتفع وصعد واستقر، وهذه المعاني الأربعة تدور عليها تفاسير السلف لصفة الاستواء، فالله تعالى مستو على عرشه، بهذه المعاني الأربعة، كما يليق بجلاله، وعظمته، والكيف غير معقول، فما نعلم كيف استوى، فالكيفية مجهولة، لكن نعلم المعنى، والإيمان به واجب؛ لأنه كلام الله، والسؤال عنه بدعة، فلا يُسأل عن الكيفية"[6].

---

(1) انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج2/ 1141).
(2) عبد العزيز الراجحي، شرح الاقتصاد في الاعتقاد (د9/1).
(3) انظر: يوسف بن محمد علي الغفيص، شرح الواسطية (د2/11).
(4) عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح العقيدة الواسطية (د7/3).
(5) التنوخي، التنبيه على مبادئ التوجيه – قسم العبادات (ج1/ 37).
(6) عبد العزيز الراجحي، شرح الاقتصاد في الاعتقاد (د9/2).

"أما تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو فاسد من جهة اللغة، ومن جهة الشرع، فإنه لا يعرف في اللغة، استوى: بمعنى استولى، ولا دليل لهم عليه، إلا بيت قاله الأخطل النصراني[(1)]: قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق. قالوا: إن هذا معناه استولى على العراق"[(2)].

يتضح مما سبق خطأ من فسر الاستواء بالإستيلاء، وذلك لأسباب منها: اعتمادهم على بيت من الشعر، ينسب لرجل نصراني، وكان الأولى بهم أن يعتمدوا على نصوص الكتاب، والسنة، وأقوال سلف الأمة في ذلك هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن استدلالهم بهذا البيت خاطئ؛ لأن استوى بشر على العراق، معناها: علا على عرشه، وصار ملكاً عليه، ومن ناحية أخرى، تفسير استوى بمعنى استولى، تشعر بوجود منازع على العرش، بعد أن لم يكن مستوٍ استوى أي نازع غيره، فغلبه، فاستولى على العرش، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، "وَقد سُئِلَ الْخَلِيل بن أَحْمد إِمَام أهل اللُّغَة والنحو، هَل وجدت فِي اللُّغَة اسْتَوَى بِمَعْنى استولى؟ فَقَالَ: هَذَا مِمَّا لَا تعرفه الْعَرَب وَلَا هُوَ جَار فِي لغتها"[(3)].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجدت أن صفة الاستواء، وردت في القرآن الكريم **تسع مرات، في تسع آيات، منها مرة واحدة، في سورة الحديد**، وهي قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الحديد: 4].

قال المفسر **الطبري** معنى استوى في تفسيره، حيث قال: "ثم استوى على عرشه، أي ارتفع عليه وعلا"[(4)].

---

(1) **هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك:** شاعر، له ديوان شعر، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، نشأ على المسيحية، (ولد سنة 19هـ – توفي سنة 90هـ). انظر: الزركلي، الأعلام (ج123/5).

(2) عبد الرحمن البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) (ص 106).

(3) مرعي بن يوسف المقدسي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، (ص 124).

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج169/23).

بينما قال المفسر **ابن كثير**: "وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، وَإِنَّمَا يُسلك فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَشْبِيهٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ. وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إِلَى أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِينَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى:11] بَلِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَئِمَّةُ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولَهُ تَشْبِيهٌ، فَمَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ تَعَالَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْآيَاتُ الصَّرِيحَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى النَّقَائِصَ، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْهُدَى"(1).

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فلم يتطرق لتفسير معنى صفة الاستواء الواردة في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي، وجدت بيان معنى هذه الصفة عند الزمخشري، في تفسيره لسورة طه، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]،"لما كان الاستواء على العرش، وهو سرير الملك، مما يردف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة... ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أنّ من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم تكن له يد رأسًا قيل فيه: يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم: هو جواد، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ . .﴾ [المائدة:64] أي هو بخيل، ﴿. . بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ . .﴾ [المائدة: 64] أي هو جواد، من غير تصوّر يد.."(2).

يتضح مما سبق، مخالفة المعتزلة ممثلة في الزمخشري، للسلف في بيان معنى الاستواء.

أما المفسر **الرازي الأشعري**، فلم يبين معنى صفة الاستواء الواردة في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذه الصفة عند الرازي، في تفسيره لسورة طه، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] حيث قال: "قال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء، قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق... من غير سيف ودم مهراق.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج426/3– 427).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج52/3).

فإن قيل هذا التأويل غير جائز لوجوه، **أحدها:** إن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز، وذلك في حق الله تعالى محال، **وثانيها:** إنه إنما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه، وكان المستولى عليه موجوداً قبل ذلك، وهذا في حق الله تعالى محال؛ لأن العرش إنما حدث بتخليقه وتكوينه، **وثالثها:** الاستيلاء حاصل بالنسبة إلى كل المخلوقات، فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة، والجواب: إنا إذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت هذه المطاعن بالكلية"[(1)]، يفهم من كلام الرازي ترجحه بأن معنى الاستواء هو الاستيلاء، المرادف للاقتدار.

يتضح مما سبق، أن السلف يثبتون صفة الاستواء لله تعالى كغيرها من الصفات الفعلية، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد فسرها الإمام الطبري: بالعلو، والارتفاع، ولكن خالف في ذلك أهل التأويل من المعتزلة، والأشاعرة، فالزمخشري المعتزلي، جعل الاستواء كناية عن الملك، والرازي الأشعري، فسر الاستواء بالاستلاء–بمعنى الاقتدار– ، ومنشأ تأويل الاستواء عند كل من المعتزلة، والاشاعرة، ومخالفة السلف هو ظنهم أن العلو، والارتفاع يتناقض مع تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتركيب، والجهة، ومشابهة المخلوقات، وأن استواءه على العرش، يقتضي افتقاره للعرش، وكل ذلك لا يليق في حق الله تعالى، ولكن نستطيع أن نبطل كل هذه الشبه بقوله تعالى: ﴿ . . .لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فاستواء الخالق سبحانه على العرش ليس كاستواء المخلوق على الكرسي، فهو سبحانه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، واستواؤه بمعنى علوه، علواً يليق بعظمته وجلاله.

ب– المعية:

المعية: هي من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى، بنص الكتاب والسنة، ومعتقد السلف فيها: " أنَّ الله معنا على الحقيقة، وأنه فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه"[(2)].

وإن إثبات صفة المعية لله تعالى على نوعين:

1– المعية العامة: معية الله لجميع الخلق، مؤمنهم، وكافرهم، فالله تعالى مع خلقه بإحاطته واطلاعه، ورؤيته وسماعه لهم من فوق عرشه، وهذه المعية مقتضاها الاطلاع والإحاطة، وتأتي في صيغ المحاسبة، والمجازاة، والتخويف، كقوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا . . . ﴾ [المجادلة:7].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج9/22).

(2) علوي السَّقَّاف، صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص 317– 318).

2- **المعية الخاصة:** فهي خاصة بالمؤمنين، كمعيته سبحانه للصابرين، والمتقين، والذاكرين كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:46]، ومقتضاها: النصر والتأييد والحب، قال ﷺ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40]، وكقوله سبحانه لموسى وهارون: ﴿لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:46]، فلما دخل فرعون معهم في الخطاب، جاءت المعية العامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:15]. فهو سبحانه مع الناس كلهم بعلمه، وإحاطته، وهو مع المتقين، ومع الصابرين بعونه، ونصره، وتأييده، وتوفيقه، وتسديده سبحانه[1].

لا تعارض بين صفتي المعية والعلو وذلك لوجوه:

1- لو كانا متناقضان لما صح أن يجمع الله بينهما في وصف نفسه.

2- ليس بين العلو والمعية تعارض، أصلاً، فمن الممكن أن يكون الشيء عالياً وهو معك، ومنه ما يقوله العرب: القمر معنا ونحن نسير، مع أن القمر في السماء، فإذا أمكن اجتماع العلو والمعية في المخلوق، فاجتماعهما في الخالق من باب أولى.

أرأيت لو أن إنساناً على جبل عالٍ، وقال للجنود: اذهبوا إلى مكان بعيد في المعركة، وأنا معكم، وهو واضع المنظار على عينيه، ينظر إليهم من بعيد، فصار معهم؛ لأنه الآن يبصرهم كأنه بينهم.

3- إنه لو تعذر اجتماعهما في حق المخلوق، لم يكن متعذراً في حق الخالق؛ لأن الله أعظم وأجل، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين[2].

وقد وردت صفة المعية لله تعالى في سورة الحديد **مرة واحدة**، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

قال المفسر **الطبري**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ "أي: وهو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع"[3].

---

(1) انظر: عبد العزيز الراجحي، شرح الاقتصاد في الاعتقاد (د3/6).

(2) انظر: العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج404/1- 405).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج169/23).

وقال **ابن كثير**: قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ "أَيْ: رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ حَيْثُ أَنْتُمْ، وَأَيْنَ كُنْتُمْ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فِي الْبُيُوتِ أَوِ الْقِفَارِ، الْجَمِيعُ فِي عِلْمِهِ عَلَى السَّوَاءِ، وَتَحْتَ بَصَرِهِ وَسَمِعِهِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَيَرَى مَكَانَكُمْ، وَيَعْلَمُ سِرَّكُمْ، وَنَجْوَاكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هُودٍ: 5]"(1) .

يتضح مما سبق أن المعية المذكورة في سورة الحديد، هي المعية العامة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه، وقدرته، وقهره، وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5].

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي،** فلم يتطرق لتفسير معنى صفة المعية الواردة في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذه الصفة عند الزمخشري، في تفسيره لسورة الشعراء، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: 15] حيث قال: "من مجاز الكلام، يريد: أنا لكما ولعدوّكما كالناصر الظهير لكما عليه، إذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه، فأظهركما، وأغلبكما، وأكسر شوكته عنكما، وأنكسه... ومَعَكُمْ لغواً، فإن قلت: لم جعلت مُسْتَمِعين قرينة مَعَكُمْ في كونه من باب المجاز، والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع؟ قلت: ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة؛ لأنّ الاستماع جار مجرى الإصغاء، والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية. ومنه قوله تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً ويقال: استمع إلى حديثه، وسمع حديثه، أي: أصغى إليه، وأدركه بحاسة السمع"(2).

يتضح مما سبق، مخالفة المعتزلة للسلف في اثبات صفة المعية لله تعالى، حيث يعتبر السلف أن هذه المعية حقيقية، إما بعلمه واحاطته إن كانت عامة، أو بنصرته وتأييده إن كانت خاصة، بينما الزمخشري من المعتزلة، يعتبر أن هذه المعية على المجاز لا الحقيقة.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج9/8).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج304/3).

أما المفسر **الرازي** من الأشاعرة، لم يبين المراد بصفة المعية المذكرة في سورة الحديد؛ لكنه بين المراد بها في أكثر من موطن، ومن ذلك قال: قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] "والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر، فأمرهم بالصبر... وبين أنه تعالى مع الصابرين، ولا شبهة أن المراد بهذه المعية النصرة والمعونة"(1).

وقال في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] "ولا شك أن المراد من هذه المعية، المعية بالحفظ، والنصرة، والحراسة، والمعونة"(2).

أما المفسر **القرطبي من الأشاعرة** فقال: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ "(وَهُوَ مَعَكُمْ) يَعْنِي: بِقُدْرَتِهِ، وَسُلْطَانِهِ، وَعِلْمِهِ، (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ وَيَرَاهَا ولا يخفى عليه شيء مِنْهَا"(3). وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: 12] "الْمَعْنَى: بِأَنِّي مَعَكُمْ، أَيْ بِالنَّصْرِ، وَالْمَعُونَةِ"(4). وقال: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: 35] "أَيْ: بِالنَّصْرِ والمعونة، مثل(وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)"(5).

يتضح مما سبق، أن منهج السلف: هو إثبات معية حقيقية تامة لله تعالى، تليق بجلاله سبحانه وتعالى- كسائر صفاته- ليست معية الحلول، والاتحاد، والمخالطة، ووحدة الوجود، وإنما هي معية العلم، والإحاطة إن كانت عامة، أو معية النصر، والتأييد إن كانت خاصة، هذه المعية لا تتعارض مع علوه سبحانه؛ لأن العلو من صفاته الذاتية اللازمة التي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، وقد خالف السلف في ذلك المعتزلة، ممثلة في الزمخشري، الذي حمل المعية على المجاز، لا الحقيقة، أما الأشاعرة: ممثلة في القرطبي، والرازي، فقد وافقوا السلف في تفسير معنى المعية، فالمعية العامة: فسروها بالعلم، والخاصة: فسروها بالحفظ، والنصرة، والحراسة، والمعونة.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج490/15).
(2) المرجع السابق (ج51/16).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج237/17).
(4) المرجع السابق (ج378/7).
(5) المرجع السابق (ج256/16).

ت- المحبة:

في اللغةً: من حبَّ، يَحِبّ، حُبًّا، فهو حَابّ، والمفعول مَحْبوب وحَبِيب، وحبَّ الشَّيءَ أو الشَّخصَ أي: ودّه ومال إليه ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]، أو عظَّمه وخضع له ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165] (1).

اصطلاحاً: هي صفة فعلية ثابته لله تعالى على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فالله تعالى يحب عباده المحسنين، والمقسطين، والتوابين، والمتطهرين، فوجب الإيمان بأن من صفاته سبحانه المحبة (2).

وصفة المحبة صفة يثبتها السلف لله سبحانه وتعالى، كما يثبتون سائر الصفات، وصفة المحبة قد دلَّ عليها الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة. والمحبة التي يثبتها السلف، والجماعة، هي محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله جل وعلا، فيثبتون المحبة من الطرفين من الله لعباده ومن العباد لله سبحانه وتعالى(3).

أما دلالة القرآن على صفة المحبة: فقد ورد العديد من الآيات الدالة على صفة المحبة، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54]، وأما دلالة السنة على هذه الصفة، فقد ورد العديد من الأحاديث الدالة على صفة المحبة، منها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»(4) وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على هذه الصفة، بقوله: "وَقَدْ أَجْمَعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى إثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَهَذَا أَصْلُ دِينِ الْخَلِيلِ إمَامِ الْحُنَفَاءِ عليه السلام"(5).

---

(1) انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1/ 431).

(2) انظر: عبد الرحمن البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) (ص 63).

(3) انظر: خالد بن عبد الرحمن الشايع، استِدرَاك وَتَعقِيب عَلى الشَّيخ شُعَيب الأَرنَؤُوط في تَأويلِهِ بَعض أحَادِيثِ الصِّفَاتِ، (ص 86).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي، (ج8/214) (ح7542).

(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج2/354).

وقد وردت صفة المحبة لله تعالى في سورة الحديد **مرة واحدة**، في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23].

قال المفسر **الطبري**: "وقوله: (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) يقول: والله لا يحبّ كلّ متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس"(1).

وقال المفسر **السعدي** مبيناً صفة المحبة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، "هذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله، وأفعاله، في أصول الدين، وفروعه، في الظاهر، والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته، وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محباً لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها، وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص"(2).

أما المفسر **الزمخشري**، فلم يبين معنى صفة المحبة الواردة في سورة الحديد، لكن من خلال بحثي وجدت بيان معنى هذه الصفة عند **الزمخشري** في تفسيره لسورة المائدة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ..﴾ [المائدة: 54]، حيث قال: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ محبة العباد لربهم، طاعته، وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة اللَّه لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم له، ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم"(3).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج199/23).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 128).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج646/1 -647).

أما موقف كلٍّ **الرازي والقرطبي** الأشعريين، فإنهما لم يبينا معنى صفة المحبة الواردة في سورة الحديد؛ إلا أن الرازي بين معنى هذه الصفة عند تفسيره لسورة الأعراف، عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، "إنه لا يحب المسرفين: هذا نهاية التهديد؛ لأن كل ما لا يحبه الله تعالى بقي محروماً من الثواب؛ لأن معنى محبة الله تعالى العبد إيصاله الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثواب فقد حصل العقاب، لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلف لا يثاب، ولا يعاقب"[1].

كما أن **القرطبي** بين معنى صفة المحبة عند تفسيره لسورة آل عمران، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . .﴾ [آل عمران: 31] ، "قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ [2]: الْمَحَبَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: إِرَادَةُ الشَّيْءِ عَلَى قَصْدٍ لَهُ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ ورسوله طَاعَتُهُ لَهُمَا، وَاتِّبَاعُهُ أَمْرَهُمَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: 31]. وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعِبَادِ: إِنْعَامُهُ عَلَيْهِمْ بِالْغُفْرَانِ، قَالَ اللَّهُ تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32] أَيْ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ"[3].

يتضح مما سبق، مخالفة كلٍّ الزمخشري، وكذلك الرازي والقرطبي، للسلف، فكلاً منهم لا يثبت المحبة كصفة لله تعالى، بل يثبتون فقط آثار ومقتضيات ودلائل هذه المحبة، فمن دلائل محبة العبد لربه طاعته، ومن دلائل محبة الرب للعبد أن يثيبه أحسن الثواب، وأن ينعم عليه بالغفران، أما الحق هو ما عليه السلف، فإنهم يثبتون المحبة كصفة لله تعالى، وكذلك يثبتون الآثار المترتبة على هذه الصفة.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج230/14).

(2) **هو محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله:** إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها... من كتبه (المختصر الكبير) في فقه المالكية، و(المختصر الشامل) في التوحيد، و(مختصر الفرائض) و(الحدود) في التعاريف الفقهية..(ولد سنة 716هـ-توفي سنة 803هـ). الزركلي، الأعلام (ج43/7).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج60/4).

ث- الحياة:

في اللغة: "من (حَيَّ)...خِلَافُ الْمَوْتِ... فَالْحَيَاةُ وَالْحَيَوَانُ، ضِدُّ الْمَوْتِ وَالْمَوَتَانِ. وَيُسَمَّى الْمَطَرُ حَيًا لِأَنَّ بِهِ حَيَاةَ الْأَرْضِ. وَيُقَالُ نَاقَةٌ مُحْيٍ وَمُحْيِيَةٌ: لَا يَكَادُ يَمُوتُ لَهَا وَلَدٌ. وَتَقُولُ: أَتَيْتُ الْأَرْضَ فَأَحْيَيْتُهَا، إِذَا وَجَدْتَهَا حَيَّةَ النَّبَاتِ غَضَّةً" [(1)].

اصطلاحاً: هي صفة ذاتية فعلية، ثابتة لله تعالى، وهي متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، فالله تعالى حي بحياة أزلية لم يسبقها عدم، ولم يلحقها موت [(2)].

فصفة الحياة: هي صفة **ذاتية**- باعتبار أنها ملازمة للذات، لا تنفك عنها- **وفعلية**- باعتبار أن الإحياء من أفعال الله تعالى، المرتبطة بإرادته ومشيئته- مشتقة من اسم الله تعالى الحي، ومن الفعل يحيي، قال الخطابي: "والحَيُّ: هو الذِي لم يَزَلْ مَوْجوْدَاً، وَبالحَيَاةِ مَوْصوْفَاً، لم تحْدث لَهُ الحَيَاة بَعْدَ مَوْتٍ، وَلَا يَعْتَرِضه المَوت بَعْدَ الحَيَاةِ. وسَائر الأحْيَاءِ يَعْتَورهمْ المَوْت أو العَدَمُ فِي أحَدِ طَرَفَيْ الحَيَاةِ أو فِيْهِمَا مَعَاً و ﴿ . . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . . ﴾ [القصص:88]"[(3)]

فالله تعالى حي بحياة أزلية لم يسبقها عدم، ولن يلحقها موت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: 58]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»[(4)].

فصفة الحياة مشتقة من اسم الله الحي، وقد ورد اسم (الحي) في القرآن **خمس مرات** وذلك على ما يلي:

أ- في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . . . ﴾ [البقرة:255].

ب- وفي قوله تعالى: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1، 2].

---

(1) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 122).

(2) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (ج4/ 187).

(3) الخطابي، شأن الدعاء (ج1/80).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، (ج2086/4) (ح 2717).

ت- وفي قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:111].

ث- وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: 58].

ج- وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:56].

وقد دل على صفة الحياة في سورة الحديد **آيتان** وهما:

1- قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:2].

2- وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:17].

الناظر للآيتين السابقتين يجد أنهما قد اشتملتا على الفعل يحيي، الذي اشتقت منه صفة الحياة، الحياة المطلقة، التي لا يعتريها نقص، ولا عجز حياة، قائمة بذاته سبحانه- فلا يمكن أن يحيي من لم يكن حياً- ومرتبطة بمشيئته فإنه سبحانه يحيي من يشاء، متى شاء، وكيف شاء.

قال المفسر **الطبري** في تفسير الآية الأولى "وقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يقول: يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيواناً، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه"(1).

وقال في الآية الثانية " قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ الميتة التي لا تنبت شيئاً، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسدِّده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله"(2).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج165/23).

(2) المرجع السابق (ج189/23- 190).

أما المفسر **الزمخشري**، فقد وافق السلف في تفسيره لمعنى يُحْيِي، حيث قال في تفسير الآية الأولى: **﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** أي: "يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء"(1).

وقال في تفسيره للآية الثانية: "اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيى الغيث الأرض"(2).

فالزمخشري يثبت صفة الإحياء كصفة فعلية، أما صفة الحياة كصفة ذاتية فلم يتطرق لها الزمخشري، مع العلم أن المعتزلة لم يخالفوا في صفة الإحياء لله تعالى، فلا ينكر هذه الصفة إلا كافر، أما الخلاف مع المعتزلة في اثبات صفة الحياة كصفة ذاتية لله تعالى، حيث يجعلون هذه الصفة غير زائدة عن الذات، فهو حي بحياة، وحياته ذاته، وهذا شأن المعتزلة في جميع الصفات الإلهية.

أما الرازي الأشعري فقد وافق قول السلف حيث قال في تفسير الآية الأولى حيث قال: في قوله: **﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** " ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ وَجْهَيْنِ، **أَحَدُهُمَا:** يُحْيِي الْأَمْوَاتَ لِلْبَعْثِ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا **وَالثَّانِي:** قَالَ الزَّجَّاجُ: يُحْيِي النُّطَفَ فَيَجْعَلُهَا أشخاصاً عقلاء نَاطِقِينَ وَيُمِيتُ وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ تَخْصِيصِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ بِزَمَانٍ مُعَيَّنٍ وَبِأَشْخَاصٍ مُعَيَّنِينَ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾** [الملك: 2]، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِإِيجَادِ هَاتَيْنِ الْمَاهِيَّتَيْنِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَا يَمْنَعُهُ عَنْهُمَا مانِعٌ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْهُمَا رَادٌّ، وَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ فِيهِ الْوَجْهَانِ، اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا الْمُفَسِّرُونَ"(3).

ويؤيد هذا المعنى المفسر **القرطبي** من الأشاعرة، حيث قال: قوله تعالى: **﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** أي:" يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا وَيُحْيِي الْأَمْوَاتَ لِلْبَعْثِ. وَقِيلَ: يُحْيِي النُّطَفَ وَهِيَ مَوَاتٌ وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ"(4).

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/472).

(2) المرجع السابق (ج4/478).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/444).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/236).

أما الآية الثانية فقد قال المفسر **الرازي** الأشعري، قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾" فيه وجهان **الْأَوَّلُ:** إِنَّهُ تَمْثِيلٌ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي مَاتَتْ بِسَبَبِ الْقَسَاوَةِ، فَالْمُوَاظَبَةُ عَلَى الذِّكْرِ سَبَبٌ لِعَوْدِ حَيَاةِ الْخُشُوعِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْيِي اللَّه الْأَرْضَ بِالْغَيْثِ **وَالثَّانِي:** إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها بَعَثَ الْأَمْوَاتَ فَذَكَرَ ذَلِكَ تَرْغِيبًا فِي الْخُشُوعِ، وَالْخُضُوعِ، وَزَجْرًا عَنِ الْقَسَاوَةِ"(1).

وقد أسهب المفسر **الرازي** في بيان معنى الحي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 1، 2] "قَالَ قَتَادَةُ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْقَيُّومُ الْقَائِمُ عَلَى خَلْقِهِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَآجَالِهِمْ، وَأَرْزَاقِهِمْ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْحَيُّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَالْقَيُّومُ الَّذِي لَا نِدَّ لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَنَّ قَوْلَنَا: الْحَيُّ الْقَيُّومُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ، وَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّ الْمَعْبُودَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَيًّا قَيُّومًا وَدَلَّتِ البديهة والحسن عَلَى أَنَّ عِيسَى عليه السلام مَا كَانَ حَيًّا قَيُّومًا، وَكَيْفَ وَهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّهُ قُتِلَ وَأَظْهَرَ الْجَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ عَلِمْنَا قَطْعًا أَنَّ عِيسَى عليه السلام مَا كَانَ إِلَهًا، وَلَا وَلَدًا لِلْإِلَهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا"(2) وقال: "الْحَيُّ الْقَيُّومُ: أَيْ حَيٌّ لَا يَمُوتُ فَيَحْتَاجُ إِلَى وَلَدٍ يَرِثُهُ، وَهُوَ قَيُّومٌ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَضْعُفُ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى وَلَدٍ لِيَقُومَ مَقَامَهُ"(3).

يتبين مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة – الزمخشري–، والأشاعرة – الرازي والقرطبي –، في اثبات صفة الإحياء لله تعالى، فالله تعالى حي بحياة مطلقة لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، وهو سبحانه الذي يحي النطف بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، وهو سبحانه الذي يحي الموتى للبعث بعد ما أصبحوا رميماً، فكل ذلك من مسلمات ديننا الحنيف، ومن أنكر من ذلك شيئاً خرج عن دين الإسلام.

خلاصة القول: إن سورة الحديد قد اشتملت على العديد من صفات الله العليا، وهي: الاستواء، والمعية، والمحبة، والحياة، وقد خالف المتكلمون السلف في اثبات صفة الاستواء، والمعية، والمحبة، فالمعتزلة جعلوا الاستواء كناية عن الملك، والأشاعرة فسروا الاستواء بالاستلاء–بمعنى الاقتدار–، والسلف اثبتوا صفة الاستواء لله تعالى كغيرها من الصفات الفعلية،

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/461).

(2) المرجع السابق (ج7/130).

(3) المرجع السابق (ج28/219).

من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وفسروا الاستواء بأربع كلمات: بالعلو، وبالارتفاع، أما صفة المعية فحملها المعتزلة على المجاز لا الحقيقة، والسلف والأشاعرة حملوها على الحقيقة لا المجاز، أما صفة المحبة فكلٌّ من المعتزلة والأشاعرة لا يثبتون المحبة كصفة لله تعالى، بل يثبتون فقط آثار ومقتضيات ودلائل هذه المحبة، أما السلف فإنهم يثبتون المحبة كصفة لله تعالى، وكذلك يثبتون الآثار المترتبة على هذه الصفة.

على ذلك فالخلاف بين السلف والمتكلمين واضح في باب الصفات، أما في باب الأسماء فهناك توافق كبير بين السلف والمتكلمين في إثبات ما ورد من أسماء حسنى لله تعالى في سورة الحديد، وكذلك في بيان معنى معظم هذه الأسماء.

المبحث الثاني: ثمار التوحيد ونواقضه في سورة الحديد

المطلب الأول: ثمار التوحيد في سورة الحديد

توحيد الله من أعظم الأوامر الإلهة، وهو الذي من أجله أرسلت الرسل، ومن أجلة أنزلت الكتب، وهو أعظم شيء فرضه الله تعالى على العباد، كيف لا وهو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع العقوبات، وبسط النعم والخيرات، به يحصل لصاحبه الهدى، والتوفيق، والمغفرة والرضوان، والفوز بالجنان(1).

وفي ذلك قال ابن القيم: "ليس أدل على أهمية التوحيد من أن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، وإما أمر ونهي، وإما خبر عن جزاء الله لأهل التوحيد، وعقابه لأهل الشرك في الدنيا والآخرة"(2).

ومن أهم ثمار التوحيد في سورة الحديد:

أولاً: الإيمان بالله ورسله يورث الجنة:

الإيمان بالله تعالى، ورسله، ركنان عظيمان من أركان الإيمان، فلا يستقيم إيمان عبدٍ إلا بهما، "والإيمان بالله ورسله، قدر مشترك بين الله تعالى وبين رسله، وطاعة الله وطاعة رسله، قدر مشترك بين الله تعالى وبين رسله، ولكن هذه لله أصلًا، وللرسل تبعًا، لحق الله، فالإيمان بالرسل تابع للإيمان بالله، وطاعتهم تابعة لطاعة الله تعالى، فما تم الإيمان بالرسل ولا طاعتهم إلا لأنهم مرسلون من قبل الله تعالى"(3).

وقد ورد في سورة الحديد العديد من الآيات التي تتحدث عن الإيمان بالله ورسله ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7].

2- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد:19].

---

(1) انظر: سعيد القحطاني، نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ص 14).

(2) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج417/3- 418).

(3) أحمد بن عمر الحازمي، شرح كتاب التوحيد (د7/54).

3- قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

الناظر إلى الآيات الثلاثة السابقة يجد أنها اشتملت على الأجر الجزيل لمن آمن بالله، ورسله، قال **الطبري** في تفسير الآية الأولى، "وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ يقول: فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس، وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم، ورزقهم من المال في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يقول: لهم ثواب عظيم"(1).

أما الآية الثانية، فقال فيها **ابن كثير**: "وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أَيْ: لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَجْرٌ جَزِيلٌ، وَنُورٌ عَظِيمٌ، يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ بِحَسَبِ مَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ"(2).

وأما الآية الثالثة، فقال فيها **الطبري**: "يقول تعالى ذكره: (سَابِقُوا) أيها الناس (إِلَى) عمل يوجب لكم ﴿...مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ...﴾ هذه الجنة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، يعني: الذين وحدَّوا الله، وصدّقوا رسله، وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النِّعم، وعرّفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم"(3).

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فقال في تفسير الآية الثانية: "يريد أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين، والشهداء: وهم الذين سبقوا إلى التصديق، واستشهدوا في سبيل الله، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، أي: مثل أجر الصديقين، والشهداء، ومثل نورهم. فإن قلت: كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بدّ من التفاوت؟ قلت: المعنى أنّ الله يعطى المؤمنين أجرهم، ويضاعفه لهم بفضله، حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك"(4).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج171/23).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج23/8).

(3) الطبري، مرجع سبق ذكره (ج194/23-195).

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج478/4).

وقال **الزمخشري** في تفسير الآية الثالثة: سابِقُوا أي: سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار، إلى جنة عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أي: كعرض سبع سماوات، وسبع أرضين، وذكر العرض دون الطول؛ لأنّ كل ماله عرض وطول فإنّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرض الجنة بالسموات والأرض، فكم يكون الطول حينها؟ ذلِكَ الموعود من المغفرة والجنة فَضْلُ اللَّهِ وعطاؤه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وهم المؤمنون[1].

ويشير إلى هذا الأجر الجزيل كلاً من **القرطبي**، و**الرازي الأشعريين**، فقال **القرطبي** في تفسير الآية الأولى: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) أَيْ صَدِّقُوا أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ (وَأَنْفِقُوا) تَصَدَّقُوا. وَقِيلَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ. (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) أي مما استخلفكم عليه من الأموال التي هي ليست ملكاً لكم (فَالَّذِينَ آمَنُوا) وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) فِي سَبِيلِ اللَّهِ (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) وَهُوَ الْجَنَّةُ"[2].

أما **الرازي** فقد فسر الآية الثانية بقوله: الصديق نعت لمن كثر منه الصدق، وجمع صدقاً إلى صدق في الإيمان بالله تعالى ورسله وفي هذه الآية قولان: **أحدهما:** أن الآية عامة في كل من آمن بالله ورسله، **الثاني:** أن الآية خاصة، أي أن الصديقين هم الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم ولم يكذبوا ساعة قط مثل آل ياسين، ومثل مؤمن آل فرعون، وأما في ديننا فهم ثمانية سبقوا أهل الأرض إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، وقوله: والشهداء فيه قولان: الأول: أنه عطف على الآية الأولى والتقدير: إن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء، والقول الثاني: أن قوله: والشهداء ليس عطفاً على ما تقدم بل هو مبتدأ، وخبره قوله عند ربهم أو يكون ذلك صفة وخبره هو قوله لهم أجرهم وعلى هذا القول اختلفوا في المراد من الشهداء، فقيل: هم الأنبياء، وقيل الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله[3].

وقال **القرطبي** في تفسير الآية الثالثة: قوله تعالى:﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾، أي: لَوْ وُصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وقيل: يعني جميع السموات وَالْأَرَضِينَ مَبْسُوطَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَقِيلَ: يريد أن للرجل الواحد من المؤمنين جنة بهذه السعة، والتعبير بالعرض الذي هو أقل من الطول دليل على شدة السعة، فمن عادة العرب أن تعبير عن سعة

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج479/4).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج238/17).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 462-463).

الشيء بعرضه لا بطوله، وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: الفوز بهذه الجنة شرطه الإيمان، ولكن زاد على هذا الشرط في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 133، 134]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيْ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُنَالُ وَلَا تُدْخَلُ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ[1].

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في اثبات الأجر الجزيل لمن آمن بالله ورسله، فالإيمان بالله ورسوله يقتضى مغفرة الرحمن، والفوز بجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

ثانياً: مضاعفة أجر أهل الكتاب لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ :

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين – الإنس والجن – الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ أن يؤمنوا به، وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وقد جعل سبحانه لإيمان أهل الكتاب ميزة، أن جعل لهم إن آمنوا بالنبي محمد ﷺ أجرين، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [القصص: 54]، وأشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ.» [2].

فأهل الكتاب الذين يؤمنون بالنبي محمد ﷺ يؤتون أجرهم مرتين، جزاء إيمانهم بالنبي الذي أرسل فيهم، وإيمانهم بخاتم النبيين محمد ﷺ، وهذا المعنى الذي أشارت إليه سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 28].

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج256/17 –257).

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، (ج93/1) (ح154).

قال المفسر **الطبري:** "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ، وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يُعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً. وقوله: (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ): اختلف أهل التأويل في الذي عنى به النور في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به القرآن، وقال آخرون: عُنِي بالنور في هذا الموضع: الهدى، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نوراً يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدّقهما، وهدى؛ لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى. وقوله: (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول: ويصفح لكم عن ذنوبكم، فيسترها عليكم، (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره: والله ذو مغفرة ورحمة"(1).

ولكن هذا لا يعني أن من آمن من أهل الكتاب يكون في مرتبة أعظم من تلك التي يكون فيها الصحابة، ومن جاء بعدهم، وذلك؛ لأن الصحابة ومن جاء بعدهم آمنوا بالنبي محمد ﷺ، وجميع الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبله، بل إن من أركان الإيمان، الإيمان بجميع الرسل، ومن لم يؤمن ولو بنبي واحد لا ينعقد إيمانه ولا يستقيم.

وقد أشار إلى مضاعفة أجر أهل الكتاب؛ لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ كلٌّ من المفسر **الزمخشري** من المعتزلة، والمفسر **الرازي** من الأشاعرة، حيث قال **الزمخشري** في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحديد: 28]، "فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى، وعيسى، آمنوا بمحمد، يُؤْتِكُمْ الله كِفْلَيْنِ، أي: نصيبين مِنْ رَحْمَتِهِ؛ لإيمانكم بمحمد، وإيمانكم بمن قبله، وَيَجْعَلْ لَكُمْ يوم القيامة نُوراً، تَمْشُونَ بِهِ، وهو النور المذكور في قوله: ﴿ **يَسْعَى نُورُهُمْ** ﴾ [الحديد: 12]، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي"(2).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج207/23 – 213).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج482/4).

وقال المفسر **الرازي:** يا أيها الذين آمنوا أي من قوم عيسى، فأمرهم أن يتقوا الله، ويؤمنوا بمحمد ﷺ، ثم قال: يؤتكم كفلين أي نصيبين من رحمته؛ لإيمانكم أولاً بعيسى، وثانيا بمحمد ﷺ، ونظيره قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص:54]،عن ابن عباس أنه نزل في قوم جاءوا من اليمن من أهل الكتاب، إلى الرسول، وأسلموا، فجعل الله لهم أجرين، والكفل في اللغة: قيل الكفل كساء يديره الراكب حول السنام؛ حتى يتمكن من الركوب على البعير، وعلى ذلك يكون المعنى يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي، كما يحفظ الكفل الراكب من السقوط عن البعير، وقيل المراد بالكفل النصيب، وعلى ذلك فكيف يكون حال أهل الكتاب الذين أسلموا أفضل من حال المؤمنين، حيث أعطى الله أهل الكتاب الذين أسلموا أجرين، وأعطى المؤمنين أجراً واحداً؟ الجواب على ذلك: أنه لا يبعد أن يكون النصيب الواحد أزيد قدراً من النصيبين، فإن المال إذا قسم بنصفين كان الكفل الواحد نصفاً، وإذا قسم بمائة قسم كان الكفل الواحد جزءًا من مائة جزء، فالنصيب الواحد من القسمة الأولى أزيد من عشرين نصيبًا، من القسمة الثانية، فكذا هاهنا، ثم قال تعالى: ويجعل لكم أي يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد: 12]، ويغفر لكم ما أسلفتم من المعاصي والله غفور رحيم[(1)].

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في اثبات مضاعفة أجر أهل الكتاب لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ ، لكن الخلاف في اثبات حجم هذا الأجر فالسلف يقولون: إن لهم أجرين، والمعتزلة – الزمخشري–، والأشاعرة –الرازي–، يقولون: إن لهم نصيبين والنصيب فسره الرازي بالجزء، وعلى ذلك فالنصيب الواحد قد يكون أكثر من النصيبين، وهذا مخالف لظاهر نصوص الكتاب والسنة، كما أن كلاً من المعتزلة والأشاعرة فسروا النور بذاك النور الذي يكون على الصراط، بينما السلف فسروه بالقرآن وبالهدى.

(1) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج475/29).

المطلب الثاني: نواقض التوحيد في سورة الحديد

كما أن للتوحيد ثمارًا، فإن له نواقض، قد تخرج الإنسان من ملة الإسلام، "وقد ذكر بعض أهل العلم أنها تصل إلى أربعمائة ناقض، وهذه النواقض تجتمع في ثلاثة نواقض رئيسة، هي الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر– الاعتقادي– "[1].

وإن العلم بهذه النواقض من الأهمية بمكان، ومن الأمور التي ينبغي على المسلم الإحاطة بها؛ لئلا يقع في شيء منها، وحتى تبقى عقيدته صافية نقية.

أولاً: تعريف النواقض:

1- النواقض لغة: جمع مفردها ناقض من نقَضَ يَنقُض، نقْضًا، فهو ناقض، والمفعول مَنْقوض، ونقَض الأمرَ أي أفسَده ، فنواقض الوضوء أي مفسداته، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**﴾ [النحل: 92]، ومنه نقَض الحائِطَ أي هدَمه، ونقَض العهدَ أو اليمينَ: نكَثه ولم يعمل به، ونقَض الولاءَ والطّاعةَ: تمرّد وخرج على السّلطة الشَّرعيَّة، خلع الطَّاعة، ونقض الحكم أي أبطله[2].

2- **النواقض اصطلاحاً:** هي اعتقادات، أو أقوال أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه، فهي تقطع الإيمان وتنقضه، بينما سائر المعاصي تنقص الإيمان[3].

ثانياً: مظاهر نواقض التوحيد في سورة الحديد:

بعد البحث في سورة الحديد لم يجد الباحث إلا **مظهرين** فقط من نواقض التوحيد وهما:

1- الكفر:

أ- تعريف الكفر:

لغة: "(كَفَرَ) الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ،... وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ ؛ لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ... وَالْكُفْرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ؛ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا"[4].

---

(1) عبد الله الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية (ص25- 26).

(2) انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج2270/3).

(3) انظر: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (ص 49).

(4) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج191/5).

أما شرعاً: "فالكفر: هو صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به، بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معًا، أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"(1).

والكفر أيضاً يكون بإنكار معلوم من الدين بالضرورة، ويكون بعدم الإيمان بالله ورسله، وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وَالْكُفْرُ إنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّينِ ضَرُورَةً أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ"(2).

وقال رحمه الله تعالى في موطن آخر: "إنَّ الْكُفْرَ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرُسُلِهِ سَوَاءٌ كَانَ مَعَهُ تَكْذِيبٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَكْذِيبٌ بَلْ شَكٌّ وَرَيْبٌ أَوْ إعْرَاضٌ عَنْ هَذَا كُلِّهِ حَسَدًا أَوْ كِبْرًا أَوْ اتِّبَاعًا لِبَعْضِ الْأَهْوَاءِ الصَّارِفَةِ عَنْ اتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ وَإِنْ كَانَ الْكَافِرُ الْمُكَذِّبُ أَعْظَمَ كُفْرًا وَكَذَلِكَ الْجَاحِدُ الْمُكَذِّبُ حَسَدًا مَعَ اسْتِيقَانِ صِدْقِ الرُّسُلِ"(3).

يتضح من التعريف اللغوي والشرعي أن الكفر يدور حول عدم الإيمان بالله، أو تكذيب النبي ﷺ فيما أخبر به، أو إنكار شيء معلوم من الدين، أو الإيمان ببعض الدين دون البعض.

ب- أنواع الكفر: للكفر نوعان:

"**النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة**، وهو خمسة أقسام:

1- **كفر التكذيب**: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد: 19].

2- **كفر الإباء والاستكبار مع التصديق**: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

3- **كفر الظن**: والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: 35 - 38].

---

(1) علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام (ج49/1 -50).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج106/1).

(3) المرجع السابق (ج335/12).

4- كفر الإعراض: والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأحقاف:3].

5- كفر النفاق: والدليل قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون: 3].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي - كالذنوب كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر - مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ** ﴾ [النحل: 112]، ومثل قتال المسلم المذكور في قول رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ [1] ﴾[2].

يتضح مما سبق، أنه ثمة فرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، فالكفر الأكبر يخرج من الملة وهذا يعني أنه يخلد صاحبه في النار، ويستباح به دمه وماله، أما الكفر الأصغر فلا يخرج من الملة وبذلك فلا يخلد صاحبه في النار، ولا يستباح معه الدم والمال.

ت- عاقبة الكافرين كما وردت في سورة الحديد:

بين سبحانه وتعالى عاقبة الكافرين في العديد من الآيات في كتابه العزيز، ومن ذلك ما ورد في سورة الحديد حيث بين سبحانه عاقبة الكافرين المتمثلة في دخول النار جزاء كفرهم وتكذيبهم بآيات الله، حيث قال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [الحديد: 19]، قال المفسر **الطبري** في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ "يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بالله وكذّبوا بأدلته وحججه، أولئك أصحاب الجحيم"[3].

أما المفسر **الزمخشري** من المعتزلة، فلم يتطرق لبيان عاقبة الكافرين عند تفسيره لهذه الآية.

---

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»،(ج81/1) (ح116).

(2) انظر: صالح الفوزان، كتاب التوحيد (ص 19 -21).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج193/23).

أما المفسر **القرطبي** من الأشاعرة، قال: "قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بالرسل والمعجزات ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا أجر لهم ولا نور"(1).

لم يخالف أحد من أهل الفرق التي تنسب إلى الإسلام أن عاقبة من كفر وكذب بآيات الله النار، وذلك جزاء كفرهم تكذيبهم بآيات الله ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

2- النفاق:

إن النفاق داء عضال، يسكن باطن الإنسان، فيكون الرجل مصابًا به، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، فكثير من الناس من أصيب به إلا أنه خفي عليه ذلك فتجده يظن أنه من أهل الصلاح، وهو من أهل الفساد، والعياذ بالله.

أ- تعريف النفاق:

لغة: النفاق من"(نَفَقَ) بمعنى انقطاع الشيء وذهابه، فيقال نفقت الدابة أي ماتت، وقد يكون بمعنى إخفاء الشيء وإغماضه، ومنه النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر(2).

أما شرعاً: فالنفاق هو: " إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر، سمي بذلك؛ لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر"(3) وقيل: "هو أن يظهر المرء ما يوافق الحق، ويبطن ما يخالفه؛ فمن أظهر أمام الناس ما يدل على الحق، وكان حقيقة أمره أنه على باطل من الاعتقاد، أو الفعل، فهو المنافق، واعتقاده، أو فعله هو النفاق"(4).

فالنفاق هو اظهار الخير، وإسرار الشر، وهذا ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره، حيث قال: "النِّفَاقُ: هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِسْرَارُ الشَّرِّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ: اعْتِقَادِيٌّ، وَهُوَ الَّذِي يَخْلُدُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، وَعَمَلِيٌّ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ"(5) والنفاق هو أن يخالف قوله فعله، وسره علانيته، وهذا ما أشار إليه الطبري في تفسيره، حيث قال: " المنافقُ، يخالِفُ قولُه فعلَه، وسرُّه علانِيَتَه، ومدخلُه مخرجَه، ومشهدُه مغيبَه"(6).

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج254/17).
(2) انظر: أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج454/5- 455).
(3) صالح الفوزان، كتاب التوحيد (ص 24).
(4) عبد القادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد (ص 191).
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج176/1).
(6) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج270/1).

يتضح من التعريف اللغوي والشرعي أن النفاق يدور حول مخالفة القول للفعل، ومخالفة السر للعلانية، وإظهار الخير، وابطان الشر، وإظهار الإيمان، وابطان الكفر، فصاحبه يقول خلاف ما يفعل، ويعلن خلاف ما يسر، ويظهر خلاف ما يبطن.

ب- أنواع النفاق: النفاق نوعان:

1- النفاق الاعتقادي: وهو كفر أكبر، يخرج صاحبه من الملة، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومعناه: أن يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

2- النفاق العملي: فصاحبه يدعي الإيمان بالله ﷻ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ، ولكنه يعمل أعمالاً عدها رسول الله ﷺ من النفاق، مثل: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (1)، هذا نفاق عملي، صاحبه مؤمن لا يخرج من الملة، ولكن فيه خَصْلَة من خصال المنافقين، وهي خطيرة جدًّا، ربما أنها تؤول إلى النفاق الأكبر إذا لم يتب منها(2).

يتضح مما سبق، أنه ثمة فرق بين النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، فالاعتقادي هو كفر أكبر، يخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار، أما العملي فإنه لا يخرج صاحبه من الملة، وصاحبه غير مخلد في النار.

ت- عاقبة المنافقين كما وردت في سورة الحديد:

بين سبحانه وتعالى عاقبة المنافقين، وهتك أستارهم في العديد من الآيات في كتابه العزيز، ومن ذلك ما ورد في سورة الحديد حيث بين سبحانه عاقبة المنافقين في **آيتين** من سورة الحديد وهما:

1- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13].

---

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (ج1/56) (ح123).

(2) انظر: صالح الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ج1/200).

2- وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:15].

الناظر إلى الآيتين السابقتين يجد أنهما قد تعرضتا لعاقبة المنافقين في الآخرة، وقد بين **الطبري** في تفسير الآية الأولى الأهوال التي تقع للمنافقين في يوم القيامة، حيث قال: قوله: ﴿انْظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا، وقوله: ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ يقول: نستصبح من نوركم، والقبس: الشعلة. وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أي: ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورًا، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا. وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ضرب بين أهل الجنة وأهل النار بحاجز. وقوله: ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب: يعني النار. وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم؟ قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فَتَنْتمْ أنفسكم، فنافقتم[1].

وقال **ابن كثير**: "وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يوم القيامة في العرصات[2]، من الأهوال الْمُزْعِجَةِ، وَالزَّلَازِلِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأُمُورِ الْفَظِيعَةِ، وَإِنَّهُ لَا يَنْجُو يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا عَنْهُ زَجَرَ"[3].

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج180/23-185).

(2) **العَرَصَات:** جَمْعُ عَرْصَة، وَهِيَ كلُّ موضِعٍ وَاسِعٍ لَا بِناء فِيهِ. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج208/3).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج49/8- 50).

أما الآية الثانية فقال في تفسيرها **الطبري:** قوله: ﴿**فَالْيَوْمَ**﴾ أيها المنافقون ﴿**لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ**﴾ يعني: عوضاً وبدلاً من عقابكم وعذابكم ﴿**وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يقول: ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا. وقوله: ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ**﴾ يقول: مثواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة النار. وقوله: ﴿**هِيَ مَوْلاكُمْ**﴾ يقول: النار أولى بكم. وقوله: ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ يقول: وبئس مصير من صار إلى النار"[(1)].

أما المفسر **الزمخشري** من المعتزلة، فقال في تفسير الآيتين السابقتين: يَوْمَ يَقُولُ بدل من يوم ترى، انْظُرُونا: أي انتظرونا، وقيل انْظُرُونا: أي وانظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به. ﴿**نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾ نصب منه، وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به قِيلَ ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾ طرد لهم، وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا، فالتمسوا نوراً آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أن لا نور وراءهم، وإنما هو تخييب وإقناط لهم ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ**﴾ بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة، وشق النار. وقيل: هو الأعراف لذلك السور بابٌ لأهل الجنة، يدخلون منه باطِنُهُ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي بلى الجنة وَظاهِرُهُ ما ظهر لأهل النار مِنْ قِبَلِهِ من عنده ومن جهته، الْعَذابُ وهو الظلمة والنار، ﴿**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر ﴿**فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ أهلكتموها بالنفاق ﴿**وَتَرَبَّصْتُمْ**﴾ بالمؤمنين الدوائر وَغَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ: طول الآمال، والطمع في امتداد الأعمار، حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ، وهو الموت. ﴿**وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ وغرّكم الشيطان بأنّ الله عفوّ كريم، لا يعذبكم.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج186/23– 187).

﴿ فِدْيَةٌ ﴾ ما يفتدى به، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي: مكانكم النار، ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ قيل: هي أولى بكم، وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار[1].

أما المفسر **القرطبي**: من الأشاعرة، فقال في تفسير الآيتين السابقتين: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا ﴾ بوصل الألف بمعنى: انتظرونا. وبقطع الألف بمعنى: أمهلونا وأخرونا. ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أي: نستضئ من نوركم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أي: ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور، فاطلبوا منه نورًا، فإنكم لا تقتبسون من نورنا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾أي حاجز بين الجنة والنار. ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعني ما يلي منه المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني ما يلي المنافقين وقيل: باطنه الجنة، وظاهره جهنم﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا يعني نصلي مثلكم، ونغزو مثلكم، ونفعل مثل ما تفعلون ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي المؤمنون ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أهلكتموها بالنفاق. وقيل: بالمعاصي، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ أي تربصتم بالنبي ﷺ، وبالمؤمنين. وارتبتم: أي شككتم في التوحيد والنبوة ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي طول الأمل﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الموت. ﴿وَغَرَّكُمْ﴾ أي خدعكم ﴿بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي الشيطان، وقيل: الدنيا، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: أيها المنافقون، والكافرين، لا يقبل منكم بدل، ولا عوض﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مقامكم ومنزلكم ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي أولى بكم. ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي ساءت مرجعاً ومصيراً[2].

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/475- 476).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/245- 248).

يتضح مما سبق، أنه لا يوجد خلاف بين كل من المفسر الطبري، والمفسر الزمخشري، والمفسر القرطبي، في بيان عاقبة المنافقين في الآيتين السابقتين.

خلاصة القول: إنه لا خلاف بين السلف والمتكلمين في اثبات ثمار التوحيد، وجعل الكفر والنفاق من نواقضه.

الفصل الثاني

الرسل والكتب السماوية في سورة الحديد

بين السلف والمتكلمين

المبحث الأول: الرسل في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل: ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، التي لا يقبل إيمان العبد إلا بها، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وفي حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال النبي ﷺ: ﴿ ..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ..﴾ [1]

فعلى المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، فالكفر بواحد منهم كالكفر بهم جميعًا، فجميعهم مرسل من عند الله، بعقيدة واحدة ورسالتهم واحدة قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ. . .﴾ [النحل: 36]، وبعثوا بشرائع متعددة، تتناسب مع الزمان، والمكان. كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:48].

---

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (ج36/1) (ح 1).

أولاً: تعريف النبي والرسول:

1- النبي لغةً: "النبي: من (النَّبَأُ) الْخَبَرُ، يُقَالُ: (نَبَأَ) وَ(نَبَّأَ) وَ(أَنْبَأَ) أَيْ: أَخْبَرَ، وَمِنْهُ (النَّبِيُّ)؛ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ أي أخبر عن الله تعالى"[1]، وقيل: "النَّبِيَّ مِنَ النَّبْوَةِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ، كَأَنَّهُ مُفَضَّلٌ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ"[2].

يتضح مما سبق، أن كلا المعنيين يجتمعان في النبي، فهو مخبر عن ربه، وفي نفس الوقت هو ذو مكانة وقدر مرتفع عند ربه.

2- الرسول لغةً: الرسول: من والإِرْسالُ: وهو التَّوْجِيهُ، وبهِ فُسِّرَ إِرْسالُ اللهِ ﷻ أَنْبِياءَهُ عليهمُ السَّلامُ، كأَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِم أَنْ أَنْذِرُوا عِبادِي، قالَه أَبُو العَبَّاس. والاسْمُ: الرِّسَالَةُ، بالكسرِ، والفَتْحِ... والرَّسُولُ: هو الْمُرْسَلُ، وسُمِّيَ الرَّسُولُ رَسُولًا؛ لأنَّهُ ذُو رِسالَةٍ، والرَّسُولُ مَعْناهُ فِي اللُّغَةِ: الَّذِي يُتابِعُ أَخْبارَ الَّذِي بَعَثَهُ أَخْذاً مِنْ قَوْلِهم: جاءَتِ الإِبِلُ رَسْلاً، أَي مُتَابِعَةً، وقَوْلِ المُؤَذِّنِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ: أُعْلِمُ وأُبَيِّنُ أَنَّ مُحمداً مُتابِعٌ الإِخْبارَ عَن اللهِ ﷻ، والرسول مفرد: جمعها (أَرْسُلٌ، ورُسُلٌ، ورُسَلاَءُ)[3].

يتضح مما سبق، أن الرسول لغة: من الإرسال، وهو التوجيه، فالله تعالى يوجههم لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق، وفق ما يوحيه إليهم من أخبار.

ثانياً: الفرق بين النبي والرسول:

اختلف أهل العلم في بيان المعنى الاصطلاحي لكل من النبي والرسول، على أقوال أهمها:

القول الأول: "إن النبي والرسول مترادفان، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي"[4]، وهذا ما ذهب إليه المعتزلة حيث قال **القاضي عبد الجبار**: "اعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي، وقد خالف في ذلك بعضهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ قالوا: فصل القديم تعالى بين الرسول والنبي، فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر، والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال، حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتى اللفظين المتفقين في

(1) زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح (ص 303).

(2) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج385/5).

(3) انظر: الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج72/29- 74).

(4) محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص 467).

الفائدة، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فإنه لا يدل على ما ذكروه، لأن مجرد الفعل لا يدل على اختلاف الجنسين؛ ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان، ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة كذلك ههنا" (1) .

وقد خالف هذا القول الزمخشري، من المعتزلة، حيث فرق بين النبي والرسول، فقال: "الرسول هو: الذي معه كتاب من الأنبياء: والنبي هو: الذي ينبئ عن الله ﷻ وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع"(2).

القول الثاني: قالوا بالتفريق بين النبي والرسول:

وقد قال بهذا القول جمهرة من العلماء، **كابن أبي العز الحنفي** حيث قال: "وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا، أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ..."(3) ووافقه شيخ الإسلام **ابن تيمية**، حيث قال: "النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، وقوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ فذكر إرسالاً يعمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح عليه السلام"(4).

وقد تبنى هذا القول الأشاعرة، حيث قال **البغدادي:** " والفرق بينهما أن النبي من اتاه الوحي من الله ﷻ ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله" (5) .

---

(1) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص567-568).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج22/3).

(3) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج155/1).

(4) ابن تيمية، النبوات (ج714/2).

(5) البغدادي، أصول الدين (ص154).

وقال **القرطبي:** "لا يجوز أن يقال نبي حتى يكون مرسلًا. والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52]، فأوجب للنبي ﷺ الرسالة. وأن معنى(نبي) أنبأ عن الله ﷻ، ومعنى أنبأ عن الله ﷻ الإرسال بعينه"(1).

من خلال النظر في الأقوال السابقة فإن كلا القولين لم يسلم من الاعتراض، وذلك للأسباب التالية:

1- لا يصحُ قول من يقول: إنه لا فرق بين النبي والرسول، إذ القرآن شاهد بعدم صحة هذا القول، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، فعطف النبي على الرسول يدل على وجود فرق بينهما، ومن ناحية أخرى، وصف الله تعالى بعض الرسل بالنبوة، والرسالة، وهذا يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله تعالى في شأن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 51].

2- أما القول الثاني: فلم يصح أيضًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾، فلو كان الفرق بينهما إنما هو الأمر بالبلاغ فقط، ما جعل صفة الإرسال التي تقتضي التبليغ تشمل كلاً من النبي والرسول.

وعليه فإن الباحث يرى أن أفضل ما قيل في التفريق بين النبي والرسول، هو: "أن الرسول من بعثه الله إلى قوم، وأنزل عليه كتابًا، أو لم ينزل عليه كتابًا لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله؛ والنبي من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ، أو غير ناسخ، وعلى ذلك، فكل رسول نبي، ولا عكس"(2).

ثالثاً: تعريف الإيمان بالرسل:

"هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون، مصدقون، بارون، راشدون، كرام، بررة، أتقياء، أمناء هداة، مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه،

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج80/12).

(2) عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد (ص 43).

﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: 35] وأنهم كلهم على الحق المبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا ﷺ خليلًا، وكلم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليًا، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الله فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات"[1].

فالسلف: يؤمنون إيماناً جازماً بأن الله تعالى أرسل رسلاً مبشرين، ومنذرين، لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن هؤلاء الرسل بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا أممهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد أيدهم الله تعالى بمعجزات تدل على صدقهم، يؤمنون بهم جميعاً، ومن كفر بواحد منهم، فقد كفر بهم جميعاً، وقد فضل الله بعضهم على بعض، وجميعهم دعوتهم واحدة وهي توحيد الله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وقد بعثهم الله لإقامة الحجة على العباد قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 165].

(1) حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص 48- 49).

المطلب الثاني: الرسل الوارد ذكرهم في سورة الحديد

إن الله تعالى أرسل الكثير من الأنبياء والمرسلين، منهم من ذكره لنا في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، ومنهم من لم يخبرنا عنهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78]، وقد ذكر سبحانه في القرآن خمسة وعشرين رسولًا ونبياً، وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ومحمد خاتم الأنبياء والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد فضل الله سبحانه بعض الأنبياء والرسل على بعض، وجعل أفضلهم أولو العزم منهم، وهم خمسة: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجعل أفضل أولي العزم محمدًا ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين[(1)].

وقد ذكر سبحانه وتعالى في سورة الحديد أربعة من أولي العزم من الرسل وهم:

1- نوح عليه السلام: 2- إبراهيم عليه السلام :

1- نوح عليه السلام:

وهو أول الرسل، ففي حديث الشفاعة الطويل أن المؤمنين أتوا آدم عليه السلام؛ ليشفع لهم، فقال لهم:.﴿.وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ..﴾ [(2)]، ونوح عليه السلام هو أحد أولي العزم من الرسل، بعثه الله تعالى حين انحرف الناس عن الدين الصحيح والتوحيد الحق، وظهر الشرك فيهم أول ما ظهر، بعد أن كانوا على التوحيد الصحيح عشرة قرون، بعد آدم عليه السلام كما جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ﴿ كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ، فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[(3)]، فلما رأى الشيطان الناس على التوحيد، ما زال يوسوس لهم، ويلبس عليهم دينهم، حتى استطاع ايقاعهم في الشرك قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

---

(1) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، (ص142-143).

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب بيان من يخرج من النار(ج123/1) (ح 394).

(3) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تَفْسِيرُ سُورَةِ حم عسق (ج480/2) (ح 3654)، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

﴿وَنَسْرًا﴾ [نوح:23]، وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت، ومن هذه اللحظة انتشر الشرك في العالم، فارسل الله تعالى نبيه ورسوله نوح عليه السلام، يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، ويحذرهم من الشرك الذي وقعوا فيه، ويبين لهم خطورة ما هم عليه(1).

2- إبراهيم عليه السلام:

هو نبي الله ورسوله، وهو أحد أولي العزم من الرسل، معروف بخليل الله، ولد بأرض بابل، وكان أهل بابل يعبدون الكواكب، والأصنام، ويؤلهون النمرود، وكان (آزر) أبو إبراهيم عليه السلام ينحت الأوثان لقومه، فدعاهم إبراهيم لعبادة الله وحده وترك عبادة ما دونه، فجادل والده وقومه، ثم تجرأ على آلهة قومه فكسرها، حتى أمر الملك بحرقه، فكانت النار عليه برداً وسلاماً، وهاجر إلى أرض الشام وإلى مصر، ورحل إلى مكة بهاجر وولدها، فأسكن زوجته وولده في وادٍ غير ذي زرع، وزار مكة مرتين، وفي المرة الثانية أمره الله ببناء البيت، وساعده ابنه إسماعيل، وابتلاه بأن أمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ثم فداه بذبح عظيم.

ويعرف إبراهيم عليه السلام بـ "أبي الأنبياء"؛ لأن الله تعالى جعل في ذريته عليه السلام النبوة والكتاب، فنسل العرب كان من ابنه إسماعيل عليه السلام، ومن ولد إسماعيل جاء خاتم الرسل محمد ﷺ، ونسل بني إسرائيل من ابنه إسحاق عليه السلام، فمن إسحاق ولد يعقوب عليه السلام وهو "إسرائيل"، وذريته هم بنو إسرائيل، ومنهم كان أنبياء بني إسرائيل جميعاً، وهكذا انحصرت النبوة في ذرية إبراهيم، عليه السلام.

وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، بريئا من الشرك والشركاء، قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67] وأولى الناس به الذين اتبعوه في دينه وإسلامه، أولاهم محمد ﷺ والمؤمنون معه، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68](2).

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم وجد الباحث أن اسم نبي الله نوح عليه السلام، ورد في القرآن الكريم أربعين مرة، منها ثلاث وثلاثون مرة بلفظ (نوح)، في مثل قوله ﷻ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ

(1) انظر: محمد بن عبد الله الغامدي، حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد (ص54 -55).

(2) انظر: أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام (ص107- 110).

جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، ومنها: سبع مرات بلفظ (نوحاً)، في مثل قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، أما اسم نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقد ورد في القرآن الكريم اثنتان وستون مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24].

وقد ورد اسم كلٍّ من نوح وإبراهيم عليهما السلام في سورة الحديد مرة واحدة في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:26]، قال **ابن كثير**: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مُنْذُ بَعَثَ نُوحًا، عليه السلام، لَمْ يُرْسِلْ بَعْدَهُ رَسُولًا وَلَا نَبِيًّا إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ، عليه السلام، خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، لَمْ يُنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا وَلَا أَرْسَلَ رَسُولًا وَلَا أَوْحَى إِلَى بَشَرٍ مِنْ بَعْدِهِ، إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يَعْنِي حَتَّى كَانَ آخِرُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى بن مَرْيَمَ الَّذِي بَشَّرَ مِنْ بَعْدِهِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد: 27]"[(1)].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت:27]... فمَعَ اتِّخَاذِ اللَّهِ إِيَّاهُ خَلِيلًا، وَجَعْلِهِ لِلنَّاسِ إِمَامًا، أَنْ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ، فَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، فَجَمِيعُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سُلالة يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ عِيسَى بن مَرْيَمَ، فَقَامَ فِي مَلَئِهِمْ مُبَشِّرًا بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ العَرْباء[(2)]، مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِما السَّلَامُ: وَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ سِوَاهُ، -أي: محمد- عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ "[(3)].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج28/8).

(2) هم الخلص من الْعَرَب. أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص642).

(3) ابن كثير، مرجع سبق ذكره (ج275/6).

أما **الزمخشري** من المعتزلة، فلم يفسر آية سورة الحديد، ولكن قال في آية سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت:27]، "أَجْرَهُ الثناء الحسن، والصلاة عليه آخر الدهر، والذرية الطيبة والنبوّة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه... والمراد بالكتاب جنس الكتاب، و يدخل تحته ما نزل على ذرّيته من الكتب الأربعة: التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن".[1]

وقال **الرازي** من الأشاعرة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ "واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أرسل الرسل بالبينات والمعجزات، وأنه أنزل الميزان والحديد، وأمر الخلق بأن يقوموا بنصرتهم، أتبع ذلك ببيان سائر الأشياء التي أنعم بها عليهم، فبين أنه تعالى شرف نوحا وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة، ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فما جاء بعدهما أحد بالنبوة إلا وكان من أولادهما، وإنما قدم النبوة على الكتاب؛ لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع"[2].

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة بأن الله تعالى قد أكرم نبييه نوحًا وإبراهيم عليهما السلام حيث جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فما أرسل نبيٌّ إلا ورجع نسله لهما، حتى خاتم النبيين محمد ﷺ فإن نسله يرجع إلى إسماعيل ولد إبراهيم عليهما السلام.

3- عيسى عليه السلام:

عيسى عليه السلام، هو عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين النبي محمد ﷺ نبي آخر.

وهو من آل عمران، ومن نسل داود عليه السلام، دعا بني إسرائيل إلى دين موسى عليه السلام وبشر برسالة محمد ﷺ للعالمين من بعده، لذلك اضطهده اليهود، وآذوه، وحاولوا قتله.

وهو أحد أولي العزم من الرسل، الذين أبلوا بلاء حسناً، وصبروا على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصر الله المبين، أيده الله تعالى بالعديد من المعجزات منها: ولادته من أم بدون أب، وتكلم في المهد، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، ويحيي الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج451/3).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج472/29).

﴿وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 110][1].

قال **ابن كثير**: "قِيلَ سُمِّيَ الْمَسِيحَ؛ لِمَسْحِهِ الْأَرْضَ وَهُوَ سِيَاحَتُهُ فِيهَا وَفِرَارُهُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، لِشِدَّةِ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ لَهُ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ كَانَ مَمْسُوحَ الْقَدَمَيْنِ"[2].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجد الباحث أن اسم نبي الله عيسى عليه السلام، ورد في القرآن الكريم ست عشرة مرة، منها مرة واحدة في سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 27].

قال المفسر **الطبري**: "يقول تعالى ذكره: ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم عليهما السلام برسلنا، وأتبعنا بعيسى بن مريم، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى عليه السلام... ﴿رَأْفَةً﴾ وهو أشدّ الرحمة، ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم، ﴿إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، هم الذين ابتدعوها، لم يقوموا بها، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى عليه السلام، فتنصروا وتهوّدوا، وقيل بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها، فلم يرعوها حقّ رعايتها؛ لأنهم كانوا كفاراً"[3].

---

(1) انظر: أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام (ص466 – 471).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج461/2).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج202/23 –203).

قال **الزمخشري** من المعتزلة: أي: وقفناهم للتراحم والتعاطف بينهم. والرهبانية: ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين، وذلك أنّ الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى، فقاتلوهم فلم يبق منهم إلا القليل، فخافوا أن يفتنوا في دينهم، فاختاروا الرهبانية. ابْتَدَعُوها يعنى: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ لم نفرضها نحن عليهم إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله، لا يحل نكثه، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا يريد: أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ الذين لم يحافظوا على نذرهم. ويجوز أن نقول: وقفناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها، ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب، على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه، فما رعوها جميعاً حق رعايتها، ولكن بعضهم، فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم، وكثير منهم فاسقون. وهم الذين لم يرعوها(1).

وقال رحمه الله تعالى: ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا، نحو ذنبه، من الذنب، وقفاه به: أتبعه إياه، يعنى: وأرسلنا على أثرهم–نوح وإبراهيم عليهما السلام– الكثير من الرسل منهم عيسى بن مريم عليه السلام....وقيل (عِيسَى) بالسريانية أيشوع، و(مَرْيَمَ) بمعنى الخادم(2).

قال **الرازي** من الأشاعرة: قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ** ﴾،[الحديد: 27] معنى قفاه أتبعه بعد أن مضى، والمراد أنه تعالى أرسل بعض رسله بعد بعض إلى أن انتهى بعيسى عليه السلام فأرسله الله تعالى بعدهم وآتاه الإنجيل، والإنجيل من نجلت الشيء إذا استخرجته، لأنه يستخرج به الأحكام، وقد قرأت الإنجيل بفتح الهمزة، أي: (أنجيل)، وهذا مثال لا نظير له، وعلى ذلك إما أن تكون هذه القراءة شاذة، أو أن كلمة الإنجيل أعجمية ولا يلزم فيها مراعاة أبنية العربية (3).

وقال **القرطبي** من الأشاعرة: "قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا** ﴾ أي أتبعنا ﴿ **عَلَى آثَارِهِمْ** ﴾ أي على آثار الذرية. وقيل: على آثار نوح، وإبراهيم. ﴿ **بِرُسُلِنَا** ﴾ موسى، وإلياس، وداود، وسليمان، ويونس، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام ﴿ **وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ فهو من ذرية

---

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج481/4–482).

(2) انظر: المرجع السابق (ج161/1).

(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج473/29).

إبراهيم من جهة أمه ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وهو الكتاب المنزل عليه... قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ على دينه يعني الحواريين وأتباعهم ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي مودة فكان يواد بعضهم بعضا... والرأفة اللين، والرحمة الشفقة... وقيل: الرأفة أشد الرحمة، وقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ الآية. يقول: ابتدعها الصالحون ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ المتأخرون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعني الذين ابتدعوها أولاً ورعوها ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني المتأخرين، فلما بعث الله محمداً ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل، جاءوا من الكهوف والصوامع فآمنوا بمحمد ﷺ"[1].

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة بأن عيسى عليه السلام هو عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين النبي محمد ﷺ نبي آخر، وأنه من أولي العزم من الرسل، أيده الله تعالى بالعديد من المعجزات الدالة على صدقه، منها: التكلم في المهد، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وإحياء الموتى بإذن الله.

4- محمد ﷺ:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهو من أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أمه: آمنة بنت وهب، كان النبي ﷺ أفضل القوم نسباً من جهة أمه وأبيه، ولد نبينا ﷺ في التاسع من ربيع الأول، من عام الفيل، وقد توفي والده قبل ولادته، فتربى يتيماً، وكانت مرضعته حليمة السعدية، توفيت والدته آمنة وعمره ست سنوات، وتوفي جده عبد المطلب الذي كان يرعاه عندما بلغ الثامنة، ثم تولى رعايته عمه أبو طالب، وحين بلغ النبي ﷺ سن الشباب عمل في التجارة مع خديجة رضي الله عنها، وكانت امرأة في غاية الثراء، فتزوج منها فكانت له عوناً في دعوته إلى الله تعالى فيما بعد، فحين بلغ النبي ﷺ من عمره أربعين، أتاه الروح الأمين بأمر النبوة من عند الله، وكان النبي ﷺ آنذاك في غار حراء، وبعد أيام جاء الملك فأقرأ النبي ﷺ سورة العلق، ثم جاء بعد ذلك الأمر الإلهي له بالدعوة إلى الله فبدأ النبي ﷺ بالدعوة سراً ولمدة ثلاث سنوات، فأسلم في أول يوم كل من زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي رضي الله عنه، وصديقه أبي بكر رضي الله عنه، ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم جاء الأمر

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/262-264).

الإلهي بالجهر، فعندما بدأ عليه الصلاة السلام بالجهر في الدعوة، لاقى ألون العذاب، هو ومن آمن معه، فاضطر إلى الهجرة، وعندها كون دولة الإسلام، التي أصبح لها جيش تدافع به عن نفسها، وتفتح به بلاد الكفر، والشرك(1)، "وتوفي خاتم النبيين محمد ﷺ في ضحى يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة 11 هـ، وكان عمره ﷺ ثلاثًا وستين سنة وزادت أربعة أيام"(2).

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجد الباحث أن اسم نبي الله محمد ﷺ، ذكر في القرآن الكريم بثلاث طرق، أما الطريقة الأولى: فبذكر اسمه صراحة، حيث ذكر اسمه صراحة بلفظ (محمد ﷺ) –وهو أشهر أسمائه– أربع مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40]، وبلفظ (أحمدﷺ) مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:﴿ . . . وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]، أما الطريقة الثانية: وهي ذكره ﷺ بأسماء مشتقة من صفاته، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: 1]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: 1]، فكلٌّ من المدثر والمزمل اسمان اشتقا من الصفة التي كان عليها حين الخطاب الإلهي، أما الطريقة الثالثة: التي ذُكر بها النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم وهي ذكره بإحدى صفاته، مثل صفة (العبودية) في مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]، وصفة (النبوة) في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]، وصفة (الرسالة) كما ورد في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 28]، وقد تم بيان تفسير هذه الآية أثناء الحديث عن ثمرة إيمان أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ ، حيث إنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة –الزمخشري–، والأشاعرة –الرازي–، في أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أي برسوله محمد ﷺ، فمن آمن بموسى

---

(1) انظر: محمد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين (ص33 – 44).

(2) المباركفوري، الرحيق المختوم (ص 431).

وعيسى عليهما السلام، ثم آمن بمحمد ﷺ حين بعث نبياً، له أجران عند السلف، وله نصيبان عند المعتزلة، والأشاعرة(1).

لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في إثبات نبوة محمد ﷺ، وأنه من ولد إسماعيل عليه السلام، وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده، دعوته هي دعوة جميع الأنبياء، والمرسلين، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أيده الله تعالى بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، أعظمها المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، وهي القرآن الكريم.

خلاصة القول: إن سورة الحديد اشتملت على أربعة من أسماء الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ولم يخالف المتكلمون السلف في إثبات نبوة هؤلاء الرسل، وأنهم مرسلون من عند الله؛ لدعوة الناس إلى التوحيد، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

---

(1) انظر: البحث " مضاعفة أجر أهل الكتاب لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ" (ص115).

المطلب الثالث: مهام الرسل في سورة الحديد، بين السلف والمتكلمين

إن من رحمة الله تعالى بعباده، أنه يرسل إليهم رسلًا مبشرين ومنذرين؛ حتى لا يكون لهم حجة عند الله تعالى، هؤلاء الرسل يبينون للناس طريق الهداية والرشاد، طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وهذا ما أشار إليه **ابن القيم** رحمه الله تعالى بقوله: "فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ"(1).

والرسل بمثابة سفراء بين الله تعالى وبين عباده، يقومون بأعظم مهمة عرفتها البشرية، وهي مهمة الدعوة إلى الله تعالى، وإرشاد العباد إلى توحيد الله وحده لا شريك له، وقد ورد في سورة الحديد العديد من مهام الرسل، وهي على النحو التالي:

أولاً: دعوة الناس إلى التوحيد:

إن دعوة الرسل واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وقد أشارت سورة الحديد إلى هذه المهمة العظيمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8].

قال المفسر **الطبري**: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذركم، وأزال الشكّ من قلوبكم، ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، قيل: عني بذلك؛ وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صُلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه... وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوما من الأيام، فالآن أحرى الأوقات، أن

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (ج68/1 -69).

تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام، والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم"(1).

أما **الزمخشري** من المعتزلة، قال: " قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ** ﴾ والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه؟ ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان..."(2).

وقال **الرازي** من الأشاعرة: "اعلم أنه تعالى وبخ على ترك الإيمان بشرطين، أحدهما: أن يدعو الرسول، والمراد أنه يتلو عليهم القرآن المشتمل على الدلائل الواضحة الثاني: أنه أخذ الميثاق عليهم..."(3).

ويؤيد ذلك **القرطبي** بقوله: "قوله: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ استفهام يراد به التوبيخ، أي: أي عذر لكم في ألا تؤمنوا وقد أزيحت العلل؟! ﴿ **وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ** ﴾ بين بهذا أنه لا حكم قبل ورود الشرائع"(4).

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين كل من السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في إثبات مهمة الرسل في دعوة الناس لتوحيد الله وحده لا شريك، وقد اعطاهم الله الحجج والبراهين، التي تدل على صدقهم، وتزيل الشك من قلوب الناس.

ثانياً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

إن الله تعالى أرسل رسله بالآيات الواضحات المفصلات لإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهداية، وقد أشارت سورة الحديد إلى هذه المهمة العظيمة في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحديد: 9].

قال المفسر **ابن كثير**: "وَقَوْلُهُ: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُنزلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ أَيْ: حُجَجًا وَاضِحَاتٍ، وَدَلَائِلَ بَاهِرَاتٍ، وَبَرَاهِينَ قَاطِعَاتٍ، ﴿ **لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ أَيْ: مِنْ

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج172/23).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج473/4).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج450/29).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج238/17).

ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ والآراء الْمُتَضَادَّةِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ: فِي إِنْزَالِهِ الْكُتُبَ وَإِرْسَالِهِ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ وَإِزَالَةِ الشُّبَهِ"(1).

أما **الزمخشري** من المعتزلة، قال: "لِيُخْرِجَكُمْ الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، أو ليخرجكم الرسول بدعوته"(2) "والظلمات والنور: استعارتان للضلال والهدى"(3).

قال **الرازي** الأشعري: "إنما شبه الكفر بالظلمات؛ لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية، وشبه الإيمان بالنور؛ لأنه نهاية ما ينجلي به طريق هدايته"(4).

وقال **القرطبي** من الأشاعرة: "قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يريد القرآن، وقيل: المعجزات، أي لزمكم الإيمان بمحمد ﷺ، لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرها وأعظمها. ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾أي بالقرآن، وقيل: بالرسول، وقيل: بالدعوة. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ وهو الشرك والكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ وهو الايمان. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾"(5).

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين كل من السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في إثبات مهمة الرسل في إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال، إلى نور الإيمان والهداية، وقد أعطاهم سبحانه وتعالى الحجج والبراهين والدالة على صدقهم، والتي تعينهم على تنفيد مهمتهم.

ثالثاً: القيام بالقسط:

لقد أرسل تعالى رسله بالمعجزات والبراهين والدلائل؛ لهداية الناس وإرشادهم حتى يقوموا بالعدل فيما بينهم، وقد دل على ذلك في سورة الحديد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25].

قال المفسر **الطبري**: يقول تعالى ذكره: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان: قيل العدل، وقيل الميزان: ما يعمل الناس،

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/11-12).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/473).

(3) المرجع السابق (ج2/537).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب (ج19/57).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/239).

ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي، والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا. وقوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليعمل الناس بينهم بالعدل. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: فيه قوّة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدوّ وقيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال: البأس الشديد: السيوف والسلاح الذي يقاتل الناس بها، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ يحفرون بها الأرض والجبال، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: وليعلم الله من ينصر دينه ورسله بالغيب وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: إن الله قويّ على الانتصار ممن عاداه، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم[1].

وقال **ابن كثير**: "وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أَيْ: وَجَعَلْنَا الْحَدِيدَ رَادِعًا لِمَنْ أَبَى الْحَقَّ وَعَانَدَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً تُوحَى إِلَيْهِ السُّوَرُ الْمَكِّيَّةُ، وَكُلُّهَا جِدَالٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيَانٌ وَإِيضَاحٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَتِبْيَانٌ وَدَلَائِلُ، فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَرَعَ اللَّهُ الْهِجْرَةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ بِالسُّيُوفِ، وَضَرْبِ الرِّقَابِ وَالْهَامِ لِمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ"[2].

"أخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزلَ كُتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل، ومن أعظم القسط: التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه؛ وإن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل؛ فما كان أشد منافاةً لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر"[3]، فالله تعالى أرسل الرسل، وأنزل معهم الكتاب والميزان؛ لأجل قيام الناس بالقسط، فالكتاب سبب الهداية، والسيف سبب النصر والتمكين، قال **ابن تيمية**: "فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ؛ لِأَجْلِ قِيَامِ النَّاسِ بِالْقِسْطِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ الَّذِي بِهِ يُنْصَرُ هَذَا الْحَقُّ، فَالْكِتَابُ يَهْدِي، وَالسَّيْفُ يَنْصُرُ، وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرًا. وَلِهَذَا كَانَ قِوَامُ

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/200 -201).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/27 - 28).

(3) صالح الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، (ص 76).

النَّاسِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْحَدِيدِ، كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ صِنْفَانِ إذَا صَلَحُوا صَلُحَ النَّاسُ: الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ"(1).

أما **الزمخشري** من المعتزلة، قال: "قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا﴾ يعنى الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّناتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ﴾ أي الوحى ﴿وَالْمِيزانَ﴾ روى أنّ جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مُرْ قومك يزنوا به ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾..عن الحسن خلقناه، كقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الزمر: 6] وذلك أن أوامره تنزل من السماء، وقضاياه وأحكامه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها، أو ما يعمل بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين ﴿بِالْغَيْبِ﴾ غائبا عنهم، قال ابن عباس رضى الله عنهما: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غنى بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم، وإنما كلفهم الجهاد؛ لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب"(2).

قال **الرازي** من الأشاعرة: "قوله تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وفي تفسير البينات قولان: الأول: وهو قول مقاتل بن سليمان إنها هي المعجزات الظاهرة والدلائل القاهرة والثاني: وهو قول مقاتل بن حيان: أي أرسلناهم بالأعمال التي تدعوهم إلى طاعة الله وإلى الإعراض عن غير الله، والأول هو الوجه الصحيح لأن نبوتهم إنما ثبتت بتلك المعجزات... قوله تعالى: ليقوم الناس بالقسط فيه دلالة على أنه تعالى أنزل الميزان والحديد، ومراده من العباد أن يقوموا بالقسط وأن ينصروا الرسول"(3).

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ج1/90).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/480- 481).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/469، 472).

وقال **القرطبي** من الأشاعرة: "قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة... ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قيل: هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف، وقال قوم: أراد به العدل**...** وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي أنشأناه وخلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:6]... وقال أهل المعاني: أي أخرج الحديد من المعادن، وعلمهم صنعته بوحيه، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح والكراع والجنة، وقيل: أي فيه من خشية القتل خوف شديد. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾... يعني انتفاع الناس بالماعون من الحديد، مثل: السكين، والفأس، والإبرة، ونحوه... ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾؛ وليرى الله من ينصر دينه وينصر ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾، قال ابن عباس: ينصرونهم لا يكذبونهم، ويؤمنون بهم، بالغيب أي: وهم لا يرونهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي في أخذه، عزيز أي: منيع غالب"(1).

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين كل من السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في إثبات مهمة الرسل، في دفع الناس؛ لإقامة العدل بينهم، فالدين الذي جاءوا به كله عدل، وقسط في الأوامر والنواهي وفي المعاملات، والأخلاق، وفي والحدود وغير ذلك، إلا أن الرازي من الأشاعرة، خالف السلف في حصر دلائل نبوة الأنبياء بالمعجزات، والصحيح الذي عليه السلف أن دلائل النبوة كثيرة منها:

1- المعجزات التي يؤيدهم الله بها.

2- إن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان.

3- تأييد الله لهم، وخذلان من خالفهم، كما فعل مع نوح عليه السلام وقومه.

4- إن دعوتهم واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

5- صدقهم فيما يقولون، بخلاف السحرة، والكهان فالغالب عليهم الكذب.

6- إن نبوتهم اصطفاء ولا ينالها الإنسان بكسبه وتعلمه.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج260/17 - 261).

7- إن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، بخلاف السحرة، والكهان، والدجالون، والكذابون، فإنهم يأتون بما يخالف الفطر والعقول[1].

خلاصة القول: إنه لا خلاف بين كل من السلف، والمتكلمين -المعتزلة، والأشاعرة-، في إثبات مهمة الرسل في دعوة الناس للتوحيد، وإخراجهم من الظلمات، إلى النور، ودفعهم؛ لإقامة العدل بينهم، وقد اعطى الله تعالى رسله الحجج والبراهين، التي تدل على صدقهم، وتزيل الشك من قلوب الناس.

فالله تعالى أرسل رسله بالبينات؛ لتوجيه الناس، ودعوتهم لتوحيده، وقد ذكر سبحانه في سورة الحديد أربعة من أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ولم يخالف المتكلمون السلف في إثبات نبوة هؤلاء الرسل، وأنهم مرسلون من عند الله، وأنه سبحانه كلفهم بمهمة عظيمة، وهي دعوة الناس إلى التوحيد، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد أيدهم في ذلك بالمعجزات التي تدل على صدق نبوتهم ورسالتهم.

---

(1) انظر: صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص181 - 184).

المبحث الثاني: الكتب السماوية في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين التي لا يقبل إيمان العبد إلا بها قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وفي حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال النبي ﷺ: ﴿ ..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ..﴾ [1]

فالواجب على المؤمن أن يؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله إيماناً مجملاً، ومفصلاً، بحيث نؤمن بأن الله ﷻ أنزل كتبًا على أنبيائه؛ لهداية البشرية، وإخراجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهداية، ومفصلاً بأن نؤمن بأن التوراة أنزلها الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام، وأنزل الإنجيل على نبيه عيسى عليه السلام، وأنزل القرآن على نبيه محمد ﷺ، وأن نؤمن أن أعظم هذه الكتب هو القرآن الكريم، معجزة النبي محمد ﷺ الخالدة إلى يوم القيامة، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه، بخلاف الكتب الأخرى التي حرفتها أيدي البشر، وإن هذا الإيمان يقتضي أن الكفر بواحدٍ من هذه الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه هو كفر بها جميعًا، قال تعالى: ﴿ . . .وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136]، فجميع هذه الكتب من كلام الله، ودعوتها واحدة، وهي توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له.

أولاً: تعريف الكتب السماوية:

1- الكتب السماوية لغة:

أ- الكتب لغة: جمع كتاب، والكتاب من مادة (كَتَبَ) الْكَافُ وَالتَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ. يُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا[2].

---

(1) رواه مسلم، وقد سبق تخرجه (ص128).

(2) انظر: أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج5/158).

"والْكَتْبُ: في التّعارف ضمّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطّ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللّفظ، فالأصل في الْكِتَابَةِ: النّظم بالخطّ لكن يستعار كلّ واحد للآخر، ولهذا سمّي كلام الله- وإن لم يُكْتَبْ- كِتَاباً كقوله: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ. . . ﴾ [البقرة: 1، 2].. والكِتاب في الأصل مصدر، ثم سمّي المكتوب فيه كتاباً، والْكِتَابُ في الأصل اسم للصّحيفة مع المكتوب فيه، وفي قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ. . ﴾ [النساء: 153]، فإنّه يعني صحيفة فيها كِتَابَةٌ.."(1).

ب- السماوية لغة: السماوية جمع مفردها (سَماويّ)، وهو اسم منسوب إلى السَماء: يقال "لون سَمَاويّ: أي أزرق بلون السَّماء"، ويقال "دينٌ سَماويّ، ورسالةٌ سَماويَّة"، وكتب سماوية: أي نزلت من قبل السماء، كالتَّوراة والإنجيل والقرآن(2).

2- الكتب السماوية اصطلاحاً:

"هي الكتبُ التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمةً للخلق، وهدايةً لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة"(3)، ومن هذه الكتب ما ورد ذكره في القرآن الكريم مفصلاً كالتوراة، والإنجيل والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، ومنها ما ورد مجملاً كما ورد في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. . . ﴾ [الحديد: 25].

ثانياً: مفهوم الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية: "يعني الاعتقادُ الجازم بأنَّ الله تعالى أنزل كتباً على رسله إلى أقوامهم، وأن هذه الكتب قد حوت عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، إضافةً إلى تشريعات خاصة بكل أمةٍ، إلا أن هذه التشريعات قد نُسختْ بعد نزول شريعةِ محمد ﷺ "(4).

وقال الحافظ الحكمي: " وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ كُلَّهَا مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ عَلَى رُسُلِهِ إِلَى عِبَادِهِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَالْهُدَى الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ ﷻ لَا كَلَامَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ.. وَالْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ

(1) الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن (ص 699).
(2) انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1115/2).
(3) علي بن نايف الشحود، أركانُ الإيمانِ (ص 79).
(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الشَّرَائِعِ.. وَإِنَّ جَمِيعَهَا يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُكَذِّبُهُ.. وَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَوْ أَبَى عَنِ الِانْقِيَادِ لَهَا مَعَ تَعَلُّقِ خِطَابِهِ بِهِ، يَكْفُرُ بِذَلِكَ.. ثُمَّ الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ ﷻ يَجِبُ إِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ وَتَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُتُبِهِ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى وَالزَّبُورَ عَلَى دَاوُدَ.. وَالْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَكَرَ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.."[1].

والإيمان بالكتب السماوية يتضمن الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً، والإيمان بما علمنا اسمه منها: كالقرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً، والتصديق بما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يحرف وما لم يبدل من أخبار الكتب السابقة، مثل الرجم فإنه من الأخبار التي لم تحرف فيما حرف من التوراة[2].

يتضح مما سبق، أن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، والتي لا يستقيم إيمان العبد إلا إذا آمن بها جملة وتفصيلاً، وإن الكفر بواحدٍ منها هو كفر بها جميعاً، وأن جميعها نزلت؛ لإرشاد الناس لتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأن أفضلها وأعظمها القرآن الكريم، الذي حفظ بحفظ الله، بخلاف الكتب الأخرى فقد، طالها التغيير والتحريف.

---

(1) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (ج672/2 – 675).

(2) انظر: عبد الله بن صالح الفوزان، حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص 132– 133).

المطلب الثاني: الكتب السماوية الوارد ذكرها في سورة الحديد

إن من أركان الإيمان بالله الاعتقاد بأن الله تعالى أنزل كُتباً من عنده، وأن هذه الكتب منها ما لم يسمه تعالى، ومنها ما سماه الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، والزبور المنزل على داوود عليه السلام، وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وآخرها وخاتمها القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، وأنه سبحانه ذكر من هذه الكتب في سورة الحديد، كتابان هما: القرآن الكريم والإنجيل:

أولاً: القرآن الكريم:

تعريف القرآن لغة: "لفظ القرآن مشتق من "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد. وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمِّي القرآن"[(1)]، "والقرآن: اسم كتاب الله خاصّة، ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنما سمّى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها"[(2)] قال بعض العلماء: "تسمية هذا الكتاب قُرْآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 111]، وقوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:89]"[(3)].

تعريف القرآن شرعاً: "هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"[(4)].

"وقد خرج بقولنا: المنزل على نبيه محمد ﷺ، المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والصّحف، وخرج بالمعجز بلفظه المتعبد بتلاوته الأحاديث القدسية، وخرج بقولنا المنقول بالتواتر جميع ما سوى القرآن المتواتر من منسوخ التلاوة"[(5)].

وقد عمد علماء العقيدة إلى وضع تعريف للقرآن الكريم، فيه ردٌّ على المبتدعة من أهل الكلام، فيما يتعلق بصفات الله تعالى، خاصة صفة الكلام، قال الإمام الطحاوي: "وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا،

---

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج65/1).

(2) معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن (ج1/1).

(3) الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن (ص 669).

(4) محمد بن سويلم أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص 21).

(5) المرجع السابق نفس الصفحة.

وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ "(1).

يتبين مما سبق، مدى التوافق بين التعريفين اللغوي، والشرعي للقرآن الكريم، فالقرآن في اللغة يعني: الجمع والضم؛ لأنه يجمع السور بعضها مع بعض، والقرآن شرعًا: فهو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المجموع في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وسمي قرآنًا؛ لأنه يجمع السور ويضمها إلى بعضها البعض؛ ولأنه يجمع ثمرة جميع الكتب السماوية السابقة له، فهو خاتمها، وأعظمها، تكفل الله تعالى بحفظه دون غيره من الكتب السماوية الأخرى، فهو الكتاب الْمُبِين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، وهو حبل الله المتين، والصراط المستقيم، فيه نبأ الأوليين، والآخرين، هو الفصل ليس بالهزل، من تَرَكَهُ من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، وجد الباحث أن القرآن الكريم ورد ذكره بأسماء عدة منها: الفرقان، والبرهان، والحق، والنبأ العظيم، والبلاغ، والشفاء، وأحسن الحديث، والكتاب، وغير ذلك من الأسماء، وقد ذكر القرآن الكريم في سورة الحديد **مرة واحدة** باسم (الحق) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16]، قد سبق بيان معنى الحق في هذه الآية، عندما تم الحديث عن الخشية من مظاهر الألوهية فالسلف والمعتزلة –الزمخشري– والأشاعرة – الرازي–، جميعهم يذكر أن الحق الوارد في الآية المراد به القرآن الكريم(2).

ثانياً: الإنجيل:

تعريف الإنجيل لغة: قال أبو بكر: " في الإنجيل قولان: "قيل: الإنجيل: الأصل، قالوا: فمعنى قولهم: إنجيل، لكتاب الله: أصل للقوم الذين أنزل عليهم؛ أي: يحِلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بما فيه، وقيل: الإنجيل مأخوذ من قول العرب: قد نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته. فسمي الإنجيل: إنجيلًا؛ لأن الله أظهره للناس بعد طموس الحق ودروسه، وقيل في الإنجيل قول ثالث: وهو أن يكون الإنجيل سُمي: إنجيلًا؛ لأن الناس اختلفوا فيه

(1) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 127).

(2) انظر: البحث "الخشية من مظاهر الألوهية" (ص49).

وتنازعوا... فالتناجل: التنازع، يقال: قد تناجل القوم إذا تنازعوا واختلفوا"[1] وقيل: " لفظ الإنجيل لفظ معرب كان في الأصل اليوناني (انكليون) بمعنى البشارة والتعليم"[2].

تعريف الإنجيل شرعاً: "هو الكتاب العظيم الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام متمماً للتوراة، ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه"[3].

هذا الإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، أما بعد عيسى عليه السلام دخل على الإنجيل التحريف والتغيير، وأصبح يعرف عند النصارى بالكتاب المقدس، والكتاب المقدس عند النصارى يجمع بين التوراة والإنجيل، وتسمى التوراة عند النصارى بالعهد القديم، ويسمى (الإنجيل، ورسائل الرسل، والأسفار التعليمية)، بالعهد الجديد، فالعهد الجديد يشتمل على الإنجيل، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة هي: [إنجيل يوحنَّا، وإنجيل مرقُس، وإنجيل مَتَّى، وإنجيل لُوقا، وهناك أناجيل أخرى مثل إنجيل برنابا، وأناجيل أخرى أهملت][4].

يتضح مما سبق مدى التوافق بين التعريفين اللغوي والشرعي للإنجيل، فالله تعالى أنزل الإنجيل على نبيه عيسى عليه السلام؛ لإظهار الحق بعد طمسه، ومتممًا ومصدقًا لما جاء في التوراة من شرائع وأحكام، ومبشرًا بخاتم النبيين محمد ﷺ الذي يتمم الله به دينه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف: 6].

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم وجد الباحث أن الإنجيل ورد ذكره في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، منها: أربع مرات، ورد منفرداً في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: 47]، ومنها: ثماني مرات ورد مقروناً بالتوراة في مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران: 48]، وقد ورد الإنجيل في سورة الحديد منفرداً مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا

---

(1) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس (ج73/1– 74).

(2) محمد رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق (ج103/1).

(3) محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (ج11/5).

(4) انظر: المرجع السابق (ج12/5).

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 27].

قال **الطبري**: "الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام "(1).

ولم يبين **ابن كثير** المراد بالإنجيل عند تفسير آية سورة الحديد، إلا أن الباحث وجد بيان معنى الإنجيل عند ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران:48]، حيث قال "فَالتَّوْرَاةُ: هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام... وَالْإِنْجِيلُ: هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِيسَى عليه السلام، وَقَدْ كَانَ عِيسَى عليه السلام، يَحْفَظُ هَذَا وَهَذَا"(2).

أما **الزمخشري** من المعتزلة، قال: قرأت الإنجيل، بفتح الهمزة، أنّ الكلمة أعجمية لا يلزم فيها مراعاة أبنية العرب"(3) والإنجيل: هو الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام (4).

أما **الرازي** من الأشاعرة، قال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾: قرأت الإنجيل بفتح الهمزة..هذا مثال لا نظير له؛ لأن أفعيل، وهو عندهم من نجلت الشيء إذا استخرجته؛ لأنه يستخرج به الأحكام.. فعلى هذا لا يجوز فتح الهمزة؛ لأنه لا نظير له في لغة العرب، وغالب الظن أنه ما قرأت إلا عن سماع، وله وجهان. أحدهما: إن هذه قراءة شاذة، وثانيهما: إن الإنجيل أعجميٌّ لا يلزم فيه مراعاة أبنية العربية(5).

وقال **الرازي** في موطن آخر من تفسيره، وهو القول الذي يميل إليه: "التوراة والإنجيل اسمان أعجميان أحدهما بالعبرية، والآخر بالسريانية، فلا يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقها على أوزان لغة العرب، فظهر أن الأولى بالعاقل أن لا يلتفت إلى هذه المباحث والله أعلم"(6)، وقال: "والإنجيل: كتاب أنزله الله على عيسى عليه السلام "(7).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج151/2).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج44/2).

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج481/4).

(4) انظر: المرجع السابق (ج573/4).

(5) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج473/29).

(6) المرجع السابق (ج132/7).

(7) المرجع السابق (ج60/13).

ويؤيد ذلك **القرطبي** من الأشاعرة، حيث قال: والإنجيل إفعيل من النجل وهو الأصل، ويجمع على أناجيل. الإنجيل أصل العلوم والحكم. ويقال: لعن الله ناجليه، يعني: والديه، إذ كانا أصله. وقيل: هو من نجلت الشيء إذا استخرجته، فالإنجيل يُستخرج منه العلوم والحكم، ومنه سمي الولد والنسل نجلاً لخروجه، والنجل الماء الذي يخرج من النز، فسمي الإنجيل به؛ لأن الله تعالى أخرجه بعد طموس الحق ودروسه، وقيل: التناجل التنازع، وسمي إنجيلًا؛ لتنازع الناس فيه، وقيل: التوراة والإنجيل من اللغة السريانية، وقيل: الإنجيل بالسريانية (إنكليون)، وقيل: الإنجيل كتاب عيسى عليه السلام يذكر ويؤنث، فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب. وقرأت: والأنجيل بفتح الهمزة، وبكسرها، ويحتمل أن يكون مما عربته العرب من الأسماء الأعجمية، ولا مثال له في كلامها[1] " والإنجيل: هو الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام "[2].

يتضح مما سبق، أن المعتزلة، والأشاعرة، السلف، متفقون على أن الإنجيل هو كتاب أنزله الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام، وهو هدى ونور ومصدقاً لما جاءت به التوراة، قال تعالى: ﴿ . . وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46]، وأن هذا الكتاب جاءت فيه البشارة بالنبي محمد ﷺ، كما أخبر تعالى في القرآن الكريم حيث قال: ﴿ . . وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . ﴾ [الصف: 6].

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/4-6).

(2) المرجع السابق (ج262/17).

المطلب الثالث: خصائص الكتب السماوية في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

إن الكتب السماوية تتفق فيما بينها في مجموعة من الخصائص، فجميعها كلام الله على الحقيقة، مصدرها واحد، فهي منزلة من عند الله تعالى بالحق والنور والهدى، قال تعالى: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. . . ﴾ [آل عمران: 1 – 4]، وهذه الكتب غايتها واحدة، فجميعها يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين واحد هو الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ. . . ﴾ [النحل:36]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. . . ﴾ [آل عمران: 19]، وجميع هذه الكتب تدعو؛ لإقامة العدل والقسط بين الناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. . . ﴾ [الحديد:25]، وهذه الكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاربة الفساد والانحراف، كما أن هذه الكتب تدعو إلى الكثير من العبادات، كالصلاة، والزكاة، فقال سبحانه وتعالى عن إسماعيل ﷺ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: 55][(1)] كما أن هذه "الكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لابد أن تعيها البشرية في مختلف العصور؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ [النجم: 36–41]"[(2)] ومع ذلك فإن الله تعالى خص من بين هذه الكتب القرآن الكريم بخصائص

---

(1) انظر: محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (ج5/5–6).

(2) الأشقر، الرسل والرسالات (ص247).

ميزه بها عن غيره من الكتب السماوية، فالقرآن يتضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السماوية السابقة من توحيد الله، وعبادته، ووجوب طاعته، وجمع كل الحسنات والفضائل الموجودة في الكتب السماوية، وجاء مهيمنًا ورقيبًا عليها، يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . . . ﴾ [المائدة: 48]، والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي جاء بشريعة عامة للبشر، فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة، وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان، وهو الكتاب الرباني الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9][(1)].

ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجد الباحث أن هناك خاصية واحدة تشترك فيها جميع الكتب السماوية، خاصية كثر فيها اللغط والجدل، **وهي خاصية التنزيل**، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25].

قال **الطبري**: "يقول تعالى ذكره: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل" [(2)].

وقال **ابن كثير**: "يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَيْ: بِالْمُعْجِزَاتِ، وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وَهُوَ: النَّقْلُ الْمُصَدِّقُ" [(3)].

وقال المفسر **السعدي**: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ "وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم"[(4)].

---

(1) انظر: الصَّلاَّبي، الوسطية في القرآن الكريم (ص 275).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج23/ 200).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 27).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 842).

"فأهل السنة يؤمنون بأن جميع الكتب السماوية منزلة من عند الله، وهي كلام الله حقيقة، وأن إنكار ذلك أو تكذيبه هو إنكار وتكذيب لما جاء في القرآن الكريم، الذي نص على أن الكتب السماوية منزلة من عند الله حقاً، ولا يشك مسلم في أن التكذيب بالقرآن أو انكار شيء منه كفر"(1)، فالكتب السماوية منزلة من عند الله غير مخلوقة، ومن قال بأنها مخلوقة فقد ضل وغوى.

وقال **الزمخشري** من المعتزلة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾" أي: الوحي"(2) فلم يوجد كلام صريح للزمخشري في بيان معنى خاصية التنزيل للكتب السماوية، مع أن منهج المعتزلة في ذلك واضح كل الوضوح، فالمعتزلة خاضوا في هذه المسألة حتى وقعوا في الضلال، ووصلوا بضلالهم إلى القول بأن كلام الله تعالى مخلوق، ومعروف أن الكتب السماوية هي جزء من كلامه سبحانه وتعالى، قال القاضي عبد الجبار في رده على من يقول بعدم خلق القرآن الكريم: "ومن جملة ما يتعلقون به، قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: 1 – 3]، قالوا: إن هذا يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه وصف الإنسان بالخلق ولم يصف القرآن به، وجوابنا عن هذا، ليس يجب إذا وصف الله تعالى الإنسان بأنه مخلوق أن لا يكون ما عدا الإنسان مخلوقاً، فإن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على ما عداه. وبعد، فلو استدللنا نحن بهذه الآية لكنا أسعد حالاً منكم، فقد قال: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ والتعليم لا يتصور إلا في المحدثات، وكذلك فقد قال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 4]، والبيان فالمرجع به إلى الدلالة، والدليل لا بد من أن يكون محدثاً أو تقدير الحادث. فإذا ثبتت هذه الجملة، وصح حدوث القرآن ووقوعه مطابقاً للصلاح فعلم أنه لا يمتنع وصفنا بأنه مخلوق" (3).

"فعند المعتزلة أن كلام الله تعالى هو شيء منفصل عنه، فهو مخلوق، فهم يقولون: إن الله لا تقوم به صفة الكلام، ولهذا قالوا: إن هذا الكلام وهذا القرآن من جنس مخلوقاته؛ فكما أنه خلق السموات والسموات منفصلة عنه، كذلك أيضاً تكلم بالقرآن والقرآن مخلوق منفصل عنه، ومن ثمَّ قالوا: القرآن مخلوق؛ لأنهم لا يثبتون لله صفة الكلام التي تقوم به تبارك وتعالى"(4).

---

(1) المسفيوي، شرح منظومة الإيمان (ص 200).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج480/4).

(3) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص545).

(4) عبد الرحمن بن صالح المحمود، شرح لمعة الاعتقاد (د12/6).

وقال **القرطبي** من الأشاعرة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ "أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم"[1]، وقال **الرازي** من الأشاعرة: "الكتاب إشارة إلى ما ذكر الله في كتابه من الأحكام المقتضية للعدل والإنصاف"[2]، فلا يوجد لكل من القرطبي والرازي كلام واضح وصريح في بيان المراد من خاصية التنزيل للكتب السماوية، ومعروف أن الكتب السماوية هي جزء من كلام الله تعالى، وقد خاض الأشاعرة في هذه المسألة – كلام الله تعالى– حتي وقعوا في الخطأ والضلال، فالأشاعرة يثبتون لله صفة الكلام، لكن الكلام الذي يثبتونه هو الكلام النفسي القائم بذاته، ولا ينفصل عنه، قال إمام الحرمين **الجويني** [3]: " الكلام هو القول القائم بالنفس... الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات"[4] وقال **الجويني** معنى إنزال كلام الله تعالى: " أن جبريل صلوات الله عليه أدرك كلام الله تعالى وهو في مقامه فوق سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام" [5].

يتبين مما سبق خطأ منهج كلٍّ من المعتزلة والأشاعرة في إثبات صفة الكلام لله تعالى، فالمعتزلة ينفون صفة الكلام عن الله تعالى بحجة الهروب من التشبيه، والتجسيم، وهذا منهجهم في جميع الصفات الإلهية، وعلى ذلك فالمعتزلة يعتبرون كلام الله تعالى مخلوق كباقي المخلوقات، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:62]، والقرآن شيء، إذًا القرآن مخلوق على زعمهم، وأما الأشاعرة، فهم يثبتون صفة الكلام لله تعالى، ولكنهم أخطأوا في تأويل هذه الصفة، حيث أثبتوا لله تعالى كلاماً نفسياً قائماً بذاته، وهذا الكلام ليس بحرف ولا بصوت، ولكن

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج260/17).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج470/29).

(3) **هو الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري**، ولد: في 419هـ، له العديد من الكتب منها: (نهاية المطلب في المذهب، الإرشاد في أصول الدين، الشامل في أصول الدين، مدارك العقول)، توفي: 478هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (ج18/ 468 –476).

(4) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد (ص104).

(5) المرجع السابق (ص135).

الحق هو الذي وُفق له سلف هذه الأمة، فهم يثبتون لله تعالى صفة الكلام كصفة ذاتية- باعتبار أنها قائمة بالذات- و كصفة فعلية باعتبار أن هذه الصفة تتعلق بإرادة الله ومشيئته، فإنه سبحانه يتكلم إذا شاء، متى شاء، وكيف شاء، وأنه سبحانه كلم موسى ﷺ، ويكلم عباده يوم القيامة، ومن كلامه القرآن، والتوراة، والإنجيل، وهذا الكلام حروف مسموعة(1) وليس كما قال الأشاعرة هو كلام نفسي خالٍ من الحروف والأصوات، فلا يقول بهذا عاقل، فالله تعالى عندما تحدى المشركين بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:23]، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود:13]، فلا يشك عاقل أن هذا التحدي إنما كان على أن يأتوا بسور مما في القرآن، وهذه السور تتكون من آيات، والآيات تتكون من كلمات، والكلمات تتكون من حروف، ومجموع ذلك كله يسمى القرآن، فهل يعقل أن يتحدى الله تعالى بما في نفسه مما لا حيلة ولا قدرة إلى الوصول إليه، والوقوف عليه؟ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:164]، فهل يعقل أن يكون كلم الله تعالى موسى بكلام نفسي غير مسموع؟ فهذا ما تحيله العقول السليمة، كما أن النبي ﷺ فرق بين الكلام النفسي والكلام المسموع المكون من الحروف فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ» (2) فأخبر ﷺ أن الله عفا عن حديث النفس حتى يتكلم به الإنسان أي حتى ينطق به، فعُلم من ذلك أن الكلام هو الحروف المسموعة وليس حديث النفس(3).

ومن الحق الذي عليه السلف أنهم يثبتون لله تعالى كلاماً يليق بجلاله وعظمته، كلاماً ليس ككلام البشر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وهذا يبطل قول المعتزلة، في نفيهم لصفة الكلام بحجة عدم الوقوع في التشبيه والتجسيم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(1) انظر: عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ج1262/3).
(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب تجاوز الله عن حديث النفس (ج81/1) (ح 247).
(3) انظر: ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية (د8/18).

خلاصة القول: إن كل من المعتزلة، والأشاعرة خالفوا السلف في إثبات صفة الكلام لله تعالى؛ فالمعتزلة قالوا إن كلام الله تعالى مخلوق كباقي المخلوقات، والأشاعرة قالوا هو كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت، ولكن الحق الذي عليه السلف؛ فم يثبتون لله تعالى كلاماً يليق بجلاله ليس ككلام البشر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

فالمعتزلة والأشاعرة يوافقون السلف في الإيمان بالكتب السماوية وأنها كلام الله تعالى، ولكنهما خالفوا السلف في إثبات صفة التنزيل لهذه الكتب، وهي الصفة التي كثر فيها اللغط، وانحرفت عن الحق فيها الفرق، كالمعتزلة والأشاعرة.

الفصل الثالث

اليوم الآخر، والقضاء والقدر

في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المبحث الأول: اليوم الآخر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المطلب الأول: مفهوم الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين التي لا يقبل إيمان العبد إلا بها، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ. . . ﴾ [البقرة: 177]، وفي حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال النبي ﷺ: ﴿ ..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ..﴾ [(1)]

فالقرآن والسنة توجب علينا أن نؤمن باليوم الآخر، إيماناً مجملاً، ومفصلاً، مجملاً بأن نؤمن أن هذا اليوم آتٍ لا محالة، وستجزى فيه كل نفس بما تسعى، ومفصلاً بأن نؤمن بكل ما يقع في هذا اليوم من أحداث، مما أخبرنا الله عنه في كتابه وفي سنة نبيه محمد ﷺ، مثل فتنة القبر، والبعث، والحشر، وتطاير الصحف، والحساب، والحوض، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة وما فيها من نعيم، والنار وما فيها من عذاب، وإن الكفر بشيءٍ من هذه الأحداث- التي ثبتت بدلالة الكتاب أو السنة،- يوجب الوقوع في الكفر والضلال، قال تعالى: ﴿ . . .وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]، وإن من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، أن نؤمن بأن هذا اليوم غيب مطلق لا يعلم وقت وقوعه رسول مرسل، ولا ملك مقرب، بل هو علم استأثر الله تعالى به، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 187]. وقال تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: 63] وقال تعالى

---

(1) رواه مسلم، وقد سبق تخرجه (ص128).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: 42 – 45].

أولاً: تعريف الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر: هو "الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل؛ بيوم القيامة، والإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار"(1).

أو هو: "الاعتقادُ الجازم بصحة إخبارِ الله تعالى وإخبارِ رسله عليهم الصلاة والسلام بفناءِ هذه الدنيا، وما يسبقُ ذلك من أماراتٍ، وما يقع في اليومِ الآخر من أهوالٍ واختلافِ أحوال، كذلك التصديقُ بالأخبارِ الواردة عن الآخرةِ، وما فيها من النعيم والعذاب، وما يجري فيها من الأمور العظامِ، كبعث الخلائقِ وحشرهم ومحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهِم الاختياريةِ التي قاموا بها في الحياةِ الدنيا"(2).

فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بكل ما ثبت في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت كفتنة القبر، والصراط، والميزان، وتطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والإيمان برؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، والإيمان بأنه يؤتى بالموت على هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنّة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بينه الله ورسوله ﷺ.

ثانياً: سبب تسميته باليوم الآخر:

اختلف العلماء في سبب تسمية اليوم الآخر بهذا الاسم، فقيل "سمِّي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم"(3)، وقيل سمي بذلك: " لتأخره عن الدنيا، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن هذا اليوم العظيم، وما يكون فيه، وما يكون قبله من علاماته حتى لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو عن شيء من ذلك"(4).

---

(1) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص 149).

(2) علي بن نايف الشحود، أَركانُ الإيمانِ (ص 157).

(3) العثيمين، نبذة في العقيدة الإسلامية (ص 52).

(4) محمد بن عودة السعوي، رسالة في أسس العقيدة (ص 58).

يتبين مما سبق أنه لا تعارض بين القولين السابقين فاليوم الآخر لا يوم بعده، ويأتي بعد انقضاء الحياة الدنيا، حين تفنى الخلائق كلها فلا يبق في الوجود أحد سوى الله جل جلاله.

إن الإيمان بالله يحقق المعرفة بمصدر هذا الكون، وبالمصير الذى ينتهى إليه، وفي ضوء هذه المعرفة، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تبقى بدون هدف، وبدون غاية، وحينئذ يعيش كما تعيش الأنعام، بل هو أضل[1].

للإيمان باليوم الآخر ثمار عظيمة منها:

أ- الرغبة في فعل الطاعات؛ رجاء الحصول على الثواب الجزيل في ذلك اليوم.

ب- الرهبة والخوف عند فعل المعصية خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

ت- تسلية المؤمن عما يفوته؛ لأنه يعلم أن ما يفوته من الدنيا سوف يعوضه بنعيم الآخرة [2].

يتضح مما سبق، أن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، والتي لا يستقيم إيمان العبد إلا بها، وأن الكفر باليوم الآخر هو كفر بجميع الأركان، وأن الإيمان باليوم الآخر يتطلب الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ جملةً، وتفصيلاً، وأن من الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بأن هناك أمارات تدل على قرب وقوعه، منها: خروج الدجال، وظهور المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من المغرب...إلخ.

---

(1) انظر: سيد سابق، العقائد الإسلامية (ص259).

(2) انظر: العثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص105).

المطلب الثاني: الصراط في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المرور على الصراط من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها، وذلك لثبوتها في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]، والورود هو المرور على الصراط، وفي الحديث الطويل قال النبي ﷺ: ﴿ .. وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ[1] مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ[2] نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ[3] فِي النَّارِ﴾ [4] لذا علينا أن نؤمن بالصراط، وأنه صراط حقيقي لا مجازي، وأن المرور عليه حق، وأن الناس يتفاوتون فيما بينهم بحسب أعمالهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ ، فعلينا أن نؤمن بهذا كله من غير تأويل، فالحق ما جاء به الكتاب أو السنة بفهم سلف هذه الأمه، لا بفهم أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم من أصحاب التأويلات الباطلة.

أولاً: تعريف الصراط لغة:

الصِّراط: "الطريق، قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]، أي طريق الحق"[5].

---

(1) "**(كَلاليب)** جمع كلُّوب بفتح الكاف، وضمِّ اللَّام، وهو الحديدة التي يُعلَّق فيها اللَّحم، ويقال لها أيضًا: كُلَّاب بضَمِّ الكاف". شمس الدين البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (ج4/173).

(2) "**(مخدوش)** من الخدش نَاجٍ أَي على مَا بِهِ من الْأَثر". محمد بن فتوح بن حميد الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص78).

(3) "**(مكدوس)** ومكردس متقاربان وَهُوَ المكبوب فِي النَّار وَهُوَ رمي لَا رفق فِيهِ". محمد بن فتوح بن حميد الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص231).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا (ج1/187) (ح 329).

(5) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج6/3719).

وقال الجوهري [1]: "[صرط] الصِراطُ والسِراطُ والزِراطُ: الطريقُ"[2].

"والصراط، بضم الصاد هو السيف الطويل، وبكسر الصاد هو الطريق الواضح، فقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]، أي ثبتنا على الطريق الواضح [3]، وقال **الراغب الأصفهاني:** السِّرَاطُ: الطّريق المستسهل، أصله من: سَرَطْتُ الطعامَ وزردته: ابتلعته، تصوّراً أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه [4].

ثانياً: تعريف الصراط شرعاً:

قال **ابن كثير:** الصراط هو جسر منصوب على متن جهنم، يمر عليه الأولون والآخِرون، وهو أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، ويسير الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو، ومنهم من يمشي، ومنهم من يحبو، فناج مسلَّم، ومكدوس في النار [5].

وقال **الغزالي:** "الصراط هُوَ جسر مَمْدُود على متن جَهَنَّم، أحد من السَّيْف وأدق من الشعرة، تزل عَلَيْهِ أَقْدَام الْكَافرين بِحكم الله سُبْحَانَهُ، فَتَهْوِي بهم إِلَى النَّار، وَتثبت عَلَيْهِ أَقْدَام الْمُؤمنِينَ بِفضل الله فيساقون إِلَى دَار الْقَرار"[6].

"فالصراط: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة والنار، يعبر منه الناس بحسب ثباتهم على الصراط الذي نصبه الله لعباده في الدنيا؛ ففي الدنيا صراط، وهو: دين الله الذي بعث به رسله، فكلما زاد ثبات العبد على دين الله تعالى، كلما كان أسرع على الصراط جزاءً وفاقًا، فمن الناس من يمر كالبرق في سرعته، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم كالفرس الجواد، ومنهم كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من لا يسير، وعلى الصراط فتخطفه الكلاليب، فتلقي به في النار"[7].

---

(1) **هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر:** أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة أشهر كتبه (الصحاح)، وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو)، توفي سنة 393هـ . انظر: الزركلي، الأعلام (ج1/ 313).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج1139/3).

(3) انظر: الفيروزآبادى، القاموس المحيط (ص 675)، والحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج345/19).

(4) انظر: الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن (ص 407).

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج58/5).

(6) أبو حامد الغزالي، قواعد العقائد (ص 66).

(7) عبد الرحمن البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) (ص 181).

يتبين مما سبق، أنه لا تعارض بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للصراط، فالصراط لغةً: هو الطريق الواضح، وفي الشرع: هو بمثابة طريق توصل للجنة أو للنار، وسهولة المرور في هذه الطريق على قدر أعمال العباد في الدنيا؛ فمنهم من يسير كالبرق، ومنهم من يسير كالريح، ومنهم كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من تخطفه الكلاليب، فإما أن تخدشه، وأما أن تكبه في النار.

ثالثاً: الصراط في سورة الحديد:

قام الباحث بتتبع آيات سورة الحديد، فوجد **آيتين** تدلان على الصراط، وهما قوله تعالى: **﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾** [الحديد: 12، 13].

أما الآية الأولى، فقال **ابن كثير**: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ: إِنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يسعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي عَرصات الْقِيَامَةِ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾** قَالَ: عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَن نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يتَّقد مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَيْسَ لِأَحَدٍ إِلَّا يُعْطَى نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الصِّرَاطِ طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأَ نُورُهُمْ كَمَا طُفئ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: رَبَّنَا، أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا، وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: **﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾** يَعْنِي: عَلَى الصراط، وَقَوْلُهُ **﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾** قَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْ وَبِأَيْمَانِهِمْ كُتُبُهُمْ، كَمَا قَالَ: **﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾** [الْإِسْرَاءِ: 71]، وَقَوْلُهُ: **﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ: بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ، أَيْ: لَكُمُ الْبِشَارَةُ بِجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾** أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**"(1).

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/15– 16).

أما **الآية الثانية** فقد مضي تفسيرها عند **الطبري** في الفصل الأول، عند الحديث عن عاقبة المنافقين، حيث قال: أخبر سبحانه عما يقع من أهوال للمنافقين يوم القيامة، حيث ينادون على المؤمنين وهم على الصراط حتى ينتظروهم؛ ليستصبحوا من نورهم، فيرد عليهم: أن ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورًا، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسُور، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، باطنه فيه الرحمة، أي الجنة، وباطنه فيه العذاب أي يعني النار(1).

فالسلف يؤمنون بالصراط أنه جسر منصوب على متن جهنم، وهو أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، يمرّ عليه الناس على حسب أعمالهم، وأن الله تعالى يعطي كل واحد من عباده نورًا، ويكون هذا النور أيضًا بقدر أعمالهم، حتى المنافقين يُعطون نورًا، فإذا انتهوا إلى الصراط، طُفئ نورهم، فينادون على المؤمنين؛ ليستضيء بنورهم، فيرد عليهم المؤمنون أن ارجعوا، فالتمسوا النور من حيث التمسناه، فيرجعون، فيضرب بينهم بحاجز، باطنه فيه الرحمة، وباطنه فيه العذاب.

أما موقف المعتزلة ويمثلها المفسر **الزمخشري**، حيث قال في تفسير الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾؛ لأنّ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم، ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة، ومروا على الصراط يسعون: سعى بسعيهم ذلك النور جنيباً لهم ومتقدماً، ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة، ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾، وقرئ: ذلك الفوز"(2).

أما **الآية الثانية** فقد مضي تفسيرها عند **الزمخشري**، في الفصل الأول، عند الحديث عن عاقبة المنافقين، حيث قال: يوم يقول المنافقون للمؤمنين انتظرونا، أو انظروا إلينا؛ لنستضيء من نوركم، فيرد عليهم أن ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور، فالتمسوه هنالك، فإنه لا سبيل لكم إلى هذا النور، فيضرب بين المؤمنين والمنافقين بحائط أي حائل بين الجنة والنار، لهذا الحائط بابٌ، باطِنُهُ أي باطن الحائط أو الباب، فيه الرحمة أي الجنة، وَظاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذابُ وهو الظلمة والنار(3).

---

(1) انظر: البحث "عاقبة المنافقين" (ص122).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/475).

(3) انظر: البحث "عاقبة المنافقين" (ص122).

يتضح مما سبق، أن **الزمخشري** يوافق السلف في اثبات الصراط، ولكن لم يتضح من كلامه هل يثبته بالمواصفات التي يثبتها السلف أم لا؟ وعلى كل حال كون **الزمخشري** يثبت وجود الصراط، فإنه بذلك يخالف المعتزلة الذين ينفون وجود الصراط، ويتأولونه كما يعتقد **القاضي عبد الجبار المعتزلي**، حيث يقول: "من جملة ما يجب الاقرار به واعتقاده، الصراط، وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار، إذا رامو المرور عليه وقد دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:6،7]، فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية –يقصد أهل السنة– من أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف، حتى يصبح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة، وأيضاً فقد ذكرنا أن الصراط هو الطريق، وما وصفوه ليس من الطريق بسبيل، ففسد كلامهم فيه... والفائدة في أن جعل الله تعالى إلى دار الجنة طريقاً حاله ما ذكرنا، هو لكي يتعجل به للمؤمن مسرة، وللكافر غمًا، وليضمنه اللطف في المصلحة على ما سبق في نظائره"(1).

وقال **الآمدي**(2) فيما نقله عن المعتزلة: "الفائدة الْمَطْلُوبَة من نصب الصِّرَاط لَيست إِلَّا العبور عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مُتَعَذر جداً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطائع وَالْعَاصِي مَعًا لكَونه كَمَا قيل أحد من السَّيْف وأدق من الشعرة"(3).

وقال **حافظ الحكمي:** "وَقَدْ أَنْكَرَ الصِّرَاطَ وَالْمُرُورَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبِدْعَةِ وَالْهَوَى مِنَ الْخَوَارِجِ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَتَأَوَّلُوا الْوُرُودَ بِرُؤْيَةِ النَّارِ لَا أَنَّهُ الدُّخُولُ وَالْمُرُورُ عَلَى ظَهْرِهَا وَذَلِكَ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَلَوْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى صَغِيرَةٍ فَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَرَدُّوا الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الْوُرُودِ"(4).

---

(1) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص737–738).

(2)"**هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي**، شيخ المتكلمين في زمانه، تفنن في علم النظر والكلام والحكمة، وصنف في ذلك كتبًا مشهورة منها الإحكام في أصول الأحكام، وإنكار الأفكار، ودقائق الحقائق، وغير ذلك، توفي في سنة 631هـ". انظر: ابن كثير، طبقات الشافعيين (ص833–834).

(3) الآمدي، غاية المرام في علم الكلام (ص 302).

(4) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج856/2).

ولكن رد عليهم إمام الحرمين **الجويني** بقوله: "فأما ما ذكروه في الصراط فلا خفاء بسقوطه، فإنه لا يستحيل الخطور في الهواء، والمشي على الماء، وكيف ينكر ذلك من يلزمه الدين رغمًا الاعتراف بقلب العصا حية، وفلق البحر، وإحياء الموتى في دار الدنيا"[(1)].

يتبين مما سبق فساد تأويل المعتزلة لمعنى الصراط، فإن تأويلهم فيه طعن في قدرة الله تعالى فالله تعالى قادر على أن يجعل العباد يمرون على جسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف، بل إن هؤلاء المتأولة أثبتوا الكثير من الأمور التي لا يتصورها العقل في الدنيا، كالمشي على الماء، وقلب العصا حية، وفلق البحر، فكيف يعدلون عن التأويل الصحيح للصراط بحجة أنه يتعارض مع العقل، مع أن النقل الصحيح يدل عليه، ولا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح، مع العقل السليم، وإذا حدث تعارض بينهما فإنما يكون لعدم صحة النقل، أو لعجز العقل، أو لسوء فهم النقل الصحيح.

أما موقف الأشاعرة ويمثلها المفسر **القرطبي**، حيث قال في تفسير الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ أي يمضي على الصراط في قول الحسن، وهو الضياء الذي يمرون فيه ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي قدامهم، ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قال الفراء: الباء بمعنى (في) أي: في أيمانهم، أو بمعنى (عن) أي: عن أيمانهم، عن ابن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله فيطفأ مرة، ويوقد أخرى، قال الحسن: هذا النور ليستضيئوا به على الصراط ، وقوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ هي بشرى بدخول جنات تجري من تحتهم أنهار اللبن، والماء، والخمر، والعسل، من تحت مساكنها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الدخول المحذوف، التقدير ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾ دخول جنات ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ مقدرين الخلود فيها[(2)].

أما **الآية الثانية** فقد مضي تفسيرها عند **القرطبي** في الفصل الأول، عند الحديث عن عاقبة المنافقين، حيث قال: ينادي المنافقون على المؤمنين، انتظرونا أو أمهلونا، وأخرونا حتى نستضيء من نوركم، فتقول لهم الملائكة، وقيل: بل هو قول المؤمنين لهم ارجعوا وراءكم إلى

(1) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص 379- 380).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (17/243- 244).

الموضع الذي أخذنا منه النور، فاطلبوا هنالك لأنفسكم نورًا، فإنكم لا تقتبسون من نورنا، فلما رجعوا ضُرب بينهم بسور: أي حاجز بين الجنة والنار، باطنه الجنة، وظاهره جهنم(1).

يتضح مما سبق، أن **القرطبي** يوافق السلف في اثبات الصراط، وهذا ماعليه منهج الأشاعرة بشكل عام، ويتضح ذلك جلياً من خلال أقول أعلامهم، حيث قال **الباقلاني** : "ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورد الروح إلى الميت عند السؤال، ونصب الصراط... كل ذلك حقٌّ وصدقٌ، ويجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل "(2) وقد نقل **الأشعري** الإجماع على: "أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك"(3)، ويؤيد ذلك إمام الحرمين **الجويني** حيث قال: " والصراط ثابت على حسب ما نطق به الحديث، وهو جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون.."(4).

وقال **النووي** في قول تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم:71]، "وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ، فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ"(5)

خلاصة ما سبق أنه على الرغم من نفي المعتزلة للصراط لامتناع وجوده عقلاً، وأنه لا فائدة من وجوده على زعمهم، إلا أن الزمخشري من المعتزلة خالف ذلك، ووافق السلف والأشاعرة في إثبات الصراط.

---

(1) انظر: البحث "عاقبة المنافقين" (ص122).

(2) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص48).

(3) أبو الحسن الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص 163).

(4) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص 379).

(5) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج58/16).

المطلب الثالث: الميزان في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

الميزان من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها، فعلينا أن نؤمن بأن الله تعالى ينصب الموازين يوم القيامة؛ لإقامة القسط بين الناس، وحتى يجازي كل نفس بما كسبت، وقد دل على الميزان الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء:47]، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ ﴾[1] وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله تعالى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ، لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ..﴾ [2].

فعلينا أن نؤمن بالميزان، وأنه ميزان حقيقي، وأن له كفتين، توزن فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته فاز وربح، ومن رجحت سيئاته خاب وخسر، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون: 102، 103].

أولاً: تعريف الميزان لغة:

المِيزانُ: "هو الآلَةُ الَّتِي تُوزَنُ بهَا الأشْياءُ"[3].

الوَزْنُ: "معرفة قدر الشيء، يقال: وَزَنْتُهُ وَزْناً وزِنَةً، والمتّعارف في الوَزْنِ عند العامّة: ما يقدّر بالقسط والقبّان"[4].

---

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الدعوات، بَابُ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ والتحميد وَالدُّعَاءِ (ج70/8) (ح6945).

(2) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ الْأَهْوَالِ... (ج629/4) (ح 8739)، قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، صححه الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة برقم (941).

(3) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج252/36).

(4) الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن (ص 868).

ثانياً: تعريف الميزان شرعاً:

الميزان: "هو ما ينصبه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد؛ ليجازيهم على أعمالهم، وهو ميزان حسي، له كفتان ولسان"[(1)].

أو هو: " ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان"[(2)].

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية:** الْمِيزَانُ: " هُوَ مَا يُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ، وَهُوَ غَيْرُ الْعَدْلِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، مِثْلُ قَوْله تَعَالَى **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾**، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ[(3)]﴾"[(4)].

يتضح مما سبق، أنه لا تعارض بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للميزان، فالميزان لغةً: آلة لها لسان وكفتان توزن بها الأشياء فتعرف مقاديرها، وفي الشرع: هو ميزان حقيقي بلسان وكفتين – لا يعرف حقيقتهما إلا الله – يوزن به أعمال العباد، فيعرف به مقدار حسناتهم وسيئاتهم، فإن رجحت الحسنات فاز وربح، وإن رجحت السيئات خاب وخسر.

ثالثاً: الذي يوزن في الميزان:

اختلف العلماء في الموزون على أقوال، ولكل قول أدلة، وهي على النحو الآتي:

1- **وزن الأعمال،** ودليل ذلك قول النبي ﷺ قَالَ: ﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ...﴾. الحديث.

2- **وزن العامل نفسه،** ودليل ذلك قول النبي ﷺ: ﴿ إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، **﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾** [الكهف:105]﴾[(5)] وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، ﴿أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ،

---

(1) عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، (ج488/2).

(2) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص 232).

(3) رواه مسلم، سبق تخريجه (ص174).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج302/4).

(5) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [الكهف: 105] الآيَةَ (ج93/6) (ح 4729).

فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ﴾(1).

3- **وزن صحائف الأعمال**، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: ﴿ يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عليه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا، يا رب، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عذر؟ أَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ﴾(2).

"ولعل الحق أن الذي يوزن هو العامل، وعمله وصحف أعماله، فقد دلت النصوص...على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها"(3).

وهذا ما رجحه الشيخ **حافظ الحكمي** فقال: "وَالَّذِي اسْتُظْهِرَ مِنَ النُّصُوصِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْعَامِلَ وَعَمَلَهُ وَصَحِيفَةَ عَمَلِهِ كُلُّ ذَلِكَ يُوزَنُ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِي بَيَانِ الْقُرْآنِ قَدْ وَرَدَتْ بِكُلٍّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي قِصَّةِ صَاحِبِ الْبِطَاقَةِ بِلَفْظِ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ، فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ، قَالَ: فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: لَا تَعْجَلُوا، لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ، حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ ﴾(4).

---

(1) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ (ج7/98-99) (ح 3991)، قال شعيب الأرنؤوط وآخرون (صحيح لغيره).

(2) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بَابُ مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ج5/356) (ح4300)، قال شعيب الأرنؤوط وآخرون (إسناده صحيح).

(3) الأشقر، القيامة الكبرى (ص 254).

(4) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (ج11/637) (ح 7066)، قال شعيب الأرنؤوط وآخرون (إسناده حسن).

"فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ يُوضَعُ هُوَ وَحَسَنَاتُهُ وَصَحِيفَتُهَا فِي كِفَّةٍ، وَسَيِّئَاتُهُ مَعَ صَحِيفَتِهَا فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، وَهَذَا غَايَةُ الْجَمْعِ بَيْنَ مَا تَفَرَّقَ ذِكْرُهُ فِي سَائِرِ أَحَادِيثِ الْوَزْنِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ"[1].

رابعاً: الميزان في سورة الحديد:

قام الباحث بتتبع آيات سورة الحديد، فوجد **آية واحدة**، تدل على الميزان، وهي قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحديد: 25].

قال المفسر **الطبري:** "يقول تعالى ذكره: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل، عن قتادة قال: الميزان: العدل، قال ابن زيد، في قوله: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ** ﴾، قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا، ﴿ **لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ أي: ليعمل الناس بينهم بالعدل..."[2]

وقد بين المفسر **الطبري** في أكثر من موطن أن المراد بالميزان هو العدل، فقال في قوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. . .** ﴾ [الأنبياء: 47]، "الْمَوَازِينَ: العدل"[3]، وقال في قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ** ﴾ [الرحمن: 7]، "يقول: ووضع العدل بين خلقه في الأرض"[4].

ويؤيد ذلك **ابن كثير**، حيث قال: قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ** ﴾ وَهُوَ: النَّقْلُ الْمُصَدِّقُ ﴿ **وَالْمِيزَانَ** ﴾ وَهُوَ: الْعَدْلُ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا. وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُخَالِفَةُ لِلْآرَاءِ السَّقِيمَةِ...، وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ **لِيَقُومَ النَّاسُ**

---

(1) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج848/2-849).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج200/23 -201).

(3) المرجع السابق (ج451/18).

(4) المرجع السابق (ج13/22).

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أَيْ: بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَهُوَ: اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ، فَإِنَّ الذي جاؤوا بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الْأَنْعَامِ: 115] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي"(1) وقال في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. . .﴾ [الأنبياء: 47]، "أَيْ: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْعَدْلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ".(2) وقال في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7]، "الْمِيزَانَ: يَعْنِي: الْعَدْلَ"(3).

يتضح مما سبق، أن كلاً من **الطبري وابن كثير** يفسران الميزان بإحدى مستلزماته، بل بأعظم مستلزماته، وهي إقامة العدل بين الخلق، ولكن الحق الذي يحب بيانه أنه لا يوجد أحد من أهل السنة ينكر وجود الميزان يوم القيامة، وأنه ينصب لوزن أعمال العباد، وقد نقل **ابن حجر** في الفتح قول أَبي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ (4) في إجماع أهل السنة على ذلك، حيث قال: "أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ"(5) وقال **ابن بطال:** "وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، وتمثل الأعمال بما يوزن، وخالف ذلك المعتزلة وأنكروا الميزان، وقالوا: الميزان عبارة عن العدل"(6) وقال **العيني:** "الثّقل فِيهِ على حَقِيقَته؛ لِأَن الْأَعْمَال تتجسم عِنْد الْمِيزَان، وَالْمِيزَان هُوَ الَّذِي يُوزن بِهِ فِي الْقِيَامَة أَعمال الْعباد، وَفِي كيفيته أَقْوَال، وَالأَصَح أَنه جسم محسوس ذُو لِسَان وكفتين، وَالله تَعَالَى يَجْعَل الْأَعْمَال كالأعيان موزونة، أَو يُوزن صحف الْأَعْمَال"(7).

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج27/8).

(2) المرجع السابق (ج345/5).

(3) المرجع السابق (ج490/7).

(4) "**هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي**، قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، مات في جمادى الآخرة سنة أحدى عشرة وثلاثمائة". شهاب الدين الحموي، معجم الأدباء (ج51/1– 52).

(5) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج538/13).

(6) ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال (ج559/10).

(7) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج26/23).

ومن خلال تتبع تفسير كلٍّ من **الطبري وابن كثير**، وجدت أنهما يثبتان وجود ميزانٍ حقيقيٍّ يوم القيامة، توزن فيه أعمال العباد، فقال **الطبري** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: 8] "والصواب في ذلك عندي بأنه الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾، موازين عمله الصالح ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ أي: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وفازوا بالجنان، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ...»[1] ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت ووزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، فالله سبحانه يضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى، وَيُحْدِثُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثِقْلًا وَخِفَّةً فِي الْكِفَّةِ الَّتِي الْمَوْزُونُ بِهَا أَوْلَى، احْتِجَاجًا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ، كَفِعْلِهِ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ: مِنِ اسْتِنْطَاقِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، اسْتِشْهَادًا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُجَجِهِ[2]. وقال أيضاً **الطبري** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون: 102، 103]، "يقول تعالى ذكره: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته... ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ يقول ومن خفَّت موازين حسناته فرجَحَت بها موازين سيئاته"[3] وقال **الطبري** في قوله تعالى: ﴿ **. . . فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ [الكهف: 105]، أي فلا نجعل لهم ثقلاً، وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم؛ لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم"[4].

ويؤيد **ابن كثير** الطبري فيما ذهب إليه، فقال: "وَقَوْلُهُ: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ أَيْ: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ وَلَوْ بِوَاحِدَةٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ... ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ**

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ (ج363/4) (ح2003)، قال الشيخ الألباني: (صحيح).

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج311/12 – 314).

(3) المرجع السابق (ج73/19).

(4) المرجع السابق (ج129/18).

﴿مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: ثَقُلَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ"[1] وقال **ابن كثير** في قوله: **﴿...فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: 105]، "أَيْ: لَا نُثْقِلُ مَوَازِينَهُمْ؛ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ عَنِ الْخَيْرِ"[2].

وقال المفسر **الشنقيطي:** قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾** [القارعة: 6، 7]، "فِي قَوْلِهِ: ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ دَلَالَةٌ عَلَى وَقْعِ الْوَزْنِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَالْمَوَازِينُ: يُرَادُ بِهَا الْمَوْزُونُ، وَيُرَادُ بِهَا آلَةُ الْوَزْنِ"[3].

يتضح من خلال الأدلة التي سقناها، أن السلف يؤمنون بالميزان، وأنه ميزان حقيقي له لسان وكفتان، ينصب للخلائق لوزن أعمالهم، وإظهار مقاديرها، وفي ذلك إظهارٌ للعدل الإلهي، بإقامة الحجة على الخلق، فلا تظلم نفس شيئاً، قال تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: 47].

أما **الزمخشري** من المعتزلة، قال: "قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾** يعنى الملائكة إلى الأنبياء **﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾** بالحجج والمعجزات **﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾** أي الوحى **﴿وَالْمِيزَانَ﴾** روى أنّ جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح، وقال: مر قومك يزنوا به"[4].

فسر **الزمخشري** الميزان بميزان الدنيا الذي يستخدمه الناس في أمور معاشهم، إلا أن الباحث من خلال تتبعه لتفسير الزمخشري، وجد ما يشير إلى أن الزمخشري يثبت الميزان فمثلاً قال في تفسير قوله تعالى: **﴿...فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: 105]، "قيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأنّ الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين"[5].

وقال في قوله تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: 47]، قال: "المراد بوضع الموازين: فيه قولان، **أحدهما:** إرصاد الحساب السوىّ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج496/5).

(2) المرجع السابق (ج202/5).

(3) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج72/9).

(4) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج480/4- 481).

(5) المرجع السابق (ج749/2).

يظلم عباده مثقال ذرّة، فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات، **والثاني:** أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال، عن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان"[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ . . . فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . . . ﴾ [الأعراف: 8]، "مَوازِينُهُ جمع ميزان أو موزون، أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات، أو ما توزن به حسناتهم، وعن الحسن: وحقّ لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل، وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف"[2].

فالأدلة سالفة الذكر، تدل دلالة واضحة على أن الزمخشري يثبت الميزان، وبذلك فهو يخالف المعتزلة الذين ينفون الميزان، ويأولونه بالعدل، وقد بين ذلك **الآمدي** فيما نقله عن المعتزلة، حيث قال: " والفائدة من نصب الْمِيزَان لَيست إِلَّا وزن الْأَعْمَال، وَذَلِكَ أَيْضا مُتَعَذر؛ لِأَنَّهَا إِمَّا أَن توزن فِي حَال عدمهَا، أَو بعد إعدامها الْقسم الأول محَال جدًا. وَالْقسم الثاني محَال... ثمَّ وَلَو قدر إِعَادَة الْأَعْرَاض المتجددة، فوزنها لَا محَالة أَيْضًا مُتَعَذر، وحركة الْمِيزَان بهَا ممتنعة، وَإِن كَانَت حَرَكَة الْمِيزَان بِسَبَب ثقل مَا خلقت مِنْهُ الْحَرَكَة فَلَيْسَ ذَلِك وزن الْحَرَكَة"[3] "فقد أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين، وإنكار المعتزلة للميزان، بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها"[4]، ويؤيد ذلك **أبو الحسن الأشعري** حيث قال: "وقال أهل البدع –منهم المعتزلة– بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنًا بوزن، وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة"[5]

وهذا أيضاً ما ذكره **ابن حجر** في الفتح، حيث قال: "وَأَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ، وَقَالُوا هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ، فَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَضَعُ الْمَوَازِينَ لِوَزْنِ الْأَعْمَالِ لِيَرَى الْعِبَادُ أَعْمَالَهُمْ مُمَثَّلَةً؛ لِيَكُونُوا على أنفسهم شَاهِدِين، وَقَالَ ابن فَوْرَكٍ[6]: "أَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج120/3).

(2) المرجع السابق (ج89/2).

(3) الآمدي، غاية المرام في علم الكلام (ص 302).

(4) عَلوي السقاف، الموسوعة العقدية (ج489/4).

(5) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص 472).

(6) "**هو الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الصَّالِحُ، شَيْخُ المُتَكَلِّمِيْن، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ فُوْرَكَ الأَصْبَهَانِيّ**، وَبلغت مُصَنَّفَاتُه قَرِيْباً مِنْ مائَة مصنّف، كَانَ أَشْعَرِيّاً، رَأْساً فِي فَنِّ الكَلاَم، أَخَذَ عَن أَبِي الحَسَنِ البَاهِلِيّ صَاحِبِ الأَشْعَرِيّ، توفي 406 هـ". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج214/17 –216)

بِنَاءً مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الْأَعْرَاضَ يَسْتَحِيلُ وَزْنُهَا إِذْ لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا، قَالَ: وَقَدْ رَوَى بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَنِ ابن عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا فَيَزِنُهَا انْتَهَى وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى أَنَّ الْمِيزَانَ بِمَعْنَى الْعَدْلِ وَالْقَضَاءِ"(1)، "فالمعتزلة أنكروا الميزان الذي ينصب يوم القيامة... ويقولون: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال–تعالى الله عن قولهم–، وأنكروا أن يكون الميزان حقيقياً"(2).

يقول شارح الطحاوية في رده على المعتزلة النفاة، "وَيَا خَيْبَةَ مَنْ يَنْفِي وَضْعَ الْمَوَازِينِ الْقِسْطِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَخْبَرَ الشَّارِعُ، لِخَفَاءِ الْحِكْمَةِ عَلَيْهِ، وَيَقْدَحُ فِي النُّصُوصِ بِقَوْلِهِ: لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمِيزَانِ إِلَّا الْبَقَّالُ وَالْفَوَّالُ! ! وَمَا أَحَرَاهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ إِلَّا ظُهُورُ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ لِجَمِيعِ عِبَادِهِ، فَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَكَيْفَ وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ مَا لَا اطِّلَاعَ لَنَا عَلَيْهِ، فَتَأَمَّلْ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، لَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 30]"(3).

وأما نفي المعتزلة للميزان؛ لاستحالة وزن الأعراض، ففيه طعن في الرب سبحانه تعالى، حيث نسبوا له العجز والنقص بذلك، فكيف يعجز خالق الكون وما فيه على أن يحول الأعراض إلى أجساماً وأثقالًا محسوسة توزن، وقد دل على تحول الأعراض أجسامًا محسوسة الكثير من الأدلة منها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ(4) وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ...﴾(5). فالحديث السابق يشير إلى أن الموت وهو عرض من الأعراض يحوله الله تعالى

---

(1) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج13/538 – 539).

(2) ابن جبرين، شرح العقيدة الطحاوية (د8/65).

(3) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج2/613).

(4) "**(فيشرئبون)**: بمعجمة وراء مفتوحة وهمزة مكسورة وموحدة مشددة مضمومة: يمدون أعناقهم ينظرون". السيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح (ج7/2927).

(5) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ} [مريم:39] (ج6/93) (ح 4730).

إلى جسم ويذبح، وكذلك أخبر النبي ﷺ عن القرآن أنه يأتي صاحبه يوم القيامة على صورة رجل شاحب اللون، ففي الحديث قال النبي ﷺ: ﴿يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارَكَ ﴾(1).

قال **ابن أبي العز الحنفي**: "فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مُلْحِدٍ مُعَانِدٍ يَقُولُ: الْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ لَا تَقْبَلُ الْوَزْنَ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ الْوَزْنَ الْأَجْسَامُ! ! فَإِنَّ اللَّهَ يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا"(2).

يتضح مما سبق بطلان قول المعتزلة، فكما أن الله تعالى حول الموت وهو عرض في صورة كبش، وحول القرآن في صورة رجل شاحب، فإنه قادر على أن يحول باقي الأعراض يوم القيامة إلى أجساماً لها ثقل وتوزن، بل إن وزن الأعراض أصبح ممكناً في حق المخلوق، حيث إننا نجد الكثير من الأعراض التي أصبح الإنسان يقيسها بآلات خاصة، كقياس ضغط الدم، وقياس الحرارة، وقياس قوة البصر، وغير ذلك، فإن كان ذلك ممكناً في حق المخلوق فإنه في حق الخالق القادر على كل شيء أولى.

ولكن الحق الذي ينبغي بيانه، هو أن المعتزلة ليسوا كلهم في تأويل الميزان سواء بل بينهم خلاف وشقاق، فمنهم المثبت، ومنهم النافي المتأول(3)، فمن خلال بحثي، وجدت من كبار المعتزلة من يثبت الميزان مثل: **القاضي عبد الجبار المعتزلي** حيث قال: وأما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى به في كتابه فقال: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. . .** ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال أيضاً: ﴿ **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: 102]، فلم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه، المتعارف عليه عندنا، دون العدل وغيره على قول بعض الناس، فكلام الله تعالى إن أمكن حملة على الحقيقة لا يجوز العدول به إلى المجاز، فلو كان المراد من الميزان العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين عندنا، فإن قالوا ما فائدة وضع الموازين ولا يوجد شيء يوزن إذ أن الطاعات والمعاصي أعراض ولا يتصور فيها الوزن، قيل لا يمنع أن يجعل الله تعالى النور دليلاً على الطاعات، والظلمة دليلًا على المعاصي، ثم يجعل كل واحدة في كفة، فإن كان هذا لا يمتنع فإنه لا يمتنع أيضاً أن تجعل الطاعات في صحائف ثم توضع في كفة، والمعاصي في صحائف ثم توضع في الكفة الأخرى، وأيهما ترجحت حدد مصير

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ ثَوَابِ الْقُرْآنِ، (ج1242/2) (ح 3781)، قال محمد فؤاد عبد الباقي إسناده صحيح رجاله ثقات.

(2) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج612/2).

(3) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج348/5).

صاحبها، وفائدة ذلك هو تعجيل مسرة المؤمن، وغم الكافر، هذا في يوم القيامة، أما في الدنيا فعندما يعلم العبد أن أعماله توزن على الملأ، فإنه سيكون عند ذلك أقرب لفعل الواجبات، وترك المنكرات[1].

وأما الأشاعرة فيثبتون الميزان الحقيقي الذي توزن به الأعمال، موافقين بذلك جمهور السلف، فقال **القرطبي:** في تفسير "قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قيل: هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف، وقال قوم: أراد به العدل"[2].

فسر **القرطبي** الميزان بميزان الدنيا الذي يتعامل به الناس في أمور معاشهم، إلا أن الباحث من خلال بحثه وجد ما يشير إلى أن **القرطبي** يثبت الميزان، ويظهر ذلك جلياً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:8]، حيث قال: "والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان... وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصًا"[3].

وقال **القرطبي** في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]، "حيث قال: الموازين جمع ميزان، فقيل: إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزاناً توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، وقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله...، ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع...، وقيل: للميزان كفتان وخيوط ولسان والشاهين، فالجمع يرجع إليها، وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ذكر الميزان مثل وليس ثم ميزان وإنما هو العدل، والذي وردت به الأخبار وعليه السواد الأعظم القول الأول"[4].

---

(1) انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص 735-736).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج260/17 - 261).

(3) المرجع السابق (ج164/7- 165).

(4) المرجع السابق (ج293/11 -294).

فيظهر من كلام **القرطبي** ترجيح القول بوجود ميزان له كفتان ولسان توزن به أعمال العباد، وهذا أيضاً ما مال له **الرازي** من الأشاعرة عند تفسير آية سورة الأنبياء، حيث قال: "في وضع الموازين قولان: **أحدهما:** قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل، والمعنى بالوزن القسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يعني أن حسناته تذهب بسيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه أي أن سيئاته تذهب بحسناته، **الثاني:** وهو قول أئمة السلف أنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية فتوزن بها الأعمال، وعن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وعلى هذا القول هناك طريقتان لوزن الأعمال: **أحدهما:** أن توزن صحائف الأعمال، **والثاني:** يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فإن قيل: ما فائدة هذا الميزان ما دام الله عادلاً غير ظالم والخلائق جميعهاً تقر بهذا؟ نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: 23] وأيضا ففيه ظهور حال الولي من العدو في مجمع الخلائق، فيكون لأحد القبيلين في ذلك أعظم السرور وللآخر أعظم الغم، إذا ثبت هذا فنقول: الدليل على وجود الموازين الحقيقية أن حمل هذا اللفظ على مجرد العدل مجاز، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب"(1).

يتضح مما سبق أن كلاً من **القرطبي والرازي** من الأشاعرة، يوافقون السلف في إثبات الميزان، وهذا ماعليه منهج الأشاعرة بشكل عام، ويتضح ذلك جلياً من خلال أقول أعلامهم حيث قال **الباقلاني**: "ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر... والميزان، والحوض، والشفاعة للعصاة من المؤمنين، كل ذلك حقٌّ وصدقٌ، ويجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل..."(2) وهذا ما أيده إمام الحرمين **الجويني** حيث قال: "والميزان حق، وكذلك الحوض، والكتب التي يحاسب عليها الخلائق، ولا تحيل العقول شيئاً من ذلك ودلالة السمع ثابتة على القطع في جميع ما قطعناه"(3).

خلاصة ما سبق أنه على الرغم من نفي المعتزلة للميزان لزعمهم امتناع وجوده عقلاً، وأنه لا فائدة من وجوده، وأن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، إلا أن الزمخشري، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة خالفا ذلك، ووافقا السلف والأشاعرة في اثبات الميزان، وأنه ميزان حقيقي له لسان وكفتان يوزن به أعمال العباد.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج148/22 – 149).

(2) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص48).

(3) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص 379).

المطلب الرابع: الجنة والنار في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وأنهما حق لا ريب فيه، وأن النار دار أعدها الله تعالى لأعدائه وأهل معصيته، وأن الجنة دار أعدها الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: 24، 25].

وقد جاء ذكر الجنة والنار في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ، تارة يرغب في الجنة ويدعو لها، ويرهب من النار وينفر ويحذر منها، وتارة يخبر عما أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم المقيم، وعما أعده سبحانه لأهل النار من العذاب الأليم.

وإن من الإيمان بالجنة والنار أن نؤمن بأنهن مخلوقتان موجودتان الآن، قال الله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وقال عن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:24]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ﴾ (1)

كما يجب علينا أن نؤمن بأن الجنة والنار لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، قال تعالى عن الجنة: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد:35]، وقال تعالى عن النار: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [المائدة:37]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:36].

أولاً: تعريف الجنة والنار:

1- تعريف الجنة:

أ- الجنة لغةً: "من (جِنٌّ) الْجِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ السَّتْرُ وَ التَّسَتُّرُ، فَالْجَنَّةُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ مَسْتُورٌ عَنْهُمُ الْيَوْمَ، وَالْجَنَّةُ الْبُسْتَانُ، وَهُوَ ذَاكَ لِأَنَّ الشَّجَرَ بِوَرَقِهِ يَسْتُرُ، وَنَاسٌ يَقُولُونَ: الْجَنَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ النَّخْلُ الطِّوَالُ... وَالْجُنَّةُ بضم الجيم مَا اتُّقِيَ بِهِ... وَالْجِنَّةُ بكسر الجيم: الْجُنُونُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُغَطِّي الْعَقْلَ، وَجَنَانُ اللَّيْلِ: سَوَادُهُ وَسَتْرُهُ الْأَشْيَاءَ"(2).

---

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (ج4/117) (ح3240).

(2) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج1/421- 422).

ب- الجنة شرعاً: "الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله؛ لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه"(1).

وقيل: "هي دار الكرامة التي أعدها الله ﷻ للمكلفين من عباده الذين أجابوا رسله، ووحدوه، وعملوا صالحًا، وهي أعظم مطلوب؛ لأن الحصول عليها حصول على أعظم ما يسر به العبد"(2).

يتضح مما سبق أنه لا تعارض بين المعنيين اللغوي والشرعي، فالجنة من جن وهو الستر، وحقيقة ثوابها مستور عن الخلق في الدنيا، فتصور عظمة ذلك الثواب يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه.

2- تعريف النار:

أ- النار لغةً: "النَّار عنصر طبيعي فعال يمثله النُّور والحرارة المحرقة وَتطلق على اللهب الَّذِي يَبْدُو للحاسة كَمَا تطلق على الْحَرَارَة المحرقة جمعها نيران وأنور وَيُقَال استضاء بناره استشاره وَأخذ بِرَأْيِهِ وأوقد نَار الْحَرْب أثارها وهيجها"(3).

ب- النار شرعاً: "النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: 192]"(4).

يتضح مما سبق أن النار هي الدار التي أعدها الله تعالى للكافرين، المكذبين لرسله، المتمردين على شرعه، وأن فيها من ألوان العذاب والعقاب ما لا يطاق.

(1) الأشقر، الجنة والنار (ص 117).

(2) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص 527).

(3) إبراهيم مصطفى وآخرين، المعجم الوسيط (ج962/2).

(4) الأشقر، مرجع سبق ذكره (ص 11).

ثانياً: أوصاف الجنة في سورة الحديد:

يجب علينا أن نؤمن بكل ما ورد في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ من أوصاف للجنة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، إلا ما قامت النصوص ببيانه؛ لأن ذلك غيب لا يعلم حقيقته إلا الله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: 17] ﴾ (1)، ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجدت العديد من الأوصاف للجنة وهي على النحو الآتي:

1- الجَنَّةُ درجات: وقد ورد في سورة الحديد ما يدل على الوصف للجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [الحديد:10].

قال **الطبري**: قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا** ﴾ " يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، وقاتلوا المشركين، أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا، وقوله: ﴿ **وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله، وقتالهم أعداءه"(2)، لم يتحدث **ابن كثير** عن درجات الجنة عند تفسير سورة الحديد، إلا أنه تحدث عنها في تفسيره لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **. . .وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء:95، 96]، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، فِي غُرَفِ الجِنَانِ الْعَالِيَاتِ، وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ، وَحُلُولِ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَاتِ، إِحْسَانًا مِنْهُ وَتَكْرِيمًا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب ما أعده الله لعباده الصالحين (ج143/8) (ح 7234).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج176/23- 177).

الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ [1]﴾، وعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ، قَالَ لِكَعْبِ بْنِ مُرَّةَ: يَا كَعْبُ، حَدِّثْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاحْذَرْ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ارْمُوا مَنْ بَلَغَ الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً، قَالَ ابْنُ النَّحَّامِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّرَجَةُ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ[2]﴾[3].

قال **ابن تيمية:** "وَالْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَةٌ تَفَاضُلًا عَظِيمًا وَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ إيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ"[4].

أما **الزمخشري** من المعتزلة: لم يتحدث الزمخشري عن درجات الجنة عند تفسير آية سورة الحديد، إلا أنه تحدث عنها في تفسيره لسورة المجادلة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ . . .يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:11]، حيث قال: "يَرْفَعِ اللَّهُ المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين منهم خاصة، دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ قرئ بالتاء والياء، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: أنه كان إذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، وعن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حَضَرُ الْجَوَادِ الْمُضْمَرِ سَبْعِينَ سَنَةً [5]﴾"[6].

وقال **الزمخشري:** "الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان"[7].

---

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: 7]، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [التوبة: 129] (ج125/9) (ح 7423).

(2) الإمام النسائي، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، كِتَابُ الْجِهَادِ، باب: ثَوَابُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (ج27/6) (ح 3144)، صححه الشيخ الألباني.

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج388/2).

(4) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص 43– 44).

(5) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، بَابُ تَفْضِيلِ الْعِلْمِ عَلَى الْعِبَادَةِ (ج130/1) (ح129)، لم يجد الباحث حكماً على هذا الحديث.

(6) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج492/4).

(7) المرجع السابق (ج106/1).

أما **القرطبي** من الأشاعرة فلم يتحدث عن درجات الجنة عند تفسير آية سورة الحديد، إلا أنه تحدث عنها في تفسيره لسورة النساء، عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 95، 96]، حيث قال: قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ وقد قال بعد هذا: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ فقال قوم: التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات إنما هو مبالغة وبيان وتأكيد. وقيل: فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر بدرجة واحدة، وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات وقيل: إن معنى درجة علو، أي أعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح والتقريظ، فهذا معنى درجة، ودرجات يعني في الجنة فالدرجات منازل بعضها أعلى من بعض، وفي الصحيح عن النبي ﷺ «..إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ..» [1] وكلا وعد الله الحسنى أي: الجنة[2].

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين السلف والمعتزلة،-الزمخشري-، والأشاعرة-القرطبي- في إثبات درجات الجنة، وهي منازل بعضها أعلى من بعض، يتفاضل فيها الناس بحسب أعمالهم.

2- الجَنَّةُ تجري من تحتها الأنهار: وقد ورد في سورة الحديد ما يدل على هذا الوصف للجنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12].

---

(1) رواه البخاري، وقد سبق تخرجه (ص189).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج344/5).

قال المفسر **الطبري**: وقوله: ﴿**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ " يقول تعالى ذكره: يقال لهم: بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها، جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها"(1).

وقال **ابن كثير**: وَقَوْلُهُ: ﴿**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ "أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ: بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ، أَيْ: لَكُمُ الْبِشَارَةُ بِجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"(2).

أما **الزمخشري** من المعتزلة: لم يتحدث الزمخشري عن هذا الوصف للجنة عند تفسير آية سورة الحديد، ومن خلال بحثي وجدت أن المفسر الزمخشري قد تحدث عن هذا الوصف للجنة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: 25]، حيث قال: فإن قلت: كيف صورة جرى الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية، وعن مسروق: إن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود، وأنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة، والأنهار في خلالها مطردة، ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه، لا تروق النواظر، ولا تبهج الأنفس، ولا تجلب الأريحية والنشاط، حتى يجرى فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لما جاء اللَّه تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه، ولما قدّمه على سائر نعوتها، والنهر: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازى كقولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق وقد عرّفت الأنهار للجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه، تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب. أو يراد أنهارها، فعوّض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله: ﴿**. . وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا . .**﴾ [مريم: 4]، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ**

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/180).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/16).

مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15][1].

وقال **القرطبي** من الأشاعرة: قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، "أي من تحتهم أنهار اللبن، والماء، والخمر، والعسل، من تحت مساكنها"[2]، أما المفسر **الرازي** فإنه لم يتحدث عن هذا الوصف للجنة عند تفسير آية سورة الحديد، لكنه تحدث عن ذلك في تفسيره لسورة النحل عند تفسير قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. . .﴾ [النحل:31]، حيث قال: "تجري من تحتها الأنهار، يدل على أنه حصل هناك أبنية، يرتفعون عليها وتكون الأنهار جارية من تحتهم"[3].

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين السلف والمعتزلة، –ممثلة في الزمخشري– ، والأشاعرة–ممثلة في القرطبي والرازي– في اثبات صفة الجنة بأن الأنهار تجري من تحتها وأن وجود هذه الأنهار حقيقة لا مجازٌ، وبوجودها تزداد سعادة وفرح أهل الجنة بما أعطاهم الله تعالى من النعيم المقيم، الذي لم يخطر على قلب بشر، ولم تَرَ مثله العيون، ولم تسمع به الآذان، وهذا يبطل قول الفلاسفة الذين يقولون: "ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة"[4].

3- الجَنَّةُ لا تفنى ولا يفنى أهلها: وقد ورد في سورة الحديد ما يدل على هذا الوصف للجنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12].

قال المفسر **الطبري**: وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، "يقول: ماكثين في الجنات، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون"[5]، وقال في تفسيره لسورة الفتح عند تفسير قوله تعالى: ﴿. . . خَالِدِينَ فِيهَا

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج106/1–107).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج244/17).
(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج202/20).
(4) المرجع السابق (ج613/30).
(5) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج180/23).

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ. . . ﴾ [الفتح: 5] "أي ماكثين فيها إلى غير نهاية"(1)، وقال في تفسيره لسورة إبراهيم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ . . .خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23]، " يقول ماكثين فيها أبدًا بإذن ربهم"(2) وهذا ما أكد عليه ابن كثير عند تفسيره لآية سورة الحديد حيث قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ "أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا"(3).

فالسلف يؤمنون بأن الجنة والنار مخلوقات الآن وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان، قال **ابن القيم**: "وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لَا يَبِيدَانِ وَلَا يَفْنَيَانِ"(4).

وقال **شارح الطحاوية**: "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ..."(5).

أما **الزمخشري** من المعتزلة: فعلى الرغم من أنه لم يتحدث عن أبدية الجنة عند تفسيره لآية سورة الحديد، إلا أنه من خلال بحثي وجدت أن الزمخشري لم يخالف السلف في إثبات أبدية الجنة وأنها لا تفنى ويتضح ذلك جليًا في تفسيره لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25]، حيث قال: " والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34] "(6).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج204/22).

(2) المرجع السابق (ج566/16).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج16/8).

(4) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج177/2).

(5) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 420).

(6) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج110/1).

فنفى سبحانه عن البشر الخلد مع أنه أعطى لبعضهم طول العمر، والمنفي غير المثبت، فالخلد هو الثبات والبقاء الدائم الذي لا ينقطع، ولم يخالف أحد من المعتزلة في ذلك إلا شيخ المعتزلة البصريين أبو الهذيل[1] العلاف حيث يقول: "بِفنَاء مقدورات الله ﷻ حَتَّى لَا يكون بعد فنَاء مقدوراته قَادِرًا على شيء، وَلأَجل هَذَا زعم أن نعيم أهل الْجنَّة وأهل النَّار يفنيان، وَيبقى حِينَئِذٍ أهل الْجنَّة وَأهل النَّار خامدين، لَا يقدرُونَ على شيء وَلَا يقدر الله ﷻ في تِلْكَ الْحَال على إحْيَاء ميت، وَلَا على إماته حي، وَلَا على تَحْرِيك سَاكن، وَلَا على تسكين متحرك، وَلَا على إِحْدَاث شيء، وَلَا على إفناء شيء، مَعَ صِحَة عقول الاحياء في ذَلِك الْوَقْت، وَقَوله في هَذَا الْبَاب شَرّ من قَول من قَالَ بِفنَاء الْجنَّة وَالنَّار، كَمَا ذهب إليه جهم؛ لِأَن جهماً وَإِن قَالَ بفنائهما فقد قَالَ بِأَن الله ﷻ قَادر بعد فنائهما على ان يخلق أمثالهما، وَأَبُو الْهُذيْل يزْعم أَن ربه لَا يقدر بعد فنَاء مقدوراته، على شيء"[2].

قال **ابن تيمية**: "فإن الجهم أصل قوله أن الله لا يقدر على فعل ما لا يتناهى، بل جعل لفعله مبدأ ومنتهى وجعله معطلا في الأزل والأبد ولهذا قال إن الجنة والنار يفنيان ويفنى كل شيء وهذا من بدعة التي أنكرها عليه السلف والأئمة"[3].

أما **الرازي** الأشعري فعلى الرغم من أنه لم يتحدث عن أبدية الجنة عند تفسيره لآية سورة الحديد، إلا أنه من خلال بحثي وجدت أن **الرازي** يوافق السلف في اثبات أبدية الجنة وأن نعيمها لا ينقطع ولا ينفذ، ولكنه ميز بين خالدين فيها إذا جاءت منفرده، عنه إذا جاءت مقرونة بكلمة أبداً، ويتضح ذلك جليًا في تفسيره لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا** ﴾ [النساء: 57]، حيث قال "إنه تعالى وصفها بالخلود والتأبيد، وفيه رد على جهم بن صفوان حيث يقول: إن نعيم الجنة وعذاب النار ينقطعان، وأيضًا إنه تعالى ذكر مع الخلود التأبيد، ولو كان الخلود عبارة عن التأبيد لزم التكرار وهو غير جائز، فدل هذا أن الخلود ليس

(1) **هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف**، شيخ المعتزلة البصريين ومصنف الكتب الكثيرة في مذاهبهم، كان خبيث القول فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله وجحد صفات الله، توفي سنة 226هـ، وقيل توفي سنة 235هـ، وقيل توفي سنة 227هـ. انظر: ابن حجر، لسان الميزان (ج561/7).

(2) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص 102-103).

(3) ابن تيمية، الصفدية (ج329/2).

عبارة عن التأبيد، بل هو عبارة عن طول المكث من غير بيان أنه منقطع أو غير منقطع، وإذا ثبت هذا الأصل فعند هذا يبطل استدلال المعتزلة، بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا . . . ﴾ [النساء: 93] على أن صاحب الكبيرة يبقى في النار على سبيل التأبيد؛ لأنا بينا بدلالة هذه الآية أن الخلود لطول المكث لا للتأبيد"[1]، وقال **الرازي** أيضاً: "واعلم أنه تعالى في أكثر آيات الوعد ذكر خالدين فيها أبدًا، ولو كان الخلود يفيد التأبيد والدوام للزم التكرار وهو خلاف الأصل، فعلمنا أن الخلود عبارة عن طول المكث لا عن الدوام، وأما في آيات الوعيد فإنه يذكر الخلود ولم يذكر التأبيد إلا في حق الكفار، وذلك يدل على أن عقاب الفساق منقطع"[2]، وقال أيضاً: "قال أصحابنا: الخلد هو الثبات الطويل سواء دام أو لم يدم، واحتجوا فيه بالآية والعرف، أما الآية فقوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ ولو كان التأبيد داخلاً في مفهوم الخلد لكان ذلك تكرارًا، وأما العرف فيقال: حبس فلان فلانًا حبسًا مخلدًا، ولأنه يكتب في صكوك الأوقاف وقف فلان وقفاً مخلدًا، فهذا هو الكلام في أن هذا اللفظ هل يدل على دوام الثواب أم لا؟ "[3].

وأما **القرطبي** من الأشاعرة: فعلى الرغم من أنه لم يتحدث عن أبدية الجنة عند تفسيره لآية سورة الحديد، إلا أنه من خلال بحثي وجدت أن القرطبي لم يخالف السلف في اثبات أبدية الجنة، وأنها لا تفنى، ويتضح ذلك جليًا في تفسيره لسورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: 108]،"﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي دائمين"[4] وقال في قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [طه: 76]، "﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي ماكثين دائمين"[5].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج107/10 –108).

(2) المرجع السابق (ج225/11).

(3) المرجع السابق (ج360/2).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج68/11).

(5) المرجع السابق (ج227/11).

فالأشاعرة لم يخالفوا السلف في اثبات بقاء الجنة وعدم فنائها، قال **البغدادي:** " أجمع السلف وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة، ودوام عذاب الكفرة في النار "[1].

يتضح مما سبق أنه لا خلاف بين السلف والمعتزلة،- إلا أبو الهذيل- والأشاعرة في اثبات أبدية الجنة وأن نعيمها لا ينفذ ولا ينقطع، ولكن الخلاف مع المعتزلة حول هل الجنة والنار مخلوقتان الآن أم لا؟ فالمعتزلة: أنكرت أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ موجودتان الآن، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَقَاسُوهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبِّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعَطِّلَةً، وَقَالُوا: خَلْقُ الْجَنَّةِ قبل الجزاء عَبَثٌ؛ لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعَطَّلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً، فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ[2]. فالمعتزلة خالفوا نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، قال الله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133] وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:24]، والمؤمن في قبره يفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، والكافر يفتح له في قبره باب إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها[3]، وهذا ما ذهب إليه الأشاعرة، حيث قال **الرازي:** "إن الجنة والنار مخلوقتان، أما النار فلأنه تعالى قال في صفتها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:24] فهذا صريح في أنها مخلوقة، وأما الجنة؛ فلأنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133] ولأنه تعالى قال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. . . ﴾ [البقرة: 25]، وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله وحصول الملك في الحال يقتضي حصول المملوك في الحال فدل على أن الجنة والنار مخلوقتان"[4]، وقال إمام الحرمين **الجويني:** "الجنة والنار مخلوقتان، إذ لا يحيل العقل خلقهما، وقد شهدت بذلك آي من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ

(1) البغدادي، أصول الدين (ص238).

(2) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص420).

(3) انظر: عبد العزيز الراجحي، شرح الحموية لابن تيمية (د8/7).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب (ج356/2).

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، والإعداد يصرح بثبوت الشيء وتحققه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: 13 – 15]، وتواترت الأخبار في قصة آدم عليه السلام عن الجنة وإدخال آدم إياها، وبُدُور الزلة منه فيها، وإخراجه عنها، ووعده الرد إليها، وكل ذلك ثابت قطعاً، متلقى من فحوى الآيات المستفيض من نقل الأثبات والثقات... ومن قال لا فائدة في خلق الجنة والنار في وقتنا، ساقط لا محصول له، فإن أفعال الباري تعالى لا تحمل على الأغراض على أصول أهل الحق، وهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد"(1).

4- **الجَنَّةُ عرضها كعرض السماء والأرض:** وقد ورد في سورة الحديد ما يدل على هذا الوصف للجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21]، لكن المفسر **الطبري** لم يبين معنى هذا الوصف للجنة عند تفسير آية سورة الحديد، ومن خلال بحثي وجدت بيان معنى هذا الوصف في تفسير سورة آل عمران، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]، "ذكر أن معنى ذلك: جنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع، إذا ضم بعضها إلى بعض... وإنما قيل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، فوصف عرضها بالسموات والأرضين... تشبيها به في السعة والعظم، كما قيل: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان: 28]، يعني: إلا كبعث نفس واحدة.."(2) ويؤيد ذلك **ابن كثير** حيث قال في تفسير آية سورة آل عمران: "إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ تَنْبِيهًا عَلَى اتِّسَاعِ طُولِهَا، كَمَا قَالَ فِي صِفَةِ فَرْشِ الْجَنَّةِ: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرَّحْمَن:54] أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ بِالظَّهَائِرِ؟ وَقِيلَ: بَلْ عَرْضُهَا كَطُولِهَا؛ لِأَنَّهَا قُبَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَالشَّيْءُ المُقَبَّب وَالْمُسْتَدِيرُ عَرْضُه كَطُولِهِ. وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: عن النبي ﷺ ﴿.. فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ –

(1) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص377، 378).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج207/7 –209).

أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» [1]، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 21]، وَقَدْ رُوِّينَا فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: أَنَّ هِرَقْل كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ:«...تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَأَيْنَ النَّارُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُبْحَانَ اللهِ أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ؟[2]»"[3].

وقال **الزمخشري** من المعتزلة: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: كعرض سبع سموات وسبع أرضين، وذكر العرض دون الطول؛ لأنّ كل ماله عرض وطول فإنّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرض الجنة بالسموات والأرض فكم يكون الطول حينها؟[4].

وقال **القرطبي** من الأشاعرة، قوله تعالى:﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: لَوْ وُصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وقَالَ الحسن: يعني جميع السموات وَالْأَرَضِينَ مَبْسُوطَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَقِيلَ: يريد أن للرجل الواحد من المؤمنين جنة بهذه السعة، والتعبير بالعرض الذي هو أقل من الطول دليل على شدة السعة، فمن عادة العرب أن تعبير عن سعة الشيء بعرضه لا بطوله[5].

يتبين مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة، – الزمخشري–، والأشاعرة، –القرطبي– في اثبات صفة الجنة بأن عرضها كعرض سبع سموات وسبع أرضين، وأنه سبحانه عبر بالعرض؛ ليدل على سعة الطول؛ لأنه من عادة العرب التعبير عن سعة الشيء بعرضه لا بطوله.

خلاصة القول: إنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة والأشاعرة، في الإيمان بالجنة والنار، وأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، يتفاضل فيها الناس بحسب أعمالهم، وأن الأنهار تجري من تحتها، وأن عرضها كعرض سبع سموات وسبع أرضين، وأن نعيمها لا ينفذ ولا

---

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (ج4/16) (ح2790).

(2) الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْمَكِّيِّينَ، حَدِيثُ التَّنُوخِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج24/418) (ح15655)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث غريب، وإسناده ضعيف.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/117).

(4) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج4/479).

(5) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/256).

ينقطع، ولكن خالفت المعتزلة حول هل الجنة والنار مخلوقتان الآن أم لا؟ فقد أنكرت المعتزلة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، والحق أن الجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان.

المطلب الخامس: عدم قبول الفدية يوم القيامة في سورة الحديد

إن الله تعالى أرسل رسله مبشرين ومنذرين حتى لا يبقى للناس على الله حجة بعد الرسل، ومع ذلك فمن الناس من آمن، ومنهم من كفر، فمن آمن وجد النعيم المقيم الذي وعد الله تعالى به عباده المؤمنين، ومن كفر وجد الويلات والعذاب المهين الذي توعد الله تعالى به الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: 18]، عندما يرى الكفار والمنافقون العذاب الشديد الذي أعده الله تعالى لهم، يودون لو أنهم يفتدون من عذاب يومئذ بأهلهم وبنيهم وكل ما في الأرض جميعاً، ولكن لا تقبل منهم هذه الفدية، ولم تجرهم من عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[آل عمران: 91]، وقال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: 11 – 14]، وعن أَنَس بْن مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ﴿ يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾(1).

أولاً: تعريف الفدية:

1- الفدية لغة: "من فدَى يَفدِي، افْدِ، فِدًى وفِداءً وفَدًى، فهو فادٍ، وفدَى فلانًا: أي استنقذه وخلَّصه مما كان فيه بماله أو بنفسه، أو قدَّم فدية يمحو بها خطأ أو يجبر بها نقصًا، ومنه فِدْية [مفرد]: جمعها فِدْيات وفِدًى، وهي ما يقدَّم من مال ونحوه لتخليص أسير، أو غيره "دفعت أسرة الفتاة الفدية إنقاذًا لابنتها"، وهي بمعنى الكفّارة، ما يقدَّم لله جزاءً لتقصير في عبادة، صام ثلاثة أيام فِدية، ﴿ . . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ . . ﴾ [البقرة:184]، فداء وعِوض"(2)

(1) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا (ج2161/4) (ح 52).

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1682/3).

2- **الفدية شرعاً:** "هي: البدل الذي يتخلص به المكلف عن مكروه توجه إليه"(1). أو هي: "البدلُ منَ الشَّيء في إزالةِ الأذيَّةِ، ومنه: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:107]؛ لأنه بدلٌ منه في إزالةِ الذَّبحِ عنه، ومنه: فداءُ الأسيرِ بغيرِه؛ لأنه بدلٌ منه في إزالةِ القتلِ والأسرِ عنه"(2). أو هي: "مَا قَامَ مَقَامَ الشَّيْءِ وَأَجْزَأَ عَنْهُ"(3).

ثانياً: عدم قبول الفدية في سورة الحديد:

ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد، وجد الباحث ما يدل على عدم قبول الفدية يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 15].

قال المفسر **الطبري:** يخبر سبحانه وتعالى عن حال المنافقين والكافرين أنهم يوم القيامة، لا يقبل منهم عوضٌ ولا بدلٌ من عذاب الله تعالى، وأن مسكنهم ومثواهم الذي يستحقونه هو النار وبئس المصير(4).

أما المفسر **الزمخشري** من المعتزلة قال: "﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يفتدى به، ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ قيل: هي أولى بكم... أو تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار"(5) ولكن نجد **الزمخشري** يوضح المراد بالفدية أكثر في تفسيره لآية سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:36]، حيث قال: "﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾؛ ليجعلوه فدية لأنفسهم، وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

---

(1) الجرجاني، كتاب التعريفات (ص165).

(2) مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص 207).

(3) الجصاص، أحكام القرآن (ج262/1).

(4) انظر: البحث "عاقبة المنافقين" (ص122).

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج476/4).

أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ[1]》"[2].

أما المفسر **القرطبي** من الأشاعرة فقال: قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيها المنافقون ولا الكافرون، أي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس أخرى، وقوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ أي مقامكم ومنزلكم، وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي أولى بكم...[3].

يتضح مما سبق، أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة –ممثلة بالزمخشري–، والأشاعرة –ممثلة بالقرطبي– في بيان حال المنافقين والكافرين في عدم قبول الفدية منهم يوم القيامة، فلو أن أحدهم أراد أن يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته، وأخيه، وكل من في الأرض، ما أنجاه ذلك من عذاب الله تعالى.

خلاصة ما سبق أن هناك توافق بشكل عام بين السلف والمتكلمين، في الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من أحداث، كالصراط، والميزان، والجنة والنار، وعدم قبول الفدية يوم القيامة.

---

(1) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه (ص200).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج629/1).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج247/17– 248).

المبحث الثاني: القضاء والقدر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر، وأدلته

الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين التي لا يقبل إيمان العبد إلا بها، وهو أخطر مسائل الاعتقاد، وأكثرها اختلافاً بين الناس قديماً وحديثاً، والسبب في ذلك أن هذه المسألة تتعلق بحياة الناس اليومية، فالحياة والموت، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والسعادة والشقاوة، وغير ذلك كلها أمور مقدرة عند الله تعالى ويتفاوت الناس فيها، فإن آمن العبد أن كل شيء مقدر ومكتوب عند الله وفق علمه الأزلي، عاش مرتاح البال مطمئن النفس؛ لأنه يعلم بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه أو يضروه بشيء لم ينفعوه ولم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله له أو عليه، وهذا مصداق قول النبي ﷺ لابن عباس ﷺ ﴿... وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ﴾ (1).

أولاً: تعريف القضاء والقدر لغة:

1- القضاء لغةً: قال **ابن فارس:** "الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾** [فصلت:12] أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ"(2).

وقال **ابن منظور:** "القَضاء، وأَصله القَطْع وَالْفَصْلُ. يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضَاء فَهُوَ قاضٍ إذا حَكَم وفَصَلَ. وقَضاء الشَّيْءِ: إِحْكامُه وإِمْضاؤُه وَالْفَرَاغُ مِنْهُ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق"(3).

وعرفه صاحب كتاب **تاج العروس:** "القَضاءُ الفَصْلُ فِي الحُكْمِ؛ وَمِنْه قولُه تَعَالَى: **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾** [الشورى: 14]، أَي لفُصِلَ الحُكْم بَيْنهم، وَمِنْه: قَضَى القاضِي بينَ الخُصومِ، أَي قَطَعَ بَيْنَهم فِي الحُكم"(4).

---

(1) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (ج667/4) (ح2516)، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج99/5).

(3) ابن منظور، لسان العرب (ج186/15).

(4) الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ج310/39).

2- القدر لغةً: قال **ابن فارس:** "الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ، فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ. وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ، وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا"(1).

وقال **ابن الأثير:** "القَدَر: هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ وحَكَم بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَهُوَ مَصْدَرُ: قَدَرَ يَقْدِر قَدَراً، وَقَدْ تُسَكَّن دالُه، وَمِنْهُ ذِكْرُ «لَيْلَةِ القَدْر» وهي الليلة الَّتِي تُقَدَّر فِيهَا الْأَرْزَاقُ وتُقْضَى"(2).

من خلال التعريف اللغوي للقضاء والقدر، يتضح أن بينهما ترابط، فكلاهما يدل على تمام الشيء وانتهائه.

ثانياً: تعريف القضاء والقدر شرعاً:

اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر شرعاً على قولين:

القول الأول: أنهما لفظان مترادفان:

فعلى هذا القول فإن القضاء والقدر يكونان اسمين لمعنى واحد، وهو: ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد ووقوعه في وقته وكيفيته(3).

القول الثاني: أنهما لفظان متغايران:

وعلى هذا القول فإن لكل واحد منهما معنى يختلف عن الآخر، فالقدر بمعنى العلم، والقضاء بمعنى الإيجاد والخلق، وقد يكون القدر بمعنى الحكم بوقوع الجزئيات، والقضاء الحكم بالكليات، وقيل غير ذلك، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

1- القضاء شرعاً: "هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير"(4) وقال **ابن حجر:** "الْقَضَاءُ الْحُكْمُ بِالْكُلِّيَّاتِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ فِي الْأَزَلِ"(5).

---

(1) أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة (ج5/62).

(2) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج4/22).

(3) انظر: سعود بن عبد العزيز الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج2/114).

(4) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج2/188).

(5) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج11/149).

2- القدر شرعاً: "هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك"[1] وقال **ابن حجر:** "الْقَدَرُ الْحُكْمُ بِوُقُوعِ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي لِتِلْكَ الْكُلِّيَّاتِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ"[2].

فالقدر متعلق بعلمه والقضاء متعلق بربوبيته، **قال ابن حجر:** "وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ فَكُلُّ مُحْدَثٍ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ"[3].

ولكن من أهل العلم من جمع بين القولين فقال: "القضاء والقدر لفظان متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن افترقا، يعني: إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا بمعنى: إذا ذكر القضاء والقدر معاً، فالمعنى لكل مفردة منهما واحد، وإذا أُفرد اللفظان صار لكل مفردة منهما معنى يختلف عن معنى الآخر"[4].

يتضح مما سبق أن القدر سابق للقضاء، وأن القدر هو علم الله بالأشياء وتقديراتها والقضاء خلقها وإيجادها على صفات مخصوصة وفي أوقات معلومة، فالقدر بمثابة الخريطة التي يرسمها الإنسان لبناء بيت، والقضاء كالبناء الذي تم بناؤه وفق هذه الخريطة ولله المثل الأعلى، قال **السفاريني:** "فَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ لَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْأَسَاسِ، وَهُوَ الْقَدَرُ، وَالْآخِرُ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ، وَهُوَ الْقَضَاءُ، فَمَنْ رَامَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ رَامَ هَدْمَ الْبِنَاءِ وَنَقْضَهُ"[5]. وقد تباينت الآراء في بيان معنى القضاء والقدر، فمن رأي يقول: إنهما مترادفان، إلى رأي يقول: إنهما متغايران، ولكن الراجح أنهما مترادفان إذا تفرقا، ومتغايران إذا اجتمعا.

فالله تعالى بعلمه الأزلي يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون، فعلمه شامل لجميع الأشياء، فلا يقع في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته، وعلى وفق علمه، وكل ذلك مكتوبٌ عنده في الأزل قبل خلق السموات والأرض.

---

(1) نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص 243).

(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج149/11).

(3) المرجع السابق (ج118/1).

(4) الصَّلاَّبي، الإيمان بالقدر (ص 14).

(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ج358/1).

وعليه يمكن القول أن مفهوم القضاء والقدر" هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر بقضاء الله وقدره، وأنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ، وأنه خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها، بل هي واقعة بحسب قدرتهم، وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"(1).

وقيل: "هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً قبل إيجادها ثم أوجدها بقدرته، ومشيئته على وِفْقِ ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح المحفوظ قبل إحداثها"(2).

ثالثاً: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وقد ثبت بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، فمن **الكتاب** قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: 49]، وقوله تعالى ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾ [الأحزاب: 38]، وقوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان: 2]، وقوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد: 22].

وأما **السنة** فقد دلت كذلك على إثبات القضاء والقدر في أحاديث كثيرة منها، حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال النبي ﷺ: ﴿ ..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ..﴾(3) وروى مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ﴿ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (4).

---

(1) عمر العرباوي الحملاوي، التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد (ص 198).

(2) انظر: هرّاس، شرح العقيدة الواسطية (ص 65).

(3) رواه مسلم، وقد سبق تخرجه (ص128).

(4) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (ج4/2044) (ح16).

وأما **الإجماع** فإن الإيمان بالقضاء والقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ[1]، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»﴾ [2].

قال **النووي**: "وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وِالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"[3].

يتضح مما سبق، أن الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الثابتة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فلا يصلح إيمان العبد إلا إذا آمن أنه ما من خير ولا شر يصيبه إلا بتقدير الله، ووفق علمه ومشيئته، وأن ذلك كله في كتاب عنده، لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(1) "(**العجز**): عدم القدرة، و(**الكيس**): كمال العقل وشدة معرفة الأمور وتمييز ما فيه النفع عما فيه الضر، والعجز مُقابلُه". محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ (المشهور بابن المَلَك)، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي (ج96/1).

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ (ج2045/4) (ح18).

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج155/1).

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر في سورة الحديد بين السلف والمتكلمين

للإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب لا بد من الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر، قال **الإمام أحمد:** "إن القدر هو قدرة الله جل وعلا، فلا يستقيم إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر، وبمراتبه الأربع"(1)، وهذه المراتب هي: علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل وجودها، ومشيئته لها، وخلقه سبحانه لها فهو الخالق وما سواه مخلوق، علمَ، فكتبَ، فأرادَ، فخلقَ، ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجدت أنها تحتوي على المراتب الأربعة للقضاء والقدر، وهي على النحو التالي:

أولاً: مرتبة العلم:

مفهوم مرتبة العلم هو: " الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم وسكناتهم، وأسرارهم، وعلانيتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار"(2) "وهي الإيمان بعلم الله الأزلي بكل شيء قبل وجوده، ومن ذلك علمه بأعمال العباد قبل أن يعملوها"(3) "فالله تعالى يعلم ما كان في الأزل – أي: في الماضي– ويعلم ما يكون في الوقت الحاضر، ويعلم ما سيكون في المستقبل، ويعلم المستحيل –أي: يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون– قال الله تعالى عن الكفار لما طلبوا العودة إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:28]"(4).

وقد دل على مرتبة العلم في سورة الحديد ثلاث آيات وهي:

1- قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:3].

2- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

3- قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6].

---

(1) محمد حسن عبد الغفار، أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (د2/31).

(2) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص 78).

(3) صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص 297).

(4) عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، شرح كتاب السنة للبربهاري (د8/7)

الناظر للآيات الثلاثة السابقة يجد دلالتهن الواضحة على مرتبة العلم، التي تقتضي الإيمان بأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، لا يخفى عليه شيء، في الأرض ولا في السماء، فيعلم ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وما يدخل في الأرض، وما يخرج منها، بل ويعلم السرائر وإن خفيت وإن دقت[1].

أما موقف الزمخشري المعتزلي، فقد ظهر فيه الاضطراب، فتارة نجد الزمخشري يوافق السلف في اثبات صفة العلم لله تعالى، حيث إنه أثبت لله تعالى علم ما في الأرض من الخفايا، وعلم ما ينزل من السماء وما يعرج إليها، وعلم ما تضمره القلوب وإن لم تنطق به الألسن، وتارة يخالف السلف حيث يقول: إن الله تعالى عالم بذاته لا بعلم زائد على ذاته، وهذا قول أسلافه من المعتزلة[2].

وبشكل عام المعتزلة يخالفون السلف في مفهوم صفة العلم، ويقولون: إن علمه هو ذاته، فهم ينكرون أن الله يعلم بالشيء قبل حصوله، لذلك فهم لا يؤمنون بالقدر.

قال **القاضي عبد الجبار** في صفة العلم: " أنه تعالى لو كان عالماً بعلم لكان لا يخلو؛ إما أن يكون معلوماً، أو لا يكون معلوماً. فإن لم يكن معلوماً لم يجز إثباته، لأن إثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهات، وإن كان معلوماً فلا يخلو؛ إما أن يكون موجوداً، أو معدوماً. وإن كان موجوداً فلا يخلو؛ إما أن يكون قديماً، أو محدثاً، والأقسام كلها باطلة، فلم يبق إلا أن يكون عالماً لذاته على ما نقوله"[3].

وقال أيضاً: "إنما أوجبنا فيما هو علم أن يكون اعتقاداً وفي العالم بالعلم أن يكون معتقداً ساكن النفس، فأما العالم لذاته فلا يجب هذا الحكم فيه، فصار هذا الوصف –وهو قولنا في العالم أنه معتقد– مما يتبع المعنى الذي هو علم، فمن ليس بعالم بعلم لا يجب ذلك فيه" [4].

قال **ابن القيم:** مرتبة العلم هي محل اتفاق بين الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليها جميع الصحابة، ومن تبعهم من الأمة، وخالفهم القدرية مجوس هذه الأمة، الذين يقولون: لا قدر وأن الأمر أنف، بمعنى أنّه مُستَأْنَفَ، يقع ثم يُعْلَمْ[5] فقد أنكرت المعتزلة صفة العلم، وأنه تعالى لا يعلم بالأشياء حتى تقع وقد زعموا ذلك "هروباً من شبهة تعدد القدماء؛ فإنهم يعتقدون أن

---

(1) انظر: البحث "اسم العليم" (ص76).

(2) انظر: البحث "اسم العليم" (ص76).

(3) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص183).

(4) عبد الجبار بن أحمد، المجموع في المحيط بالتكليف (ص206).

(5) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص 29).

أخص وصف للإله أن يكون قديماً، والقديم لا يقبل التعدد عندهم، فإنهم يقولون: لو أثبتنا – مثلاً– للباري صفة العلم وأثبتنا له صفة الإرادة وأثبتنا له صفة الكلام فإنه يلزم في كل صفة من هذه الصفات أن تكون قديمة؛ لأن الإله قديم، ومادام يلزم أن تكون هذه الصفة قديمة فمعنى هذا: أنه لابد أن يكون لهذه الصفة سمع وبصر وعلم، فأصبحت إلهاً آخر، ولهذا أصبح عندنا آلهة متعددة"[1].

والصحيح ما عليه أهل السنه أنه سبحانه أنه سبحانه عالم بعلم زائد على ذاته، فالصفات غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها، مع أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور وجود ذاتٍ مجردة من الصفات، فالله تعالى عالم وعلمه سبحانه محيط بجميع الأشياء أزلاً، وعلمه سبحانه يشمل الكليات والجزئيات، فلا يخفى على الله خافية في الأرض ولا السماء، فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

أما موقف كلٍّ من **الرازي والقرطبي الأشعريين،** فقد وافقا قول السلف فأثبتا لله تعالى علم كل شيء، علمًا أزليًا قديمًا، محيطًا بكل صغرة وكبيرة، بكل سر وعلانية[2].

يتضح مما سبق أن مرتبة العلم بشكل عام لا مخالف فيها إلا القدرية ومن وافقهم من غلاة المعتزلة، وبذلك قام إجماع الرسل، والمسلمين، وجميع الأمم، على أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثانياً: مرتبة الكتابة:

مفهوم مرتبة الكتابة هو: "الإيمان بأن الله تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم"[3]، "فهو سبحانه وتعالى قد كتب ما علمه من أحوال المكلفين، ومن أحوال الأشياء التي خلقها سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق كتب ما علمه من شأن الخلق، ومن أحوالهم، ومن أوضاعهم جميعاً، إلى أن يصل أحدهم إما إلى الجنة، وذلك بسبب طاعته عن اختيار، وإما إلى النار، وذلك بسبب عصيانه عن اختيار"[4] وقد أجمع على هذه المرتبة الصحابة والتابعون وجميع السلف والحديث، قال **ابن القيم:** "أجمع الصحابة والتابعون وجميع السلف والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما

---

(1) عبد الرحيم السلمي، شرح العقيدة الطحاوية (د6/3).

(2) انظر: البحث "اسم العليم" (ص76).

(3) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص 78– 79).

(4) عبد الرحيم السلمي، شرح رسالة العبودية لابن تيمية (د4/18).

يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب"[1].

"وقد جعل سبحانه وتعالى كتابته للأشياء على خمس مراتب هي:

1- كِتَابَةُ الله ﷻ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ﴿ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[2].

2- كِتَابَةٌ لمقادير الخلق من حيث الشّقاوة والسعادة، ونعني بالخلق: خاصةَ المكلفين، قال رَسُولَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي "، قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: " عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ " ﴾ [3].

3- التقدير العمري، والعُمري هو الذي يكون والإنسان في بطن أمه فإنَّ النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملك، فأمره الله ﷻ بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد، قال رَسُولَ ﷺ: ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ... ﴾ [4].

هذه الكتابة العُمرية هي تفصيلٌ لما في اللوح المحفوظ؛ لأنَّ الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا مُتعلِقٌ بهذا المخلوق المعين وحده.

4- الكتابة السنوية أو الحولية وهي التي تكون في ليلة القدر قال الله تعالى: ﴿ **حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان:1-4]، وهذه تُكْتَبْ فيها المقادير في تلك السَّنَةْ، من السَّنَةْ إلى السَّنَةْ، فالله ﷻ يوحي إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص 41).

(2) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه (ص206).

(3) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ، حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ (ج206/29) (ح 17660)، قال شعيب الأرنؤوط وآخرون (صحيح لغيره).

(4) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ (ج111/4) (ح3208).

5- التقدير اليومي، واستدل له أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ . . كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:29]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل يوم يقضي ويحكم ويكتب ما يشاء، فكل حادث يحدث لك في كل لحظة أو في كل يوم فهو أيضاً بقدر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا شريك له في ذلك كله.

إنَّ المراتب الثلاث الأُوَلْ هذه لا تتغير ولا تتبدل، لكن الذي يَتَغَيَّرْ ويتبدل ويحدث فيه المَحْوُ والإثبات والزيادة، ويؤثر فيه الدعاء، وتؤثر فيه الأعمال الصالحة، هي الكتابة السنوية، والتقدير اليومي، وهذا المراد من قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:39]، إذا كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نفهم الأحاديث التي فيها تغيير الرزق وتغيير العمر، كقوله ﷺ ﴿ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ[1] ﴾"[2].

وقد دل على مرتبة الكتابة في سورة الحديد قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22، 23].

قال **الطبري**: يقول تعالى: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني: إلا في أمّ الكتاب، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الأنفس، وقوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أموالكم ولا في أنفسكم، إلا كتب ذلك في كتاب، من قبل أن نخلق نفوسكم، حتى لا تحزنوا، على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بالذي أعطاكم منها ربكم وخوَّلكم فيه[3].

وقال المفسر **السعدي**: "هذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا ييأسون ويحزنون على ما فاتهم،

---

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ (ج56/3) (ح2067).

(2) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (ص 253).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج195/23-197).

مما طمحت له أنفسهم وتشوقوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحون بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلون بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بل هي فتنة﴾"[1].

وقال المفسر **الزمخشري المعتزلي**: "المصيبة في الأرض: نحو الجدب وآفات الزروع والثمار، وفي الأنفس: نحو الأدواء والموت ﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يعني الأنفس أو المصائب ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إنّ تقدير ذلك وإثباته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وإن كان عسيراً على العباد، ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا﴾... ﴿وَلا تَفْرَحُوا﴾، يعني أنكم إذا علمتم أنّ كل شيء مقدر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي؛ لأنّ من علم أن ما عنده معقود لا محالة: لم يتفاقم جزعه عند فقده، لأنه وطن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نيله ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأنّ من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس"[2].

وبشكل عام أنكر المعتزلة مرتبة الكتابة[3]، "بل الغلاة منهم أنكروا العلم والكتاب، ويقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وجودها، ومعنى هذا: أنه لم يقدر الأشياء، ولم يكتب ما سيكون"[4] وإنكار المعتزلة لهذه المرتبة ناتج عن اعتقادهم الفاسد، بأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد وأنه لا يعلم بها إلا بعد وقوعها، فإن كان الأمر كذلك فكيف يكتب شيء لا يعلمه؟ بل إنهم يعتبرون أن إثبات الكتابة السابقة فيها إثبات لعقيدة الجبر، فإنهم فروا من الجبر فوقعوا في أشر منه وهو نسبة الجهل لله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فإن الكتابة السابقة

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 842).
(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج479/4 – 480).
(3) انظر: عبد الرحيم السلمي، شرح العقيدة الطحاوية (د7/3).
(4) عبد الرحمن البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) (ص 198).

ليس فيها جبرٌ، وإنما الكتابة التي كتبها الله ﷻ هي ما علمه سبحانه وتعالى، والله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، فعلمه سبحانه يشمل كل شيء، فالله تعالى يعلم أن هذا العبد سيفعل كذا في وقت كذا في مكان كذا، فكتب ما علمه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]، لذا قال كثير من أئمة السلف **كالشافعي وأحمد** وغيرهم: "ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا فقد كفروا، يريدون: أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن، فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا، لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه"[1] وبذلك فلا حجة للمعتزلة في إنكار كتابة الله تعالى لما هو كائن إلى يوم القيامة.

أما موقف الأشاعرة فلم يخالفوا في إثبات مرتبة الكتابة ويظهر ذلك واضحاً في تفسير **القرطبي** حيث قال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: الْقَحْطُ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ وَالثِّمَارِ، وَقِيلَ: الْجَوَائِحُ فِي الزَّرْعِ، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بِالْأَوْصَابِ وَالْأَسْقَامِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقِيلَ: إِقَامَةُ الْحُدُودِ، قَالَهُ ابْنُ حَيَّانَ، وَقِيلَ: ضِيقُ الْمَعَاشِ، وَهَذَا مَعْنًى رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الضَّمِيرُ فِي ﴿نَبْرَأَهَا﴾ عَائِدٌ عَلَى النُّفُوسِ أَوِ الْأَرْضِ أَوِ الْمَصَائِبِ أَوِ الْجَمِيعِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْمُصِيبَةَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ وَالنَّفْسَ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيْ خَلْقُ ذَلِكَ وَحِفْظُ جَمِيعِهِ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيِّنٌ... ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي كي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فإنه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي من

---

(1) مدحت بن حسن آل فراج، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (ص194).

الدنيا... ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي متكبر بما أوتى من الدنيا، فخور به على الناس"[1].

يتبين مما سبق أنه لا خلاف بين السلف، والمعتزلة -الزمخشري- والأشاعرة -القرطبي-، في إثبات مرتبة الكتابة، وأن الله تعالى قد كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة وذلك قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة.

ثالثاً: مرتبة الإرادة (المشيئة):

1- تعريف الإرادة لغةً وشرعاً:

أ- الإرادة لغةً:

"الارادة في اللغة هي المشيئة"[2] "والمَشِيئَة: مصدرُ شاءَ يَشاءُ مَشيئَةً"[3] وقد تأتي الإرادة بمعنى المحبة (فأَراد الشَّيْءَ) أي: أَحبه وعُنِيَ بِهِ، وقد تكون بمعنى غير المحبة، وَالِاسْمُ الرِّيدُ"[4]، قال **الراغب الأصفهاني:** وقد تأتي الإرادة بمعنى القصد، نحو: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]، أي: يقصدونه ويطلبونه، وقد تأتي الإرادة بمعنى الأمر، كقولك: أُرِيدَ منك كذا، أي: آمرك بكذا، نحو: ﴿. . .يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ. . .﴾ [البقرة: 185] [5].

وهناك من العلماء من فرق بين الإرادة والمشيئة فقال: " الارادة هي العزم على الفعل، أو الترك بعد تصور الغاية، المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك، وهي أخص من المشيئة، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الارادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنك ربما شئت شيئاً ولا تريده، لمانع عقلي أو شرعي، وأما الارادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة"[6] وعلى ذلك فالمشيئة تكون سابقة للإرادة، ففعل الشيء يحتاج أولاً إلى علم به، ثم عزم على القيام بالفعل وهذه هي المشيئة، ثم صدور الفعل ووقوعه وهذه

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج257/17- 258).
(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج478/2).
(3) ابن منظور، لسان العرب (ج419/14).
(4) انظر: المرجع السابق (ج188/3، 191).
(5) انظر: الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن (ص 371).
(6) الحسن بن عبد الله العسكري، معجم الفروق اللغوية (ص 35).

هي الإرادة، ولكن "الْحق أَنَّهُمَا إذا أضيفا إِلَيْهِ تَعَالَى يكونَانِ بِمَعْنى وَاحِد... وَالْفرق بَينهمَا فِي حق الْعباد، وَذَلِكَ فِيمَا لَو قَالَ: (شيئي طَلَاقك) فَشَاءَتْ يَقع؛ وَفِي: (أريدي) فَأَرَادَتْ لَا يَقع". [1]

ب- **الإرادة شرعاً:**

"هي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن؛ فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه، تعالى الله عن ذلك وعز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]"[2].

أو هي: " الإيمان بمشيئة الله تعالى وأنها عامة في كل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم من صغير وكبير، وظاهر وباطن في السموات والأرض إلا بمشيئة الله ﷻ سواء كان ذلك من فعله تعالى أم من فعل مخلوقاته"[3] "أي: أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك؛ فإنه مطابق لعلمه السابق المكتوب في اللوح المحفوظ، فمشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يخرج عن إرادته شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29] "[4].

قال **ابن حجر**: "فالله تعالى مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ قَدِيمَةٍ هِيَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ وَيَكُونُ تَعَلُّقُهَا بِمَا يَصِحُّ كَوْنُهُ مُرَادًا فَمَا وَقَعَ بِإِرَادَتِهِ قَالَ وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا مَا يَشَاءُ وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: 29] وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: 253] ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ اقْتِتَالَهُمُ الْوَاقِعَ مِنْهُمْ لِكَوْنِهِ مُرِيدًا لَهُ وَإِذَا كَانَ

---

(1) أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص 75).

(2) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص 79).

(3) العثيمين، تقريب التدمرية (ص96).

(4) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، (ص161-162).

هُوَ الْفَاعِلَ لِاقْتِتَالِهِمْ فَهُوَ الْمُرِيدُ لِمَشِيئَتِهِمْ وَالْفَاعِلُ فَثَبَتَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كَسْبَ الْعِبَادِ إنَّمَا هُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَلَوْ لَمْ يُرِدْ وُقُوعَهُ مَا وَقَعَ"(1).

يتضح مما سبق أن الإرادة صفة ثابتة لله تعالى بموجبها يفعل سبحانه ما يشاء، فما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يوجد في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته، ولا يكون في ملكة إلا ما يريد.

2- أقسام الإرادة:

يجب على المسلم إذا أراد فهم حقيقة إرادة الله تعالى، ومدى تأثيرها على إرادة العبد اختياره لأفعاله؛ أن يعرف أقسام الإرادة، " فالأشاعرة، قالوا: ليس هناك إلا إرادة واحدة، وهي إرادة كونية قدرية، وأنكروا الإرادة الدينية الشرعية، والمعتزلة أثبتوا الإرادة الدينية الشرعية، وأنكروا الإرادة الكونية القدرية، فكان كل من الأشاعرة والمعتزلة يثبتون نوعاً واحداً من الإرادتين، والسلف قسموا الإرادة إلى قسمين على حسب النصوص: إرادة كونية قدرية خلقية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية أمرية ترادف المحبة والرضا"(2)، وفيما يلي بيان لهذين القسمين:

أ- الإرادة الكونية القدرية الخلقية:

"الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: هِيَ مَشِيئَتُهُ لِمَا خَلَقَهُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ دَاخِلَةٌ فِي مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ"(3)، فهي مرادفة للمشيئة، وتتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه، وهذه الإرادة يلزم فيها وقوع المراد بمعنى: أن ما أراده الله فلا بد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف(4) "وهي الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ، كَقَوْلِ الْمُسْلِمِينَ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ"(5) فهي مشيئة الله الشَّامِلَةُ وَقُدْرَتُهُ النَّافِذَةُ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ خُرُوجٌ مِنْهَا وَلَا مَحِيدَ عَنْهَا، وَلَا مُلَازَمَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا، بَلْ يَدْخُلُ فِيهَا الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ وَالسَّيِّئَاتُ وَالطَّاعَاتُ، وَالْمَحْبُوبُ الْمَرْضِيُّ عنه، وَالْمَكْرُوهُ الْمُبْغَضُ، كُلُّ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ وَخَلْقِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مُخَالَفَتِهَا وَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وليس

---

(1) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج450/13).

(2) عبد العزيز الراجحي، شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث (د7/11).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج266/11).

(4) انظر: العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج222/1- 223).

(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (ج156/1).

للعبد اختيار فيها، ومن أمثلة الإرادة والمشيئة الكونية: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: 29]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40][1].

ب- الإرادة الدينية الشرعية الأمرية:

"الْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ: هِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ الْمُتَنَاوِلَةُ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَجَعَلَهُ شَرْعًا وَدِينًا"[2] "فهي مرادفة للمحبة، تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق، وهذه الإرادة لا يلزم فيها وقوع المراد، بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه، بخلاف الإرادة الكونية"[3].

فكون أن هذه الإرادة مرادفة للمحبة متضمنة لها فهذا يقتضي أن "كل ما أراده الله شرعاً وديناً فهو يحبه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وكل الأوامر التي في الكتاب العزيز والنواهي أرادها الله من عباده شرعاً، فأراد الله منهم الصلاة والصيام والإيمان وترك المعاصي والفسوق"[4] فهذه الإرادة "هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّاسِ لِمَنْ يَفْعَلُ الْقَبَائِحَ: هَذَا يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُهُ اللَّهُ، أَيْ لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ"[5].

والإرادة الشرعية يكون للعبد فيها اختيار يفعل أو لا يفعل، فيستشعر العبد أنه مريد وأنه مختار، وأنه قادر على الفعل وعلى الترك، وبذلك فهذه الإرادة هي مناط التكليف وعليها يترتب الثواب والعقاب، ومن أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب[6].

اجتماع الإرادة الكونية والشرعية وافتراقهما:

يقول العلماء: تجتمع هاتان الإرادتان في إيمان المؤمن؛ لأنَّ الله ﷻ أراد منه كوناً وقدراً أن يكون مطيعاً، وأراد منه ذلك شرعاً وديناً، فاجتمعت في حقه الإرادتان، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في كفر الكافر؛ لأنَّ الله ﷻ أراد منه الكفر كوناً وقدراً، ولم يرده منه شرعاً وديناً، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7]، وتنفرد الإرادة الشرعية الدينية في مثل إيمان الكافر الذي قضى الله أن يموت على الكفر؛ لأنَّ الله ﷻ أراد منه شرعاً وديناً أن يكون مؤمناً، لكنه لم

---

(1) انظر: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج230/1).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج266/11).

(3) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج223/1).

(4) عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص 153).

(5) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج17/3).

(6) انظر: الطبيب أحمد حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (د7/1).

يرده منه قدراً وكوناً؛ لأنَّه لو أراده منه قدراً وكوناً لكان، وترتفع الإرادتان في كفر المؤمن الذي قضى الله أن يبقى على الإيمان ويموت عليه، فلم يرد الله منه الكفر لا شرعاً وديناً، ولا كوناً وقدراً"[1].

يتضح مما سبق إنه ثمة فرق بين الإرادتين الكونية والدينية، فالإرادة الكونية أعم من الإرادة الدينية؛ لأنها تشمل المؤمن والكافر، بينما الإرادة الدينية لا تشمل إلا المؤمن، والإرادة الكونية تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه، بينما الإرادة الدينية لا تتعلق إلا بما يحبه الله تعالى، والإرادة الكونية حتمية الوقوع فلا اختيار للعبد فيها، بينما الإرادة الدينية قد تقع وقد لا تقع وفق إرادة واختيار العبد، والإرادة الكونية لا تتعلق بالأوامر والنواهي، لذا لا يترتب عليها ثواب المكلف ولا عقابه، بينما الإرادة الدينية هي مناط التكليف، وعليها يتم الثواب والعقاب للمكلف.

ومن خلال تتبع آيات سورة الحديد وجدت آيتين تدلان على مرتبة الإرادة وهما:

1- قوله تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: 21].

2- قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: 29].

الناظر للآيتين السابقتين يجد فيهما دلالة واضحة على مرتبة المشيئة، قال المفسر **الطبري** في تفسير الآية الأولى: "وقوله: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النِّعم، وعرّفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم"[2]، وقال في تفسير الآية الثانية: "وقوله: ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم، ودون غيرهم من الخلق،

(1) عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص 153).
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج195/23).

﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: يعطي فضله ذلك من يشاء من خلقه، ليس ذلك إلى أحد سواه، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو الفضل على خلقه، العظيم فضله"(1).

لم يبين **ابن كثير** المراد من المشيئة عند تفسير آيتي سورة الحديد، ولكن بينها عند تفسير، قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30]، حيث قال: "قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهدي نَفْسَهُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَان وَلَا يُجْرِي لِنَفْسِهِ نَفْعًا، ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أَيْ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَيُيَسّرها لَهُ، وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾"(2).

وقال المفسر **السعدي** مبيناً معنى المشيئة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56]، حيث قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ "فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلاً وجعل ذلك تابعاً لمشيئته"(3). وقال **السعدي**: "أنه سبحانه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله، بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي"(4).

أما المفسر **الزمخشري المعتزلي**، فلم يبين المراد من المشيئة عند تفسير آيتي سورة الحديد، ولكن بينها عند تفسير سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج215/23).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج295/8).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 898).

(4) المرجع السابق (ص 866).

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:89]، حيث قال: "فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ والله تعالى متعال أن يشاء ردّة المؤمنين وعودهم في الكفر؟ قلت: معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف، لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثاً، والعبث قبيح لا يفعله الحكيم، والدليل عليه قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحوّل، وقلوبهم كيف تتقلب، وكيف تقسو بعد الرقة، وتمرض بعد الصحة، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان، ويجوز أن يكون قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حسماً لطمعهم في العود؛ لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة"[1] وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28]، "لأنّ فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف، فكيف يأمر بفعله ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط"[2] وقال عن غي إبليس: "ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به"[3] وقال في قوله تعالى: ﴿...وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر:31] "يعنى أن تدميرهم كان عدلاً وقسطاً، لأنهم استوجبوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله تعالى ﴿...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46] حيث جعل المنفي إرادة الظلم، لأنّ من كان عن إرادة الظلم بعيداً، كان عن الظلم أبعد، وحيث نكر الظلم، كأنه نفى أن يريد ظلماً مّا لعباده، ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7] أي لا يريد لهم أن يظلموا"[4].

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج130/2).

(2) المرجع السابق (ج99/2).

(3) المرجع السابق (ج578/2).

(4) المرجع السابق (ج165/4).

فالزمخشري يبين لنا بوضوح مذهب المعتزلة، وهو أنه تعالى لا يريد الشر، فهو سبحانه متعال على أن يريد ردة أحد أو كفره أو إغوائه أو ظلمه؛ لأن ذلك كله قبيح، وفعل القبيح وإرادته محال الله تعالى، يتنافى مع حكمته وعدله.

فالمعتزلة في ذلك خالفوا إجماع المسلمين، قال **ابن القيم:** "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وأن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم.."(1) فالمعتزلة ممن خالف إجماع المسلمين في هذه المرتبة، حيث إنهم أنكروا الإرادة الكونية وأثبتوا الإرادة الدينية الأمرية، "وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ يَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ وَيَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ، فَإِنَّ الْمَشِيئَةَ عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى الْأَمْرِ"(2) وقالوا: إن كل ما أراده الله أمر به وكل ما أمر به فهو يحبه ويرضاه، لذلك أنكروا أن يكون ما يقع من العبد من المعاصي والقبائح أنها واقعة بإرادة الله، واستدلوا على ذلك بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7]، قالوا فلا يمكن أنه يريد الكفر وهو في نفس الوقت يكرهه، يقول **القاضي عبد الجبار المعتزلي:** "أنه تعالى لا يريد القبائح ولا المعاصي ولا يشاؤها بل يكرهها ويسخطها ويزجر عنها ويتوعد فاعلها بالعقاب وفي المقابل يريد سبحانه الطاعات ويرغب فيها، ووعد فاعليها بالثواب، قال تعالى: ﴿. .وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31]، فالظلم نكرة والنكرة في النفي تعم أي أنه تعالى لا يريد شيئاً مما وقع عليه اسم الظلم، سواء من جهته أو جهة غيره، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فاللام لام الغرض والإرادة فكأنه قال: ما خلقتهم وأردت منهم إلا العبادة، فلو أراد سبحانه المعاصي والقبائح لوجب أن يكون العصاة مطيعين لله تعالى بمعاصيهم، لأنهم فعلوا ما أراده الله تعالى، ولو كان سبحانه مريداً للقبيح لوجب أن يكون فاعلاً له، والله تعالى منزه عن فعل القبيح، ولو كان الله تعالى مريداً للمعاصي لوجب أن يكون حاصلاً على صفة من صفات النقص وذلك لا

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص 43).

(2) ابن الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص 232).

يجوز في حق الله تعالى، ولا يجوز سبحانه أن يكون مريداً للمعاصي لأنه نهى عنها فكيف يكون مريداً لشيء نهى عنه، ولو كان سبحانه مريداً للمعاصي، لوجب أن يكون مختاراً لها لأن الاختيار والإرادة واحد، ولو كان سبحانه مريداً للمعاصي لوجب أن يكون محباً لها راضياً بها، لأن المحبة والرضا والإرادة من باب واحد"(1).

فالمعتزلة أعملوا عقولهم في ذلك وأرادوا أن ينزهوا الرب سبحانه عن المفاسد والمعائب إلا أنهم وقعوا في أشد من ذلك، فقولهم يقتضي سلب القدرة والمشيئة عن الرب سبحانه وتعالى، والطعن في ربوبيته وسيادته على خلقه، فعدم إرادة المعاصي والقبائح من الله تعالى يعني أنه يقع في ملكه ما لا يشاؤه، وأن الإنسان قد يشاء ما لا يشاؤه الله، فجعلوا الإنسان كأنه خالق من دون الله، مع أن الإنسان قد يشاء ما لا يكون، وقد يكون ما لا يشاء، أمَّا الخالق فإنه لا يقع في ملكه إلا ما يشاؤه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا لعدم قدرته عليه بل؛ لأنه لم يشأهُ، فالله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فما شاء أن يفعله فعله، قال تعالى: ﴿ . . وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: 44]، قال **الباقلاني**: "ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى، وأنه لا يتصور أن يوجد في الدنيا والآخرة شيء لم يرده الله تعالى، من نفع، وضر، ورزق، وأجل، وطاعة ومعصية، إلى غير ذلك من سائر الموجودات... ثم قال: فإن الأمة قد أجمعت على القول بإطلاق هذه الكلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأيضاً فإنه لو أراد شيئاً وأراد غيره شيئاً فوجد مراد غيره دون مراده كان ذلك دليل العجز والغلبة والله يتعالى عن ذلك"(2).

أما الرازي الأشعري، فلم يبين المراد من المشيئة عند تفسير آيتي سورة الحديد، ولكن بينها عند تفسير سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 23، 24]، حيث قال: "اعلم أن مذهب المعتزلة أن الله تعالى يريد الإيمان والطاعة من العبد، والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه، فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الله، فتكون إرادة العبد غالبة وإرادة الله تعالى مغلوبة، وأما عندنا فكل ما أراد الله تعالى فهو واقع فهو تعالى يريد الكفر من الكافر، ويريد الإيمان من المؤمن، وعلى هذا التقرير فإرادة الله تعالى غالبة، وإرادة العبد مغلوبة، إذا عرفت

(1) انظر: عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص 459-464).

(2) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص41- 42).

هذا فنقول إذا قال العبد لأفعلن كذا غداً إلا أن يشاء الله والله إنما يدفع عنه الكذب إذا كانت إرادة الله غالبة على إرادة العبد فإن على هذا القول يكون التقدير أن العبد قال أنا أفعل الفعل الفلاني إلا إذا كانت إرادة الله بخلافه فأنا على هذا التقدير لا أفعل؛ لأن إرادة الله غالبة على إرادتي فعند قيام المانع الغالب لا أقوى على الفعل"[1] وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26]، "ويمكن أن يقال ويرضى لتبيين أن قوله يشاء ليس المراد المشيئة التي هي الرضا، فإن الله تعالى إذا شاء الضلالة بعبد لم يرض به، وإذا شاء الهداية رضي"[2] وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7]، حيث قال **الرازي:** " فيها قولان **الأول:** ولا يرضى للمؤمنين الكفر، **الثاني:** إنا نقول الكفر بإرادة الله تعالى ولا نقول إنه برضا الله؛ لأن الرضا عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله"[3] ويؤيد ذلك **القرطبي** حيث قال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:7]، "أي إن يكفروا أي لا يحب ذلك منهم، وقال ابن عباس والسدي: معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر... وهذا على قول من لا يفرق بين الرضا والإرادة، وقيل: لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله ﷻ خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا "[4]

فظاهر كلام كل من **الرازي، والقرطبي** أنهما يوافقا السلف في اثبات مرتبة الإرادة، حيث يقولا: إنه تعالى يريد الشر، فهو سبحانه يريد كفر الكافر، ومعصية العاصي، كما يريد إيمان المؤمن، وطاعة المطيع، ولكنه سبحانه يريد الكفر والمعصية –كوناً– ولا يرضاهما –شرعاً–؛ لأن الكفر والمعصية شيء قبيح، والرضا بهما يقتضي مدحهما والثناء عليهما، ومحال على الله تعالى أن يمدح القبيح ويثني عليه.

وأما الأشاعرة بشكل عام فإنهم أنكروا الإرادة الدينية الشرعية، وأثبتوا الإرادة الكونية، وجعلوها مرادفة للمحبة والرضا، قال **إمام الحرمين الجويني:** " كل حادث مراد لله تعالى حدوثه، ولا يختص تعلق مشيئة الباري بصنف من الحوادث دون صنف؛ بل هو تعالى مريد لوقوع جميع

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج450/21– 451).

(2) المرجع السابق (ج257/28).

(3) المرجع السابق (ج425/26 –426)

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج236/15).

الحوادث، خيرها وشرها نفعها وضرها"[1] فكل الحوادث لا تخرج عن إرادته ﷻ، هذا كلام صحيح؛ ولكن هل كل مراد لله يحبه ويرضاه؟ فإن أراد سبحانه الكفر والمعاصي هل يحبهما ويرضاهما؟ لقد اختلف أئمة الأشاعرة في ذلك كما بين **الإمام الجويني** حيث قال: "ومن حقق من أئمتنا، أضاف تعلق الإرادة إلى كل حادث معممًا ومخصصاً، مجملاً ومفصلاً، ثم قال: واختلف أهل الحق في هل المراد بالإرادة المحبة والرضا أم لا ؟ ثم قال: ومن حقق من أئمتنا قال: المحبة بمعنى الإرادة وكذلك الرضا، فالرب سبحانه يحب الكفر، ويرضاه كفراً معاقباً عليه"[2] وأيد ذلك **الباقلاني** حيث قال: "واعلم أنه لا فرق بين الإرادة والمشيئة والاختيار والرضى والمحبة.."[3].

فالأشاعرة أثبتوا إرادة واحدة، وهي الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة، وجعلوها بمعنى المحبة والرضا، فكل مراد عندهم محبوب، وعلى ذلك فالله تعالى يحب الكفر ويرضاه ما دام أنه يريده، فالأشاعرة خلطوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالله تعالى يريد ما يحبه فيكون، ويريد ما يكرهه فيكون، فليس كل مراد لله محبوبًا، فالله تعالى يريد كفر الكافر كونًا وهو يكرهه، مع محبته سبحانه لإيمان جميع الناس، ولم يعذر سبحانه الكافر على كفره؛ لأنه أقام عليه الحجة بإرسال الرسل، فعلم سبحانه أزلاً أنه لا يرضى بغير الكفر فشاءه له؛ لأنه يناسبه، مع كرهه سبحانه للكفر، فمراد الله تعالى منه ما يحبه الله تعالى ويرضاه، ومنه ما يكرهه الله تعالى ويبغضه.

يتضح مما سبق مخالفة كلٍّ من المعتزلة والأشاعرة للسلف في مرتبة الإرادة، فالمعتزلة نفوا الإرادة الكونية وأثبتوا الإرادة الدينية، والأشاعرة أثبتوا الإرادة الكونية ونفوا الإرادة الدينية، أما السلف فهم وسط بين هاتين الطائفتين، حيث أثبتوا ما أثبته الطائفتان فآمنوا بالإرادتين جميعاً، فهم يقولون: إن الله ﷻ خلق الخلق، وقدر الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولا يمكن لأحد أن يعمل عملاً لم يرده الله ﷻ إرادة كونية، فلا يقع في ملكه إلا ما أراده، وفي نفس الوقت يقولون: إن الله يأمر بأوامر، وهذه الأوامر التي أمر بها، للعبد فيها إرادة واختيار، فإن أراد فعلها فعلها، وإن أراد تركها تركها، وبذلك جمعوا بين الإرادتين فكانوا هم أهل الحق وأسعد الناس به.

---

(1) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص 237).

(2) انظر: المرجع السابق (ص 238– 239).

(3) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص43).

رابعاً: مرتبة الخلق:

مفهوم مرتبة الخلق هو: " الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَكُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَحَرَكَتِهِ، وَكُلِّ سَاكِنٍ وَسُكُونِهِ، وَمَا مِنْ ذرة في السموات وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَالِقُهَا وَخَالِقُ حَرَكَتِهَا وَسُكُونِهَا، سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ"(1).

وقد دل على مرتبة الخلق في سورة الحديد، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]، هذه الآية تتحدث عن نوع من الخلق لا منازع فيه وهو خلق السموات والأرض، فالله تعالى يخبر بأنه قد خلق العالم بسمواته وأراضيه وما بينهما في سته أيام، فهو سبحانه المنفرد بقدرة الإيجاد.(2) أما النزاع الموجود في مرتبة الخلق، فهو في خلق أفعال العباد، فعند السلف الخالق لأفعال العباد هو الله، وعند المعتزلة الخالق لأفعال العبد هو العبد نفسه، أما الأشاعرة فقالوا: إن أفعال العباد خلق لله تعالى، وكسب للعبد، وبيان ذلك بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أما موقف السلف من أفعال العباد يبينه المفسر **ابن كثير** في تفسيره، حيث قال عند تفسير: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، "يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى "الَّذِي" تَقْدِيرُهُ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ. وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ متلازم، والأول أظهر؛ لما رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "أَفْعَالِ الْعِبَادِ"، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ﴾ وَتَلَا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّنَاعَاتِ وَأَهْلَهَا مَخْلُوقَةٌ(3)"(4).

أما موقف المعتزلة من أفعال العباد، يبينه المفسر **الزمخشري** في تفسيره، حيث قال عند تفسير: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا

(1) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج940/3).
(2) انظر: البحث "مظاهر الربوبية (الخلق)" (ص39).
(3) الإمام البخاري، خلق أفعال العباد، (ص46)، صححه الشيخ الألباني في الصحيحة، (ح1637).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج26/7).

﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35]، "هذا من جملة ما عدّد من أصناف كفرهم وعنادهم، من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله، استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعنى: أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله، من البحيرة والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه – يعنى أهل السنة– كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أي أشركوا وحرموا حلال الله، فلما نبهوا على قبح فعلهم ورّكوه على ربهم –أي اتهموه به– فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلا أن يبلغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعون على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد، وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له، وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه"[1].

فالزمخشري يقرر بقوله مذهب المعتزلة، وهو أن الخالق لأفعال العباد هم العباد أنفسهم وليس الله تعالى.

فالمعتزلة في خلق أفعال العباد خالفت الرسل، وما نزلت به الكتب، وما أقرته العقول، وانسجمت معه الفطر، قال **ابن القيم** رحمه الله تعالى: "خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار، وخالف في ذلك مجوس الأمة، فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلوهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته، ولا تدخل تحت قدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالًا ولا يضل مهتديًا، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلمًا، والكافر كافرًا، والمصلي مصليًا، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك لا يجعله تعالى"[2]، قال **ابن تيمية:** وَالْقَدَرِيَّةُ عِنْدَهُمْ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ لَا تَدْخُلُ فِي خَلْقِهِ وَلَا فِي قُدْرَتِهِ وَلَا فِي مَشِيئَتِهِ "[3] وحجة القدرية في ذلك أنه لو قلنا بخلق الله تعالى لأفعال العباد لكان عقابه لهم عليها ظلماً، "قَالَ الْقَدَرِيَّةُ: فَلَوْ كَانَ سُبْحَانَهُ خَالِقًا لِأَفْعَالِ الْعَبِيدِ مُرِيدًا لَهَا قَدْ شَاءَهَا وَقَدَّرَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ عَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا كَانَ ظَالِمًا... فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ لَا خَيْرَهَا وَلَا شَرَّهَا، بَلْ هُمْ أَحْدَثُوا أَعْمَالَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَلِذَلِكَ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا، فَإِذَا عَاقَبَهُمْ لَمْ

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج604/2).
(2) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص49).
(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج55/8).

يَكُنْ ظَالِمًا لَهُمْ"[1] وقد بين هذا المعنى **الرازي** فيما نقله عن المعتزلة حيث قال: "قالت المعتزلة: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] يدل على أنه لا يريد أن يظلم بعض العباد بعضاً، ويدل على أنه لا يريد ظلم أحد من العباد، فلو خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك الكفر لكان ظالماً، وإذا ثبت أنه لا يريد الظلم البتة ثبت أنه غير خالق لأفعال العباد، لأنه لو خلقها لأرادها"[2] ويؤيد ذلك **إمام الحرمين الجويني** فيما نقله أيضاً عن المعتزلة حيث قال: " قال المعتزلة العبد مثاب على فعله معاقب ملوم محمود، وكل ذلك دال على أن فعله واقع منه، إذ لا يحسن توبيخه والثناء عليه بما لا يقع منه كألوانه وأجسامه"[3] **فالمعتزلة** قالوا: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الخالقون لأفعالهم، قال **القاضي عبد الجبار المعتزلي:** " إن أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله تعالى ومن عنده ومن قبله، وذلك واضح، فإن أفعالهم حدثت من جهتهم وحصلت بدواعيهم وقصودهم، واستحقوا عليها المدح والذم والثواب والعقاب، فلو كانت من جهته تعالى أو من عنده أو من قبله لما جاز ذلك، فإذًا لا يجوز إضافتها إلى الله تعالى إلا على ضرب من التوسع والمجاز.."[4] وقال أيضاً: "لو كانت أفعال العباد كلها بقضاء الله تعالى وقدره للزم الرضا بها أجمع، وفيها الكفر والإلحاد، والرضى بالكفر كفر "[5].

فالمعتزلة نفت قدرة الله تعالى على خلق أفعال العباد، فالإنسان عندهم هو الخالق لأفعاله، فهو الذي يترك ويفعل، وهو الذي يضل نفسه ويهديها، فهم بذلك أرادوا أن يفروا من الجبر فوقعوا فيما هو أشر منه، فجعلوا الإنسان خالقاً من دون الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء، ويشاء ما لم يشأ الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فالله تعالى لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن مشيئته شيء، خلق الكون وما فيه، فهو سبحانه الخالق للعامل وعمله، وأعطى سبحانه كل عامل القدرة على الاختيار، فكان عقابه لمن استحق العقاب عدلاً لا ظلم فيه، "قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ: الظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ حَكَمٌ عَدْلٌ، لَا يَضَعُ الشَّيْءَ إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ وَيَقْتَضِيهِ الْعَدْلُ وَالْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ...لَا

(1) ابن الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص 231-232).
(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج27/511).
(3) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص208).
(4) عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة (ص 778-779).
(5) المرجع السابق (ص771).

يُعَاقِبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ"(1) فنفي قدرة الرب سبحانه على خلق أفعال العباد، وإثبات ذلك للعبد، فيه طعن في ربوبية الرب سبحانه وتعالى، قال **الإمام الجويني** في رده على المعتزلة: إن المسلمين مجمعون على أن الرب تعالى مالك كل مخلوق، ورب كل محدث، ومن المستحيل أن يكون الرب مالكاً ما لا يقدر عليه وإله ما لا يعد من مقدوراته، ولا بد لكل مخلوق من رب ومالك، فإذا كان العبد خالقاً لأفعاله لزم أن يكون ربها وإلهها، من حيث استبد بالاقتدار عليها، وهذه كبيرة في الدين، لا يبوء بها موفق، ولو اتصف العبد بخلق أفعاله لكان أولى بإصلاح نفسه وإرشادها وإنقاذها من الغي والمعاطب من ربه، ومن زعم أن العبد أصلح لنفسه من ربه، فقد راغم اجماع المسلمين وفارق الدين(2).

أما موقف الأشاعرة من أفعال العباد، يبينه كلٌّ من **الرازي**، **والقرطبي**، في تفسيرهما، حيث قال **الرازي**: "احتج الأصحاب على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى بقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250] وذلك؛ لأنه لا معنى للصبر إلا القصد على الثبات، ولا معنى للثبات إلا السكون والاستقرار، وهذه الآية دالة على أن ذلك القصد المسمى بالصبر من الله تعالى، وهو قوله: أفرغ علينا صبراً، وعلى أن الثبات والسكون الحاصل عند ذلك القصد أيضاً بفعل الله تعالى، وهو قوله: وثبت أقدامنا وهذا صريح في أن الإرادة من فعل العبد وبخلق الله تعالى"(3)، ويؤكد على هذا المعنى **الإمام الجويني** بقوله: "إن الأمة مجمعة على الابتهال إلى الله تعالى، وابداء الرغبة إليه في أن يرزقهم الإيمان، ويجنبهم الكفر والفسوق والعصيان، ولو كانت المعارف غير مقدورة للباري تعالى، لكانت هذه الدعوة الشائعة والرغبة الذائعة، متعلقة بسؤال ما لا يقدر الباري عليه"(4) وقال **الرازي** عند تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. . . ﴾ [البقرة: 255]، "واعلم أن الأصحاب قد احتجوا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، قالوا: لأن قوله له ما في السموات وما في الأرض يتناول كل ما في السموات والأرض، وأفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض، فوجب أن تكون منتسبة إلى الله تعالى انتساب الملك

(1) ابن الموصلي، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص 232).
(2) انظر: الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص 196-197).
(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج515/6).
(4) الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، (ص 195).

والخلق، وكما أن اللفظ يدل على هذا المعنى فالعقل يؤكده"[1] وقال أيضاً: "احتج جمهور الأصحاب بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى فقال النحويون: اتفقوا على أن لفظ (ما) مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله: وما تعملون معناه وعملكم، وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم"[2] وأيد ذلك **القرطبي** حيث قال: وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، "(ما) في موضع نصب أي وخلق ما تعملونه من الأصنام، يعني الخشب والحجارة وغيرهما... وقيل: إن (ما) استفهام ومعناه التحقير لعملهم. وقيل: هي نفي، والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه، **والأحسن** أن تكون (ما) مع الفعل مصدراً، والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله ﷻ، واكتساب للعباد، وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية"[3].

فالأشاعرة قالوا إن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، وإن للعبد قدرة إلا أن هذه القدرة غير مؤثرة في الفعل فالفعل ينسب للعبد مجازاً لا حقيقة، "فأفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، وهي كسب للعباد، وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل، وهذا قول جمهور الأشاعرة وهو القول الذي شنع بسببه المعتزلة على الأشاعرة؛ لأنهم لما لم يثبتوا للعبد قدرة مؤثرة لم يكونوا بعيدين عن قول الجبرية (الجهمية)[4]"[5] قال **ابن تيمية**: "وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّبِعُونَ لِجَهْمِ يَقُولُونَ: إنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ حَقِيقَةً؛ وَإِنَّمَا هُوَ كَاسِبٌ حَقِيقَةً وَيُثْبِتُونَ مَعَ الْكَسْبِ قُدْرَةً لَا تَأْثِيرَ لَهَا فِي الْكَسْبِ بَلْ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ سَوَاءٌ وَلَكِنْ قُرِنَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ فِيهِ"[6].

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج11/7).

(2) المرجع السابق (ج343/26).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج96/15).

(4)"الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة (الجهمية): هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة (الأشاعرة): هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً". الشهرستاني، الملل والنحل (ج85/1).

(5) عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ج1338/3).

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج467/8).

قال **الإمام البيجوري**(1) من الأشاعرة: "ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب، فليس مجبوراً كما تقول الجبرية، وليس خالقاً لها كما تقول المعتزلة... وقد عرفوا الكسب بتعريفين: **الأول:** أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به، **والثاني:** أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته"(2)، ويضرب بعضهم للكسب مثلاً "في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً، كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى"(3) قال **إمام الحرمين الجويني:** فالقدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلاً وليس من شرط تعلق الصفة أن تؤثر في متعلقها؛ إذ العلم معقول تعلقه بالمعلوم مع أنه لا يؤثر فيه، وكذلك الإرادة المتعلقة بفعل العبد لا تؤثر في متعلقها، فإن فرضنا للقدرة الحادثة أثراً وحكمنا بثبوته للعبد، فقد خرمنا اعتقاد وجوب كون الرب قادراً على كل شيء مقدور(4) وقد قال الأشاعرة بالكسب هروباً من الجبر قال **الباقلاني:** "ويجب أن يعلم أن العبد له كسب وليس مجبوراً، بل مكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية؛ لأنه تعالى قال: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾ [البقرة: 134] يعني من ثواب طاعة ﴿**وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: 286] يعني من عقاب معصية...ويدل على صحة هذا أيضاً: أن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً وسائر بدنه عند وقوع الحمى به، أو الارتعاش، وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً إلى ذلك باختياره، فأفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى، فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق، وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب، كذلك لا يقال للعبد إنها خالق"(5).

---

(1) **هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري**، وقيل البيجوري، الشافعي، شيخ الجامع الازهر، ولد في الباجور، احدى قرى مديرية المنوفية بمصر، وقدم الازهر فتعلم فيه، من تصانيفه: تحفة البشر على مولد ابن حجر، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ولد سنة 1198هـ، وتوفي سنة 1277هـ. انظر: كحالة، معجم المؤلفين (ج84/1).

(2) البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص175- 176).

(3) البغدادي، أصول الدين (ص133-134).

(4) انظر: الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص209-210).

(5) الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص43-44).

فالأشاعرة قالوا: إن أفعال العباد خلق لله، وكسب للعباد، فهم بذلك وافقوا السلف في جعل أفعال العباد خلق لله تعالى، وخالفوهم في جعلها كسب للعباد؛ لأن الكسب عندهم قدرة غير مؤثرة في وقوع الفعل ولكنها مصاحبة له، فالفعل عندهم ينسب للعبد مجازًا لا حقيقة، وبهذا أراد الأشاعرة الهروب من وحل الجبرية فسقطوا فيه، فالجبرية عندهم أنه ليس للعبد قدرة البتة فهو كالريشة في مهب الريح، والأشاعرة يقولون: ليس للعبد قدرة مؤثرة، والقدرة غير المؤثرة كعدمها، قال **ابن تيمية**: فَإِنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ وَبَعْضَ الْمُثْبِتِينَ لِلْقَدَرِ وَافَقُوا الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ فِي أَصْلِ قَوْلِهِ فِي الْجَبْرِ، وَإِنْ نَازَعُوهُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ نِزَاعًا لَفْظِيًّا أَتَوْا بِمَا لَا يُعْقَلُ... بَالَغُوا فِي مُخَالَفَةِ الْمُعْتَزِلَةِ فِي مَسَائِلِ الْقَدَرِ حَتَّى نُسِبُوا إِلَى الْجَبْرِ". [1] والحق الذي لا مرية فيه هو ما ذهب إليه السلف من أن الله خالق أفعال العباد كلها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96]، والعباد فاعلون لها حقيقة، ولهم قدرة مؤثرة على أعمالهم ولهم إرادة، ولكنها خاضعة لإرادة الله الكونية فلا تخرج عنها.

من خلال العرض السابق لمراتب القدر الأربعة يتضح أن بينها علاقة وثيقة، ولا يمكن الفصل بينها، فالله تعالى خلق الخلق ويعلم ما هو كائن منهم قبل أن يكون، وكتب ذلك سبحانه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فإنه لا يقع في هذا الكون شيء إلا بمشيئته وإرادته الكونية، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا لعدم قدرته عليه بل لعدم مشيئته له، وأن هذه المشيئة لا تتعارض مع مشيئة العبد وإرادته، فالله سبحانه خلق العباد وأفعالهم وأعطاهم الإرادة والقدرة على الفعل، فجعل سبحانه العبد سبباً من الأسباب التي تنقل الفعل من العدم إلى الوجود، وهذا لا يكون إلا بمشيئة الله فإن شاء الله أجرى تأثير السبب في الفعل، وإن شاء أبطل تأثير السبب على الفعل، فالله تعالى جعل النار سبباً في فعل الاحراق، ولكنه سبحانه أبطل تأثير هذا السبب عندما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار؛ لأنه سبحانه لم يرد لهذه النار أن تحرق إبراهيم، حيث قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: 69]، فلا يقع في الوجود شيء إلا بإرادة الله تعالى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لكن المتكلمين خالفوا السلف في هذه المراتب، فالمعتزلة بشكل عام خالفوا السلف في المراتب الأربعة، والأشاعرة بشكل عام خالفوا السلف في مرتبتي الإرادة والخلق.

أما المعتزلة فقالوا إن علم الله هو ذاته، فهم ينكرون أن الله يعلم بالشيء قبل حصوله، لذلك أنكروا خلقه سبحانه لأفعال العباد، وأنه لا يعلم بها إلا بعد وقوعها، فإن كان الأمر كذلك

---

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج463/1-464).

فكيف يكتب شيء لا يعلمه؟ بل إنهم يعتبرون أن إثبات الكتابة السابقة فيها إثبات لعقيدة الجبر، أما مرتبة الإرادة فقد خالف فيها كل من المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة نفوا الإرادة الكونية وأثبتوا الإرادة الدينية، والأشاعرة أثبتوا الإرادة الكونية ونفوا الإرادة الدينية، وقد خالف كل من المعتزلة والأشاعرة في مرتبة الخلق –خلق أفعال العباد– فالمعتزلة نفت قدرة الله تعالى على خلق أفعال العباد، فالإنسان عندهم هو الخالق لأفعاله، فهو الذي يترك ويفعل، وهو الذي يضل نفسه ويهديها، أما الأشاعرة فقالوا: إن أفعال العباد خلق لله، وكسب للعباد، والكسب عندهم قدرة غير مؤثرة في وقوع الفعل، ولكنها مصاحبة له، فالفعل عندهم ينسب للعبد مجازًا لا حقيقة.

المطلب الثالث: ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

بين الباحث فيما سبق أن الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهو من أخطر مسائل الاعتقاد التي دار فيها النزاع بين الناس قديماً وحديثاً، وذلك لأنها تتعلق بحياة الناس اليومية، ومن تأمل في هذه العقيدة وجد لها ثماراً كبيرة طيبة، كانت ولازالت سبباً في صلاح الأفراد والأمم، وسيذكر الباحث في هذا المطلب بعضاً من ثمار الإيمان بعقيدة القضاء والقدر:

1- **راحة النفس وطمأنينتها:** فإن علم الإنسان أن كل شيء مقدر ومكتوب عند الله، عاش مرتاح البال مطمئن النفس؛ لأنه يعلم حينها بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه أو يضروه بشيء لم ينفعوه ولم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله له أو عليه، وهذا مصداق قول النبي ﷺ لابن عباس ﷺ ﴿... وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ﴾(1).

2- **عدم الحزن على ما فات:** "الإيمان بالقضاء والقدر يسلِّي النفس ويعزيها في كل فائت، ويطمئنها ويورثها الإقدام في كل مأمول، قال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22، 23] "(2).

3- "**المؤمن بالقدر دائماً على حذر:** المؤمنون بالقدر دائماً على حذر، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99]، فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائماً أن يأتيه ما يضله كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات، كما يبقى قلب العبد معلقاً بخالقه، يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق، كما يسأله الرشد والسداد"(3).

---

(1) رواه الترمذي، وقد سبق تخريجه (ص203).

(2) محمود محمد غريب، منهج القرآن في القضاء والقدر (ص 5).

(3) الأشقر، القضاء والقدر (ص 111).

4- مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت: إذا آمن العبد بأنَّ الآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة، فقد كان الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير خائفين ولا وجلين، لأنهم يعلمون أن الآجال مقدرة فلا مناص من الموت إن جاء وقته، قال تعالى: ﴿ . . . قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران:154] (1).

5- الرضا والقناعة بما قسم الله: فإذا علم المؤمن أن رزقه قد كتب له وهو في بطن أمه، حينها يقنع ويرضى بما قسمه الله له، ولا يجري خلف الدنيا كالوحش الذي يطارد فريسته، قال النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(2).

6- "**العز في طلب الحوائج:** فمن ثمار الإيمان بالقدر، أن يطلب المؤمن حاجته عند من هي عنده بعزة نفس لا يطأطئ رأسه ولا يذل نفسه ولا يحني ظهره لمخلوق، إن الله تعالى كتب العزة للمؤمن فلا ينبغي له أن يفرط فيها، قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: 8]، فلا يحل لمؤمن أن يذل نفسه لمخلوق مثله من أجل حاجة عنده"(3).

7- "**الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك:** لا يتم توحيد الله إلا لمن أقرَّ أن الله وحده الخالق لكل شيء في الكون، وأن إرادته ماضية في خلقه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر لم يوحدوا ربهم، ولم يعرفوه حق معرفته، والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك، فالمؤمن بالقدر يُقرُّ بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد ومعبود واحد، ومن لم يؤمن هذا الإيمان فإنه يجعل من الله آلهةً وأربابًا"(4).

8- "**الاعتراف بالذنب والمسارعة للمغفرة والتوبة:** صاحب الإيمان الصحيح بالقدر يشاهد نفسه عند فعل السيئات وارتكاب المنهيات ولا يحتج بالقدر على عصيانه؛ لأنه لا حجة لأحد فيه...

---

(1) انظر: الأشقر، القضاء والقدر (ص 111 -112).

(2) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ الحَيْض، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: {مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} [الحج: 5] (ج70/1) (ح 318).

(3) الصَّلاَّبي، الإيمان بالقدر (ص 322).

(4) الأشقر، مرجع سبق ذكره (ص 109 -110).

وإنما يرجع إلى نفسه ليوبخها من كبوتها حالاً كما ينهض من الوحل، إذا وقع فيه ويعقد العزم على عدم العودة إلى الذنب، ويتوجه إلى الله بالاعتراف بالذنب بانكسار قلب، وبهذا كله علّمنا القرآن وضرب لنا الأمثال وقص علينا موقف أنبيائه الكرام في مثل هذه الأحوال، قال تعالى عن نبيه آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16]"(1).

9- القضاء على الكثير من الأمراض التي تعصف بالأمة: فالإيمان بالقضاء والقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف، بالأمة وتزرع الأحقاد بين أفرادها، ومن هذه الأمراض الحسد، فالمؤمن عندما يعلم أن كل شيء مقدر ومكتوب؛ فإنه لا يلوث قلبه بالحسد والحقد على إخوانه المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؛ لأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، وهو يعلم حين يحسد غيره أو يحقد عليه لما آتاه الله؛ إنما يعترض على قدر الله تعالى.

يتضح مما سبق أن للإيمان بالقضاء والقدر ثمارًا عظيمة تعود على الفرد والمجتمع، فما من فرد يؤمن بالقضاء والقدر حق الإيمان إلا عاش مرتاح البال، مطمئن النفس، محباً للغير، مستغنيًا عنهم، راضياً بما قسمه الله له، لا يحزن على ما فاته؛ لأنه لم يكن مقدورًا له، كل هذا كفيلًا لأن يصنع مجتمعًا مترابطًا متماسكًا نقيًا من الأحقاد والأحساد.

---

(1) الصَّلاَّبي، الإيمان بالقدر (ص 339).

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيد الخلق محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد :

فبعد هذا العرض للقضايا العقدية في سورة الحديد، مقارناً في ذلك بين فهم السلف لها، وبين فهم المتكلمين، فإني سأذكر أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها، وهي على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج :

1- إن العادة في تسمية سور القرآن الكريم أنها تسمى لقرينة موجودة فيها، وهذا ما جرى في تسمية سورة الحديد حيث إنها سميت بهذا الاسم؛ لذكر لفظ الحديد فيها في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد: 25].

2- إن المعتزلة خالفوا السلف في أصول الإيمان، أما أصول الإيمان عند السلف فهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهي ستة أصول، أما أصول الإيمان عند المعتزلة فهي خمسة أصول: العدل، والتوحيد، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل أصل من هذه الأصول جعلوا له معنىً باطلاً مخالفًا لمنهج السلف.

3- خالف الأشاعرة السلف في العديد من مسائل الاعتقاد، أهمها: اثبات صفات المعاني السبعة دون غيرها من الصفات الإلهية، وتعويلهم على العقل وتقديمه على النقل في مسائل الاعتقاد، وجعلهم الربوبية والألوهية بمعنى واحد، لذلك أسقطوا توحيد الألوهية من أقسام التوحيد، وجعلوا التوحيد قسمين، وهما توحيد الربوبية ويشمل(واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له)، وتوحيد الأسماء والصفات ويشمل(واحد في صفاته لا شبيه له)، وعلى ذلك فالرب والإله عندهم واحد.

4- اشتملت سورة الحديد على العديد من مظاهر العقيدة الدالة على توحيد الربوبية، وهي: الملك والإحياء والإماتة، والخلق، وأخذ العهد بالإيمان، وقد خالف المعتزلة والأشاعرة السلف في الخلط بين الربوبية والألوهية، بل إنهما جعلوا الإله بمعنى الرب، وكذلك خلفوا في تفسير الميثاق، حيث فسروه بتركيب العقول.

5- اشتملت سورة الحديد على العديد من مظاهر العقيدة الدالة على توحيد الألوهية، وهي: تسبيح المخلوقات، والخشية، والإنفاق، وقد خالف المعتزلة السلف في حمل تسبيح المخلوقات

على المجاز لا الحقيقة، أما الأشاعرة فمنهم من وافق المعتزلة كالمفسر الرازي، ومنهم من وافق السلف كالمفسر القرطبي، حيث حمل تسبيح المخلوقات على الحقيقة لا المجاز.

6- اشتملت سورة الحديد على العديد من أسماء الله الحسنى، ومن خلال تتبع أقوال المفسرين في أسماء الله، ظهر توافقاً كبيراً بين السلف، والمعتزلة، والأشاعرة، في بيان معنى معظم أسماء الله، وهذا يظهر مدى التناقض والاضطراب في منهج المعتزلة، فإن أعلامهم ليسوا سواء في اثبات أسماء الله، بل بينهم خلاف وشقاق، فمنهم من يثبتها على أنها أعلام محضة، ومنهم من يثبتها ويذكر لها معاني.

7- اشتملت سورة الحديد على العديد من صفات الله العليا، وهي: الاستواء، والمعية، والمحبة، والحياة، وقد خالف المتكلمون السلف في اثبات صفة الاستواء، والمعية، والمحبة، فالمعتزلة جعلوا الاستواء كناية عن الملك، والأشاعرة فسروا الاستواء بالاستلاء-بمعنى الاقتدار-، أما صفة المعية فحملها المعتزلة على المجاز لا الحقيقة، أما صفة المحبة فكلٌّ من المعتزلة والأشاعرة لا يثبتون المحبة كصفة لله تعالى، بل يثبتون فقط آثار ومقتضيات ودلائل هذه المحبة.

8- يتضح خطأ منهج كلٍّ من المعتزلة والأشاعرة في إثبات صفة الكلام لله تعالى، فالمعتزلة ينفون صفة الكلام عن الله تعالى بحجة الهروب من التشبيه والتجسيم، وهذا منهجهم في جميع الصفات الإلهية، وعلى ذلك فالمعتزلة يعتبرون كلام الله تعالى مخلوق كباقي المخلوقات، وأما الأشاعرة فهم يثبتون صفة الكلام لله تعالى، ولكنهم أخطأوا في تأويل هذه الصفة، حيث أثبتوا لله تعالى كلاماً نفسياً قائماً بذاته، وهذا الكلام ليس بحرف ولا بصوت، ولكن الحق هو الذي وُفق له السلف، فهم يثبتون لله تعالى صفة الكلام كصفة ذاتية- باعتبار أنها قائمة بالذات- و كصفة فعلية باعتبار أن هذه الصفة تتعلق بإرادة الله ومشيئته، فإنه سبحانه يتكلم إذا شاء، متى شاء، وكيف شاء، وأنه سبحانه كلم موسى عليه السلام، ويكلم عباده يوم القيامة، ومن كلامه القرآن، والتوراة، والإنجيل، وهذا الكلام حروف مسموعة ليس ككلام البشر.

9- لا خلاف بين السلف والمعتزلة والأشاعرة، في الإيمان بالجنة والنار، ولكن خالفت المعتزلة حول هل الجنة والنار مخلوقتان الآن أم لا؟ فقد أنكرت المعتزلة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، والحق أن الجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان.

10- إن الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الثابتة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ولا يستقيم إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر، وبمراتبه الأربع، وهي: علم الله تعالى

بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل وجودها، ومشيئته لها، وخلقه سبحانه لها، فهو الخالق وما سواه مخلوق، لكن المتكلمين خالفوا السلف في هذه المراتب، فالمعتزلة بشكل عام خالفوا السلف في المراتب الأربعة، والأشاعرة بشكل عام خالفوا السلف في مرتبتي الإرادة والخلق.

أما المعتزلة فقالوا إن علم الله هو ذاته، فهم ينكرون أن الله يعلم بالشيء قبل حصوله، لذلك أنكروا خلقه سبحانه لأفعال العباد، وأنه لا يعلم بها إلا بعد وقوعها، فإن كان الأمر كذلك فكيف يكتب شيء لا يعلمه؟ بل إنهم يعتبرون أن إثبات الكتابة السابقة فيها إثبات لعقيدة الجبر، أما مرتبة الإرادة فقد خالف فيها كل من المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة نفوا الإرادة الكونية وأثبتوا الإرادة الدينية، والأشاعرة أثبتوا الإرادة الكونية ونفوا الإرادة الدينية، وقد خالف كل من المعتزلة والأشاعرة في مرتبة الخلق –خلق أفعال العباد– فالمعتزلة نفت قدرة الله تعالى على خلق أفعال العباد، فالإنسان عندهم هو الخالق لأفعاله، فهو الذي يترك ويفعل، وهو الذي يضل نفسه ويهديها، أما الأشاعرة فقالوا: إن أفعال العباد خلق لله، وكسب للعباد، والكسب عندهم قدرة غير مؤثرة في وقوع الفعل، ولكنها مصاحبة له، فالفعل عندهم ينسب للعبد مجازًا لا حقيقة.

11– الإيمان بالقضاء والقدر يسلِّي النفس ويعزيها في كل فائت، ويطمئنها، ويورثها الإقدام والشجاعة، والرضا والقناعة بما قسم الله.

ثانياً: أهم التوصيات :

1– ضرورة الاهتمام بقضايا العقيدة الصحيحة في كافة الأطر الأكاديمية بالدراسات والأبحاث، والأطر الوعظية بالخطب والمواعظ التي تلائم عقول الناس وقلوبهم؛ وذلك لصد كل من تسول له نفسه بأن يطعن في عقيدة الإسلام، أو يشوه من صورتها؛ ليفسد على الناس دينهم وعقيدتهم.

2– ضرورة القيام بمشروع متكامل لدراسة القضايا العقدية في جميع سور القرآن، دراسة مقارنة بين السلف والمخالفين من خلال كتب التفسير؛ وذلك لتبصير كل مهتم بكتاب الله بالدخن الموجود في كتب التفسير، فيحترز منه.

3– كما وأوصي القائمين على وضع المناهج التعليمية بوضع مادة مستقلة لتدريس العقيدة الإسلامية الصحيحة، وليست مدمجة مع منهج التربية الإسلامية؛ لأن ذلك أدعى للاهتمام بها وفهمها وتطبيقها.

وفي الختام فإن هذه الرسالة جهد من قل زاده، وكثرت ذنوبه، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وصلِ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1399هـ-1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

أحمد مختار عمر، وآخرون. (1429 هـ - 2008 م). معجم *الصواب اللغوي دليل المثقف العربي*. ط1. القاهرة: عالم الكتب.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، أبو الحسن. (1413هـ). *رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب*. المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي. (د.ط). المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، أبو الحسن. (1400هـ-1980م). *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. عنى بتصحيحه: هلموت ريتر. ط3. مدينة فيسبادن (ألمانيا): دار فرانز شتايز.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. (1410 هـ - 1989 م). *الرسل والرسالات*. ط4. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. (1415هـ - 1995م). *القيامة الكبرى*. ط6. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. (1418 هـ - 1998 م). *الجنة والنار*. ط7. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. (1419 هـ - 1999 م). *العقيدة في الله*. ط12. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي. (1425 هـ - 2005 م). *القضاء والقدر*. ط13. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. ط1. (1421هـ). السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
أعضاء ملتقى أهل الحديث. (د.ت). *المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين*. الاطلاع:27 مارس 2017م. ملتقى أهل الحديثhttp://www.ahlalhdeeth.com.
آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم. (1424هـ - 2003م). *التمهيد لشرح كتاب التوحيد*. ط1. (د.م): دار التوحيد.
آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز. (د.ت). *إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل*. (د.ط). (د.م): (د.ن).
الآمدي، سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، أبو الحسن. (د.ت). *غاية المرام في علم الكلام*. تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر. (1412هـ-1992م). *الزاهر في معاني كلمات الناس*. المحقق: د. حاتم صالح الضامن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
الباقلاني، أبو بكر بن الطيب البصري. (1421هـ- 2000م). *الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به*. تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. ط2. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د.م): دار طوق النجاة.
البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. (1424هـ-2003م). *تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي*. ط1. (د.م): غراس للنشر والتوزيع.
البراك، عبد الرحمن بن ناصر. (1432 هـ). *توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية)*. إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس. ط3. (د.م): دار التدمرية.
البرماوي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي. (1433 هـ - 2012 م). *اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح*. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. ط1. سوريا: دار النوادر.
ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. (1423هـ - 2003م). *شرح صحيح البخارى*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي، أبو منصور. (1346هـ- 1928م). *أصول الدين*. ط1. استانبول: مدرسة الآلهيات بدار الفنون التركية.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر التميمي، أبو منصور. (1977م). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد، محيي السنة. (1420 هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*. تحقيق : عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. (د.ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي. (1422هـ- 2002م). *تحفة المريد على جوهرة التوحيد*. تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي. ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. (1413 هـ - 1993 م). *الأسماء والصفات للبيهقي*. تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي. ط1. جدة: مكتبة السوادي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى. (1395هـ - 1975م). *سنن الترمذي*. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي. (1419هـ-1999م). *معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى*. ط1. الرياض: أضواء السلف.

التميمي، محمد بن خليفة بن علي.(1418هـ-1997م). *مقالة التعطيل والجعد بن درهم*. ط1. الرياض: أضواء السلف.

التنوخي، أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير. (1428 هـ - 2007 م). *التنبيه على مبادئ التوجيه - قسم العبادات*. تحقيق: الدكتور محمد بلحسان. ط1. بيروت: دار ابن حزم.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1420هـ – 1999م). *العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة*. تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. ط2. الرياض: أضواء السلف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1416هـ/1995م). مجموع *الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (د.ط). المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1406هـ) *الصفدية*. المحقق : محمد رشاد سالم. ط2. مصر: مكتبة ابن تيمية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1411هـ – 1991 م). *درء تعارض العقل والنقل*. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم. ط2. السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1420هـ–2000م). *النبوات*. المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان. ط1. الرياض: أضواء السلف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1408هـ – 1987م). *الفتاوى الكبرى لابن تيمية*. ط1. (د.م): دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1405هـ– 1985م). *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*. حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. (د.ط). دمشق: مكتبة دار البيان.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1406هـ-1986م). *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. (د.م): جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد. *شرح العقيدة الطحاوية*. تاريخ الاطلاع: 25 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة. (1424هـ). *مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية*. ط2. (د.م): مكتبة الرشد.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1403هـ-1983م). *كتاب التعريفات*. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. (1405 هـ). *أحكام القرآن*. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1422 هـ) *زاد المسير في علم التفسير*. المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجويني، إمام الحرمين. تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد. (1369هـ- 1950م). *الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد*. (د.ط). مصر: مكتبة الخانجى.

الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد، أبو عبد الله. (د.ت). *شرح كتاب التوحيد*. تاريخ الاطلاع: 20 أكتوبر 2016م. موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، أبو عبدالله. (1411هـ-1990م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. إشراف: محب الدين الخطيب. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل. (1390هـ – 1971م). *لسان الميزان*. تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند. ط2. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، أبو محمد. (د.ت). *الإحكام في أصول الأحكام*. المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر. (د.ط). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

حطيبة، الطبيب أحمد. (د.ت). *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*. تاريخ الاطلاع: 28 أكتوبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1410هـ – 1990م). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط1. الدمام: دار ابن القيم.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. (1422هـ). *أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة*. تحقيق: حازم القاضي. ط2. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد. (د.ت). *رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الحملاوي، عمر العرباوي. (1404هـ – 1984م). *التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد*. (د.ط). (د.م): مطبعة الوراقة العصرية.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (1414 هـ – 1993 م). *معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الحَمِيدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر. (1415هـ – 1995م). *تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم*. المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. ط1. القاهرة: مكتبة السنة.

الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني. (1420هـ – 1999م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله. (1416 هـ – 1995م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. القاهرة: دار الحديث.

خالد، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد. (1412 هـ – 1992 م). *التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية*. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. ط1. (د.م): مكتبة طبرية.

الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان. (1404هـ، 1412هـ). *شأن الدعاء*. تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق. ط1، ط2. (د.م): دار الثقافة العربية.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، أبو بكر. (1422هـ–2002م). *تاريخ بغداد*. المحقق: الدكتور بشار عواد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. (1420هـ). *أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي. (1900م). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، أبو العباس شمس الدين. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار صادر.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة*. (د.ط). السعودية: دار الصميعي.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (1425هـ– 2004م). *شرح الرسالة التدمرية*. (د.ط). (د.م): دار أطلس الخضراء.

الخياط، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان. (1413هـ، 1993م). *الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد*. تحقيق: د. نيبرح. ط2. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع.

الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو. (1414هـ– 1994م). *البيان في عدّ آي القرآن*. المحقق: غانم قدوري الحمد. ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت، صيدا: المكتبة العصرية.

الدوسري، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي. (1413هـ). *التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية*. ط3. المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

دويدري، رجاء وحيد. (1421 هـ- 2000م). *البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية*. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1405 هـ-1985م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط3. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. (د.ت). *شرح العقيدة الطحاوية*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. *شرح الاقتصاد في الاعتقاد*. تاريخ الاطلاع: 15 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. *شرح الحموية لابن تيمية*. تاريخ الاطلاع: 12 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. *شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث*. تاريخ الاطلاع:15 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن. *شرح كتاب السنة للبربهاري*. تاريخ الاطلاع: 20 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية.http://www.islamweb.net .

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين. (1399هـ - 1979م). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط). (د.م): دار الفكر.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1420هـ-1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، أبو عبد الله. (د.ت). *معالم أصول الدين*. المحقق: طه عبد الرؤوف سعد. (د.ط). لبنان: دار الكتاب العربي.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، أبو عبد الله. (1420هـ). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد، أبو القاسم. (1412 هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق: دار القلم.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (د.ط). (د.م): دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق. (د.ت). *تفسير أسماء الله الحسنى*. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. (د.ط). (د.م): دار الثقافة العربية.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي ، أبو القاسم. (1406هـ - 1986م). *اشتقاق أسماء الله*. تحقيق: د. عبد الحسين المبارك. ط2. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله. (1376 هـ - 1957 م). *البرهان في علوم القرآن*. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. (د.م): دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. (2002 م). *الأعلام*. ط15. (د.م): دار العلم للملايين.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم. (1407 هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (1413هـ). *طبقات الشافعية الكبرى*. تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو. ط2. (د.م): هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد. *تفسير أسماء الله الحسنى*. (1421هـ). تحقيق: عبيد بن علي العبيد. (د.ط). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ -2000 م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

السعوي، محمد بن عودة. (1425هـ). *رسالة في أسس العقيدة*. ط1. السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم. (1402 هـ – 1982 م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

السقاف، علوي بن عبد القادر. (1426 هـ – 2006 م). *صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة*. ط3. (د.م): دار الهجرة.

السقاف، عَلوي بن عبد القادر. (د.ت). *الموسوعة العقدية*. تاريخ الاطلاع: 30 نوفمبر 2016م. موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

السقاف، عَلوي بن عبد القادر. (د.ت). *موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام*. تاريخ الاطلاع: 30 نوفمبر 2016م. موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. (د.ت). *دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية*. تاريخ الاطلاع: 30 أكتوبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. *شرح الحموية*. تاريخ الاطلاع: 5 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. *شرح العقيدة الطحاوية*. تاريخ الاطلاع: 7 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني. *شرح رسالة العبودية لابن تيمية*. تاريخ الاطلاع: 10 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، أبو سعد. (1395هـ – 1975م). *التحبير في المعجم الكبير*. تحقيق: منيرة ناجي سالم. ط1. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف.

سيد سابق. (د.ت). *العقائد الإسلامية*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط17. القاهرة: دار الشروق.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1396هـ). *طبقات المفسرين العشرين*. المحقق: علي محمد عمر. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1419 هـ – 1998 م). *التوشيح شرح الجامع الصحيح*. تحقيق: رضوان جامع رضوان. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

الشايع، خالد بن عبد الرحمن بن حمد. (1419 هـ). *استدِرَاك وَتَعقِيب عَلى الشَّيخ شُعَيب الأَرنَؤُوط في تَأويلِهِ بَعض أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ*. عَلَّقَ عَليه: سَمَاحَة الشيخ العَلّامَة عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط1. السعودية: دار بلنسية للنشر والتوزيع.

الشحود، علي بن نايف. (1431 هـ - 2010 م). *أَركَانُ الإيمانِ*. ط4. (د.م): (د.ن).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1415هـ - 1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم. (1423هـ - 2003 م). *المدخل لدراسة القرآن الكريم*. ط2. القاهرة: مكتبه السنة.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، أبو الفتح. (د.ت). *الملل والنحل*. (د.ط). (د.م): مؤسسة الحلبي.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (1420هـ- 2000م). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث.

الصَّلاَّبي، عَلي مَحَّمد محمد. (1422 هـ - 2001 م). *الوسطية في القرآن الكريم*. ط1. القاهرة: مكتبة التابعين.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (د.ت). *الإيمان بالقدر*. ط1. (د.م): المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

صوفي، عبد القادر بن محمد عطا. (1422هـ- 1423هـ). *المفيد في مهمات التوحيد*. ط1. (د.م): دار الاعلام.

الطالقاني، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم. (د.ت). *المحيط في اللغة*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. (د.ت). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر. (1420هـ - 2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. المحقق: أحمد محمد شاكر. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الطويان، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم. (1419هـ-1999م). *جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف*. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان.

الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (1432هـ). *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*. ط1. (د.م): دار ابن الجوزي.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (1984هـ). *التحرير والتنوير*. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، أبو عمر. (1414هـ- 1994م). *جامع بيان العلم وفضله*. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي.

عبد الجبار بن أحمد. (1416هـ- 1996م). *شرح الأصول الخمسة*. تحقيق: د. عبدالكريم عثمان. ط3. القاهرة: مكتبة وهبة.

عبد الجبار بن أحمد، أبي الحسن. (1999م). *المجموع في المحيط بالتكليف*. جمع: الشيخ أبي محمد الحسن بن أحمد بن مَتَّويه. تحقيق: يان بِترِس. ط1. بيروت: دار المشرق.

عبد الغفار، محمد حسن. (د.ت). *أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. تاريخ الاطلاع: 10 ديسمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net .

العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد بن علي. (1427هـ). *نواقض الإيمان القولية والعملية*. ط3. (د.م): مدار الوطن للنشر.

عبد الله بن عبد الحميد الأثري. (1424 هـ - 2003م). *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح. ط1. الرياض: مدار الوطن للنشر.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري. (1381هـ). *مجاز القرآن*. المحقق: محمد فواد سزگين. (د.ط). القاهرة: مكتبة الخانجى.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1412هـ - 1992م). *نبذة في العقيدة الإسلامية*. ط1. مكة المكرمة: دار الثقة للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1419هـ). *تقريب التدمرية*. ط1. الدمام: دار ابن الجوزي.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1421هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل. ط6. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1421هـ-2001م). *القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى*. ط3. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. (1424هـ-2004م). *شرح ثلاثة الأصول*. ط4. (د.م): دار الثريا للنشر.

ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ، الأذرعي الصالحي الدمشقي. (1426هـ- 2005م). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني. ط1. مصر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة.

ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف. (1404هـ). *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال. (1412هـ). *معجم الفروق اللغوية*. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي. ط1. (د.م): مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

ابن العطار، علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن. (1432هـ - 2011م). *الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد*. تحقيق: الدكتور سعد بن هليل الزويهري. ط1. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

عفيفي، عبد الرزاق. (1420هـ). مذكرة *التوحيد*. ط1. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

عليان، ربحي مصطفى، وعثمان محمد غنيم. (1420 هـ - 2000 م). *مناهج وأساليب البحث العلمي (النظرية والتطبيق)*. ط1. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1429 هـ- 2008م). معجم *اللغة العربية المعاصرة*. ط1. (د.م): عالم الكتب.

عواجي، غالب بن علي. (1422 هـ - 2001 م). *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*. ط4. جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق.

العيد، عمر بن سعود بن فهد. (د.ت). *شرح لامية ابن تيمية*. تاريخ الاطلاع: 2 ديسمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

العينى، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين أبو محمد. (د.ت). عمدة *القاري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغامدي، أحمد بن عطية بن علي.(1423هـ-2002م). *البيهقي وموقفه من الإلهيات*. ط2. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الغامدي، سعيد بن ناصر. (د.ت). *حقيقة البدعة وأحكامها*. (د.ط). الرياض: مكتبة الرشد.

الغامدي، محمد بن عبد الله زربان. (1423هـ-2003م). *حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد*. ط1. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

غريب، محمود محمد. (1419 هـ - 1998 م). *منهج القرآن في القضاء والقدر*. ط2. القاهرة: دار القلم للتراث.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (د.ت). *إحياء علوم الدين*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الغزالي، محمد بن محمد، أبو حامد. (1405هـ - 1985م). *قواعد العقائد*. تحقيق: موسى محمد علي. ط2. لبنان: عالم الكتب.

الغزالي، محمد بن محمد، أبو حامد. (1407هـ - 1987م). *المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى*. المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي. ط1. قبرص: الجفان والجابي.

الغفيص، يوسف بن محمد علي. (د.ت). *شرح الواسطية*. تاريخ الاطلاع: 20 ديسمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net.

غلوش، أحمد أحمد. (1423هـ-2002م). *دعوة الرسل عليهم السلام*. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الغنيمان، عبد الله بن محمد. *شرح العقيدة الواسطية*. تاريخ الاطلاع: 27 نوفمبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر. (1407 هـ - 1987 م). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

فراج، مدحت بن حسن، أبو يوسف. (1416هـ- 1995م). *العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي*. قدم له: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين. ط2. باكستان: دار الكتاب والسنة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن. (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. (د.ط). (د.م): دار ومكتبة الهلال.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1420هـ - 1999م). *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*. ط4. (د.م): دار ابن الجوزي.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1423هـ 2002م). *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*. ط3. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (1423هـ). *كتاب التوحيد*. ط4. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. (د.ت). *عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الفوزان، عبد الله بن صالح. (د.ت). *حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول*. (د.ط). (د.م): مكتبة الرشد.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1421هـ– 2000م). *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*. ط1. (د.م): دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1416 هـ – 1996 م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. المحقق: محمد علي النجار. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1426هـ–2005م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم. (1418 هـ). *محاسن التأويل*. المحقق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. (د.ت). *نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسُّنَّة*. (د.ط). الرياض: مطبعة سفير.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، أبو عبد الله. (1384هـ– 1964م). *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1408هـ – 1988م). *اجتماع الجيوش الإسلامية*. تحقيق: عواد عبد الله المعتق. ط1. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1408هـ). *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة*. المحقق: علي بن محمد الدخيل الله. ط1. الرياض: دار العاصمة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (د.ت). *بدائع الفوائد*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1415هـ – 1994م). *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ط27. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1398هـ-1978م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1394هـ). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط2. القاهرة: دار السلفية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1416هـ-1996م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء. (1420هـ – 1999م). *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء. (1413هـ-1993 م). *طبقات الشافعيين*. تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. (د.ط). (د.م): مكتبة الثقافة الدينية.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق. (د.ت). معجم *المؤلفين*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الكرمي، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد. (1406هـ). *أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات*. المحقق: شعيب الأرناؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكيرانوي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن. (1410 هـ – 1989 م). *إظهار الحق*. دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي. ط1. السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله. (1430هـ – 2009 م). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (د.م): دار الرسالة العالمية.

الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أبو الحسن. (د.ت). *تفسير الماوردي = النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المباركفوري، صفي الرحمن.(1427هـ). *الرحيق المختوم*. ط1. دمشق: دار العصماء.

المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني، أبو الحسن. (1404 هـ، 1984 م). *مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط3. بنارس الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية.

مجموعة من العلماء: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.ط). (د.م): دار الدعوة.

المحاربي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، أبو محمد. (1422 هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المحمود، عبد الرحمن بن صالح بن صالح. (1415 هـ-1995 م). *موقف ابن تيمية من الأشاعرة*. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

المحمود، عبد الرحمن بن صالح. (د.ت). *شرح لمعة الاعتقاد*. تاريخ الاطلاع: 30 أكتوبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

المسفيوي، البشير بن محمد عصام. (د.ت). *شرح منظومة الإيمان*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المشوخي، حمد سليمان. (1422 هـ - 2002 م). *تقنيات ومناهج البحث العلمي (تحليل أكاديمي لكتابة الرسائل والبحوث العلمية)*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

المصلح، خالد بن عبد الله بن محمد. (د.ت). *شرح لمعة الاعتقاد*. تاريخ الاطلاع: 25 أكتوبر 2016م. موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net .

ابن مَلَك الكَرمانيّ، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بابن المَلَك. (1433هـ-2012م). *شرح مصابيح السنة للإمام البغوي*. تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. ط1. (د.م): إدارة الثقافة الإسلامية.

المنصورفوري، محمد سليمان. (د.ت). *رحمة للعالمين*. ط1. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (1414 هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين. (1422هـ – 2001م). *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*. تحقيق: سيد إبراهيم. ط1. القاهرة: دار الحديث.

نداء، سعد بن عبد الرحمن. (د.ت). *مفهوم الأسماء والصفات*. (د.ط). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الندوة، العالمية للشباب الإسلامي. (1420هـ). *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط4. (د.م): دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، أبو عبد الرحمن. (1406هـ – 1986م). *المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، أبو زكريا. (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

هرّاس، محمد بن خليل حسن. (1415هـ). *شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية*. ضبط نصه وخرَّج أحاديثه: علوي بن عبد القادر السقاف. ط3. الخبر: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية:

م.	سورة الفاتحة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	2	32
2	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	5	32
3	﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾	3	87، 88
4	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	6	167، 168، 171
5	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾	7	171
م.	**سورة البقرة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾	163	28
2	﴿ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	245	53
3	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	129	67
4	﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	282	80
5	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	29	81، 97
6	﴿ . . . وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾	96	82
7	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	265	84

86	143	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	8
87	192	﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	9
92	263	﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾	10
104	222	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	11
107، 229	255	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . . . ﴾	12
119	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	13
128، 149	285	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	14
150	1، 2	﴿ الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ . . . ﴾	15
161	23	﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾	16
164	177	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ . . . ﴾	17
182	30	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	18
186	24	﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ	19

	وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾		
20	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	25	186، 191، 193
21	﴿ . . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ . . ﴾	184	200
22	﴿ . . . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . ﴾	185	215، 218
23	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾	253	216
24	﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾	250	229
25	﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾	134	231
26	﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	286	231
م.	**سورة آل عمران**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	18	67
2	﴿ . . . وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	119	79
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾	5	102
4	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	31	105

5	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾	32	106
6	﴿ الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	1، 2	107، 110، 157
7	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	133	115، 197
8	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	134	115
9	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	67	134
10	﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	68	134
11	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾	48	155
12	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. . . ﴾	3، 4	157
13	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. . . ﴾	19	157
14	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾	192	187
15	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾	91	200
16	﴿ . . . قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ	154	235

م.	سورة النساء	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾		
1	﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	1	1
3	﴿ . . . فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	139	66
4	﴿ . . . وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾	131	92، 95
5	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	145	122
6	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	165	132
7	﴿ . . . وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾	136	149، 164
8	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ . . ﴾	153	150
9	﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾	164	161
10	﴿ . . . وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	95، 96	188، 190
11	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾	57	194
12	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا . . . ﴾	93	195

م.	سورة المائدة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾	3	1
2	﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾	7	43
3	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ . . ﴾	64	99
4	﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾	54	104، 105
5	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	48	128، 158
6	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾	110	137
7	﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	47	154

8	﴿ . . وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾	46	156
9	﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾	37	186
10	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	36	200، 201
م.	**سورة الأنعام**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ . . . وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	59	77، 80
2	﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾	28	80، 208
3	﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ . . ﴾	133	92
4	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	115	178
م.	**سورة الأعراف**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . ﴾	54	39، 40
2	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	180	16، 33، 64، 65
3	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ . . . ﴾	158	38
4	﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	172	42

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
5	﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾	57	86
6	﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾	31	106
7	﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾	59	135
8	﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾	187	164
9	﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾	8	179، 184
10	﴿ قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾	89	221
11	﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾	28	221
12	﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾	99	234
13	﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾	23	236
م.	سورة الأنفال	رقم الآية	رقم الصفحة

1	﴿ . . .إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا . . . ﴾	2	51
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	52	68
3	﴿ . . . وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	41	71
4	﴿ . . . فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾	38	72
5	﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	46	101، 103
6	﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾	12	103
7	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	64	140
م.	سورة التوبة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	100	14
2	﴿ . . .إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	117	86، 88
3	﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾	40	101، 103
م.	سورة يونس	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	31	36
2	﴿ . . .وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	61	82

م.	سورة هود	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	66	68
2	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	5	83، 102
3	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	32	135
4	﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾	13	161
م.	سورة يوسف	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	111	152
م.	سورة الرعد	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾	10	83
2	﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾	35	186
3	﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	18	200
4	﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	39	212
م.	سورة إبراهيم	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿. . لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	1	94

2	﴿ . . . خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾	23	193
م.	سورة الحجر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾	21	92
2	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	9	158
م.	سورة النحل	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . . ﴾	36	1، 128، 157
2	﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	70	71
3	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾	92	118
4	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾	112	120
5	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾	35	227
6	﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾	89	152
7	﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . . . ﴾	31	192
8	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	40	218
م.	سورة الإسراء	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	36	33

2	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	44	47، 48
3	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾	30	82
4	﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾	96	90
5	﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾	71	169
م.	**سورة الكهف**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾	96	8
2	﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	35− 38	119
3	﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾	105	175، 179، 180
4	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾	108	195
5	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾	23، 24	223
م.	**سورة مريم**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**

1	﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾	51	131
2	﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾	55	157
3	﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾	71	167، 173
4	﴿ . . وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا . . ﴾	4	191
م.	سورة طه	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾	51	72
2	﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾	96	82
3	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾	5	97، 99
4	﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾	46	101
5	﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾	111	108
6	﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾	76	195
م.	سورة الأنبياء	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	22	34، 35، 76
2	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾	47	174، 177، 178، 180، 183، 184
3	﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾	23	185
4	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾	34	193
5	﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾	69	232

م.		رقم الآية	رقم الصفحة
2	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	93	79
م.	سورة القصص	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾	70	37
2	﴿. . . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . . .﴾	88	74، 107
3	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾	14	97
4	﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	54	115
5	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	83	215
6	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	16	236
م.	سورة العنكبوت	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾	27	135، 136
م.	سورة لقمان	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	25	31
2	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	23	76
3	﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	28	83
4	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	26	92، 93، 95

5	﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾	12	93، 95
6	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	13	145

م.	سورة السجدة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	17	188

م.	سورة الأحزاب	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾	43	87، 88
2	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	40	140
3	﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾	63	164
4	﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾	38	206

م.	سورة فاطر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ . . وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	14	90
2	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	15	94، 95
3	﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾	36	186
4	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾	44	216، 223

م.	سورة الصافات	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	96	18، 226، 230

2	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾	172,171	70
3	﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	107	201
م.	سورة ص	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	5	32
2	﴿. . .وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾	17، 18	49
3	﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾	23	66
م.	سورة الزمر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾	3	31
2	﴿. . .فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ. . .﴾	21	78
3	﴿. . . وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ. . .﴾	7	218، 221، 222، 224،
4	﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾	6	146، 147
5	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	62	160
م.	سورة غافر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿. . .إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	20	83
2	﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	56	108

م.		رقم الآية	رقم الصفحة
3	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾	78	133
4	﴿ . . .وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾	31	221، 222، 228
م.	سورة فصلت	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	42	95
2	﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾	12	203
3	﴿ . . .وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	46	221
م.	سورة الشورى	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	11	15، 19، 23، 32، 34، 60، 61، 99، 100، 161، 162
2	﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾	19	69
3	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	24	81
4	﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾	14	203
م.	سورة الزخرف	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾	56	13
م.	سورة الدخان	رقم الآية	رقم الصفحة

م.		رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	4-1	211
م.	سورة الجاثية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	27	31
م.	سورة الأحقاف	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾	3	120
م.	سورة محمد	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿. . وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ . . ﴾	38	92، 93
2	﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾	35	103
3	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾	15	192
م.	سورة الفتح	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿. . . خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ . . . ﴾	5	193
م.	سورة الحجرات	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	5	89
م.	سورة ق	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿. . . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	16	74
م.	سورة الذاريات	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	46، 222

2	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	58	69
3	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	22	78
4	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾	24	135
م.	**سورة النجم**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾	41-36	157
2	﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾	15-13	197
3	﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾	26	224
م.	**سورة القمر**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	49	206
م.	**سورة الرحمن**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
1	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾	7	177، 178
2	﴿ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾	54	197
3	﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾	3-1	159
4	﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾	4	159
5	﴿ .. كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾	29	212

م.	سورة الحديد	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	25	8، 66، 69، 144، 150، 154، 158، 177
2	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	13	122، 169
3	﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾	27	9
4	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾	16	49، 51، 153
5	﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	29	219
6	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	2	36، 38، 71، 108
7	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	5	36، 38
8	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	4	39، 77، 83، 98، 101، 208، 226
9	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	22	39، 206، 212، 234

10	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	8	42، 43، 44، 142
11	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	1	46، 47، 48، 66
12	﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	24	52، 92، 95
13	﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾	7	52، 112
14	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	10	52، 90، 188
15	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾	11	52
16	﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾	18	52
17	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	3	74، 77، 208
18	﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	6	77، 208
19	﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى	9	85، 88،

	النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾		143
20	﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	23	105، 212، 234
21	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	17	108
22	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	19	112، 119، 120
23	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	21	113، 197، 219
24	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	28	115، 116، 140
25	﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾	12	116، 117
26	﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	15	123، 201
27	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾	26	135
28	﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ	27	137، 155

م.		رقم الآية	رقم الصفحة
	الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾		
م.	سورة المجادلة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	21	69
2	﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	7	100
3	﴿ . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	11	189
م.	سورة الحشر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	22	65، 87
2	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	23، 24	65
م.	سورة الصف	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ	6	140، 154، 156

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾		
م.	سورة المنافقون	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	11	90
2	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	3	120
3	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	8	235
م.	سورة الملك	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	13	78
2	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	14	78، 90، 214
3	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾	2	109
م.	سورة المعارج	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾	11–14	200
م.	سورة نوح	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾	23	134
م.	سورة المزمل	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾	8، 9	32
2	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾	1	140

م.	سورة المدثر	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	1	140
2	﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾	56	220
م.	سورة القيامة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	22، 23	75
م.	سورة الإنسان	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	30	220
م.	سورة النبأ	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾	26	121
م.	سورة النازعات	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾	45-42	165
م.	سورة التكوير	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	29	216، 218
م.	سورة المطففين	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	15	75
م.	سورة البروج	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	8	94
م.	سورة الليل	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾	13	37
م.	سورة القارعة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	6، 7	180

ثانياً: فهرس الأحاديث:

	بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ...﴾	164، 206
16	﴿... وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ...﴾	133
17	﴿ كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ...﴾	133
18	﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ﴾	161
19	﴿... وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ...﴾	167
20	﴿ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ...﴾	174، 175
21	﴿يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ...﴾	174
22	﴿ إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ...﴾	175
23	﴿... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ﴾	176
24	﴿ يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ علَيه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ... ﴾	176
25	﴿ تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ، فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ... ﴾	176
26	﴿مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ...﴾	179
27	﴿يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ...﴾	182
28	﴿يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ... ﴾	183
29	﴿إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ... ﴾	186
30	﴿أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ... ﴾	188
31	﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ... ﴾	189، 190
32	﴿ارْمُوا مَنْ بَلَغَ الْعَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً... ﴾	189
33	﴿بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ ...﴾"	189
34	أَنَّ هِرَقْل كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ:﴿...تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ	198

	وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ... ﴾	
35	﴿ يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا... ﴾	200، 202
36	﴿... وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ... ﴾	203، 234
37	﴿ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ... ﴾	206، 211
38	﴿ ... كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ ﴾	207
39	﴿إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي... ﴾	211
40	﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا...﴾	211
41	﴿ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ﴾	212
42	﴿إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ﴾	226
43	﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا... ﴾	235

ثالثاً: فهرس الأعلام: